



خالد أمين

وَقَرِيْبًا...
سَيِّدُكُمْ
الظُّلَم

رواية

دار دَوْن

الفصل الأول

القاهرة - عام ٢٠٢٢

من مذكرات جادو:

استيقظت ليلاً على صوت فتاة تبكي..

لا يهم، لن أفك قيودها أو أطلق سراحها مهما توصلت..

وقفت أمام المرأة وأنا أتمتم كلمات أغنية «كل الفتيات تهيم بك حباً» ثم ارتديت ملابسني وخرجت، اليوم سوف أرتكب شيئاً سيئاً سيدب بالرعب في قلوب القاهرة بأكملها، لقد حلمت بتلك اللحظة، خططت لها، تخيلتها، والآن الحماسة تعتمر جسدي، كل شيء سيتغير بعد أقل من ساعة..

اسمي هو جادو، هذا هو اسمي المستعار على أي حال، لن أكتب اسمي الحقيقي في تلك المذكرات، والحقيقة أن أحداً لن يستطيع أبداً تخمين هويتي الحقيقية.. اسمي هو جادو، وأنا حقاً أحب الفتيات..

عندما دلفت إلى المصعد وجدت فتاتين في العشرينيات بالداخل، رائحة عطرهما تملأ المكان، شعرهما الجميل، وتفاصيلهما الخلافة، وقفنا نحن الثلاثة، هن حقاً جميلات، ولقد وقعت في حبهما على الفور.. تخيلت نفسي معهما.. هما

أيضًا تحبانني، هما لا تعرفان هذا بعد.. أنا رجل رومانسي للغاية، وعندما أقابل فتاة غريبة عني، أتخيل قصة حب جميلة بيني وبينها، تنتهي بي وأنا أقتلها في حين هي تنظر إليّ في حب.. الحقيقة أن الحسنات يثرن جنوني، أشعر بغضب شديد كلما رأيت فتاة جميلة، وهن حقًا جذابات، يمتلكون كل السعادة التي قد تقدمها لنا الحياة، ثم عليك أنت التظاهر بأنك لا تُجِرُّ وأنت تتحدث معهن، ترى تلك الفتاة التي تُجري معك مقابلة عمل وهي ترتدي ملابس جذابة، وعليك أنت التظاهر بأنك لا تبالي، أن تتظاهر بأنك رجل غير طبيعي لا يملك عاطفة.. رجل وقور.. أليس هذا ما يدعوننا به؟.. الرجل الوقور رابط الجأش هو إنسان بلا عاطفة.. هذا ليس بأمر عادل.. قتلتهم في عقلي عشرات المرات.. وأنا أشعر بغضب شديد يعتمل بداخلي، كل هؤلاء الحسنات على مواقع التواصل الاجتماعي بصورهم الجذابة، وفتيات الإعلانات، صارخات الجمال، يريدون أن يفقدوك عقلك، لأنك لن تحصل عليهم أبدًا، أنا رد الفعل لكل هذا الجنون.. أنا جادو.. ولسوف أريهم أن لكل فعل ردة فعل، القاهرة كلها ستعرف اسمي..

انفتح باب المصعد وخرجت الفتاتان.. كل واحدة منهن تبدو كأنها لوحة مرسومة بعناية، فغمغمت: وأنتن أيضًا تحبونني، أنتن لا تعرفن هذا بعد فحسب.

ذهبت إلى مترو الأنفاق ووقفت وسط الزحام، كل هؤلاء البشر بمشكلاتهم وحياتهم اليومية، كل هذا الواقع من حولي، سوف أغيره بعد لحظات، نظرت إلى لافتة إعلانية لفتاة جميلة على الحائط تمسك بمستحضر تجميل بين يديها، بدت كأنها قادمة من عالم آخر، كل هذا الجمال المستفز، كأنها تريد أن تثير جنوني، ظللت أنظر إلى الفتاة في الصورة وتكُدس الزحام يزداد من حولي.. لقد حان الوقت.. جادو سيعلن عن نفسه لهؤلاء البؤساء الآن.. غمزت للفتاة في صورة.. وابتسمت.. سوف أقتلهم جميعًا الآن.. وسمعت كلمات أغنية «كل الفتيات تحبك» تردد في رأسي..

كان عليّ أن أختبر هذا الشعور، لا أعلم إن كنتم ستفهمون تلك الحاجة المُلِحَّة بداخلي أم لا، لكنني كنت بحاجة إلى اختبار هذا الشعور، البعض يختبر تلك الرغبة المُلِحَّة بداخله والتي تخبره بضرورة فعل شيء ما، كفتى يُشعل لفافة تبغ للمرة الأولى، لعلك ستراه في العناية المركزة وهو بأرذل العمر وتتذكر لحظاته الأولى تلك، سيخبرك أن شيئًا ما جعله يدخن، شعور ما، أو كفتاة تتبّع ما يمليه عليها قلبها وجسدها مع حبيبها المخادع، هي تعلم أن نهايتها مؤلمة معه، لكنها لا تستطيع مقاومة اللحظة، اسأل تلك الفتاة وهي أم لدستة أطفال وزوج لحوح، اسألها عن مراهقتها، ستشرد قليلًا

وتقول لك إن شيئًا ما بداخلها جعلها تهب نفسها لحبيبها، حسنًا.. أنتم فهتمم مقصدي أليس كذلك؟.. بعض الناس عمليون وبعضهم عاطفيون، العمليون يتحكمون في رغباتهم ولا ينصاعون إليها، أنا شخص عاطفي، طيلة عمري أمتلك مشاعر جياشة، ولذا عليكم أن تتفهموا جيدًا، حاجتي إلى القتل كانت أقوى من أن أقاومها.. ولكي أكون صادقًا تمامًا، أنا لم أرد المقاومة.

الساعة تقارب العاشرة مساءً، وأنا أقف في محطة المترو باتجاه المرج، أردي سروالًا رماديًا وسترة بنفس اللون مصحوبة بغطاء رأس، وأمامي يقف مجموعة من المتجمهرين بانتظار القطار الحديدي الذي يهيب أسفل الأرض، أنا أحب الأنفاق، أشعر بشيء من الغموض والرومانسية بداخلها، بقليل من الخيال بإمكانني تصور بعضهم يحيون في الأنفاق، ولكن تلك مخيلتي فحسب.. نظرت بطرف عيني إلى المجموعة الواقفة أمامي، لم أختبرهم، لقد وجدتهم، لا أعتقد أن دافنشي اختار الموناليزا، لقد وجدها أمامه فحسب.. وأمامي يقف هؤلاء الركاب، ينتظرون القطار بروتينية وكلُّ منهم يترك العنان لأفكاره الخاصة.. غير مدركين أنني سوف أذفعهم جميعًا مرة واحدة ليسقطوا أسفل عجلات قطار الأنفاق القادم..

تأملهم معي.. الضحايا كما سئلَهم الصحف قريبًا..

فتاة صغيرة -ربما تكون في العاشرة- تقف جوار ما يبدو أنه والدها، تعقد يدها بيده، كانت هشة ورقيقة الملامح، شعرها كستنائي طويل، والدها يبدو خشن الملامح، في الأربعينيات ويمتلك وجهًا مكفهرًا، أين والدتها؟.. هذا الرجل لا ينتمي إلى نوعية الآباء الذين يخرجون مع بناتهم، هو يترك تلك المهام للأم في حين هو يعمل أو يجلس على القهوة مع الرفاق، هذا الرجل ديناصور حقيقي ممن تبقوا من جيل الطبقة المتوسطة في عصر السوشيال ميديا، تخميني هو أن زوجته مريضة، كلا لو كانت متوفية لكان تزوج أخرى لتعتني بالصغيرة، إذًا المدام مريضة ولذا يقوم هو باصطحاب الصغيرة لشأن من الشؤون.

جوارهم يقف شاب يرتدي حقيبة ظهر ويضع سمات الأذنين، يحلم بمستقبل ما أو يفكر بفتاته، أشعر كأني أقف أمام لوحة مرسومة على جدار ما، كلُّ منهم يؤدي دوره ببراعة ولا يغفل عن أي تفصيلة، حقيبة ظهر الفتى ستؤكد لك هذا، الفتاة الواقفة شاردة كانت مثالًا حيًا لما أقول، جميلة هي، في العشرينيات، ذات مرة قرأت وصفًا ما في رواية، وصفًا لفتاة.. كانت سوداء كالليل وجميلة كالخطيئة التي لن تجرؤ على ارتكابها، لا أعلم إن كان وصفًا دقيقًا أم

لا، الفتاة كانت خمرية اللون لكنها بالتأكيد شديدة الجمال.. وكأي فتاة فاتنة كانت تقف شاردة، هناك نوع آخر من الجميلات، الذين يقفن بملل يلوح من روحهم ويتظاهرن باللامبالاة ليصدوا أعين الفضولين، هناك سقم يبوح من روحهن يفقدن جاذبيتهن، ولذا وجدت نفسي أبتسم بهدوء إنه لا يوجد سقم ولا ملل في روح تلك الفتاة، هي تمتلك روحًا مشاغبة وشفيتين ذا شخصية شديدة القوية، خلفها تقف امرأة محجبة، نحيفة وفارعة القامة، لها وجه حزين، وجوارها يقف زوجها، متوسط الطول، يمتلك معدة ممتلئة، وعينين محمليتين بالهموم، بإمكانني قراءة شخصياتهم ككتاب مفتوح، تلك فتاة متوسطة التعليم بلا عمل، ابنة طبقة أقل من متوسطة، حاملة وشديدة الرومانسية، طيلة عمرها تحلم بالزواج، وقد تزوجت عن حب بالفعل، أما عنه هو، فقد حولته الحياة بديونها ومسؤولياتها لكائن غاضب لا يعرف لراحة البال طريقًا، راحة البال بالنسبة إليها وهم أو أسطورة..

كلهم يمثلون الحياة الطبيعية بمجرياتها، وأنا أمثل الفوضى، العاصفة التي ستأتي لتوقف سير كل شيء..

ها هم ذا يصطفون بانتظار قطار الأنفاق، ووراءهم أقف أنا بهدوء، نظرت إلى انعكاسي في المرآة الضخمة إياها القابعة

بنهاية المحطة، مجرد رجل نحيف، لا تستطيع تمييز ملامحه بسبب غطاء الرأس، يقف بهدوء واضحًا كلتا يديه داخل جيوب سترته.. الإنذار الباعث للتوتر لقدوم القطار يتعالى، يبدأ القوم بالاقتراب من حافة الرصيف، لحظة الكبرياء تلك، عليك بلحاق دورك والركوب بسرعة قبل أن يفوتك كل شيء، وكأن قطار الأنفاق يرمز إلى الحياة..

يقترّب القطار الحديدي، وأقترّب أنا من المجموعة المتجمهرة أمامي.. الفتاة لا تزال شاردة، لماذا لم تذهبي إلى عربة السيدات يا صغيرتي؟.. إنه القدر بعد كل شيء، لقد اختارك القدر كي تكوني من ضحايا جادو، الرجل وزوجته المحجبة ينظران إلى القطار، ويحيط هو كتفها بذراعه استعدادًا لحمايتها من الزحام، آه لا تقلق بهذا الشأن يا سيدي.. الأب مكفهرّ الوجه ينظر إلى طفله -ولدهشتي- بيتسم مطمئنًا.. ستكون تلك هي ابتسامتك الأخيرة، جادو يؤكد لك هذا.. الشاب ذو حقيبة الظهر ينظر إلى القطار بلا مبالاة ويهز رأسه بتناغم أيًا كان الذي يسمعه.. استمع جيدًا يا صديقي فتلك هي أغنيتك الأخيرة..

القطار يدخل المحطة مسرعًا، الأدرينالين يتفقد داخل جسدي، عليك أن تكون سريعًا كالفهد يا جادو، وخفيًا كالقطط.. سوف تدفعهم جميعًا، تفتح كلتا يديك كأنك

ستحتضنهم جميعًا، ثم تدفعهم وهم على بعد ثوانٍ من
القطار، عليك أن تنتظر اللحظة المناسبة، ولا بد من مقاومة
النظر إلى ما سيحدث، سوف تختفي وسط الزحام..

القطار يقترب، ومعه أقترّب أنا..

أسمع كلمات أغنية كل الفتيات تحبك، وأدندنها لنفسي..

أنتظر اللحظة المناسبة، عندما يقتربون هم بعضهم من
بعض متزاحمين على باب القطار.

أتلّفت حولي، القوم ينظرون في هواتفهم، بعضهم شارد
وقانط، لا يعيرني أحد اهتمامًا، لا يراني أحد.. لكني أراهم..

نظرت الطفلة إلى الخلف، هل شعرت بوجودي؟.. ارتفع
حاجباها إلى أعلى وعلى انعكاس حدقتي عينيها، رأيت
نفسي فاتحًا كلتا ذراعيّ وأنا أنقض عليهم لأدفعهم بكل ما
أوتيت من قوة.. حزن جماعي أخير..

آلية الدفع تلك تعمل حقًا بكل كفاءة..

لقد تعثروا لثوانٍ قبل أن يتساقطوا واحدًا تلو الآخر،
ولجزء من الثانية لمحت وجه سائق القطار الممتلئ
بالروتينية واللامبالاة يتحول لوجه مذعور، الجميع يصرخ،
هرج ومرج.. فوضى الزحام..

كلا، لم أذب وسط الزحام، لقد وقفت لأراقب، أنا أحد المارة
بعد كل شيء.. ومن حقي مشاهدة الحدث..

يسقط كل منهم واحدًا تلو الآخر..

في البدء سقطت الطفلة مع أبيها، لتسبب العجلات
الحديدية في مقتلهم على الفور، أما الفتى ذو السماعات،
فقد سقط في منتصف القضبان، ليلقى حتفه في لحظة
عابرة بعدما فشل في القفز والنجاة بحياته، وحينها احتضن
الرجل المتزوج امرأته المحجبة في محاولة يائسة لحمايتها،
وصرخ: أحبك، لكن القطار لم يبال.. أما الجميلة الشاردة..
فقد كانت خفيفة الوزن حقًا، لقد سقطت دون مجال للعودة
وسرعان ما لحقت بالجميع..

كنت أقف مخطوف الأنفاس، وأنا أحاول اقتناص كل
التفاصيل في تلك الثواني المعدودة.. يا للمتعة.. يا للسعادة..
كلمات الأغنية تُردّد بقوة في أذني، كل الفتيات تحبك، كل
الفتيات تهيم بك..

والآن أخطو إلى الخلف وسط الجموع استعدادًا لرحيل
خافت، كلا لم يرني أحد، بالتأكيد التقطتني الكاميرا
وسيكتشفون فعلتي عند مراجعة ما حدث، ولسوف يسرب
أحدهم المقطع لمواقع التواصل الاجتماعي وهذا هو هدفي
على أي حال، لكنهم لن يتبينوا ملامحي، لقد تأكدت من هذا،

وكلا لم ير أحد فعلتي، لا يوجد شهود، لقد أنقذتني لا بمبالاة القوم وهواتفهم المحمولة قبل قدوم القطار، أرى بعضهم يصور ما حدث، والآخرون يصرخون ويبيكون.. تجمعوا يا قوم، انظروا إلى تلك المفرمة البشرية، واستمتعوا بشعور «هذا لم يحدث لي» ونقُّوا روحكم..

اسمي هو جادو، وكما قلت لكم في البداية، لديّ حاجة مُلِحَّة لا أريد مقاومتها.. وهي القتل..

وما حدث الآن هو مجرد الخطوة الأولى، بداية سلسلة من الأحداث ستجعل القاهرة تعيش في حالة من الذعر، لأن القاهرة قد أصبحت مدينتي الآن.. مدينة جادو..

مرحبًا بكم في مدينة الخوف.

من مذكرات جادو:

أجلس في منزلي، عاري الجذع، لا أبالي بالبرد لأنني شديد الصلابة، أطلع الأخبار الإلكترونية والتلفزيونية، الجميع يتحدث عما حدث، الشرطة لم تُصدر بيانًا بعد، ليأخذوا وقتهم وليراجعوا الكاميرات، لو لم يحدث تسريب لفيديو المراقبة سيتمسكون أمام العن أن الأمر كان حادثة، لأنهم سيتجنبون سخط الرأي العام بأي شكل، وسيبحثون عني في

صمت يائس، أنا لا أخافهم، أنا جادو، كنت متستمعًا بحق بما يحدث على السوشيال ميديا من منشورات عما حدث، الكل يتحدث ويُدلي برأيه، ماذا تعرفون أنتم عما حدث؟.. أنا قد أنهيت حياتهم جميعًا، من الصلاة يتعالى صوت والدتي..

«تناديني باسمي» أين أنت؟

- قادم يا أماه.

اعذروني الآن، على المرء قضاء بعض الوقت الجميل مع والدته بعد كل شيء..

أذهب وأجلس جوارها، ألتزم يدها وتقبلني هي بحنان، ونشاهد فيلمًا لإسماعيل يس ونضحك ملء شدينا..

تقول لي أمي بصوت واهن: كل سنة وأنت طيب يا حبيبي.

آه نسيت أن أقول لكم، اليوم هو عيد ميلادي، أحتضنها برفق، تُخرج هي قلادة صدئة من علبة سوداء، وتقول لي: تلك كانت ملك أمي، تلك القلادة، أعطها الجندي الإنجليزي لجدتك يوم الجلاء، كانت جدتك عشرينية حينئذ، شابة جميلة وفاتنة ابنة ذوات، من حاشية الملك، لم يقتنصها التأميم بعد ولم ينهكها الفقر، جدك أعطها تلك القلادة قبل أن يرحل، واليوم أنا أعطيك إياها، نحن لا نملك سوى تاريخنا يا حبيبي..

أنظر إلى وجه أمي، كانت مسنة بحق، التجاعيد لم تترك مكانًا إلا وغزته، لكن أمي كانت شخصية قوية بحق، شخصية قادرة على إعطاء الحياة تجاعيد وليس العكس، إلا أن المرض اللعين قد أنهكها، وكنت أعلم جيدًا أنها في آخر أيامها، احتضنتها بقوة ووجدت نفسي أذرف دمعة، وهمست لها: سوف أعتني بالقلادة جيدًا، آه لشدة ما أحبك يا أمي..

ذهبت إلى غرفتي حاملاً القلادة في يدي، وجلست أمام مرآتي، ونظرت إلى الورقة البيضاء الكبيرة، التي رسمت بها قصرًا عتيقًا.. كثيرًا ما زارني هذا القصر في أحلامي.. لم أعلم لماذا، لكني رسمته في النهاية.. لا يوجد خطأ هنا، لقد كان القصر هو من يزورني في الحلم ولست أنا، أول مرة قتلت فيها، كنت أرتعش وأتصبب عرقًا، وأشعر كالمخدّر، خلدت إلى نوم متقطع في النهاية، فقط لأرى القصر أمامي.. وشعرت بالهدوء بعدها.. بإمكانكم القول إن هذا القصر هو صديقي بشكل ما..

سمعت أمي تسعل بالخارج، هُرِعت وأحضرت لها الدواء، ثم حملتها إلى الفراش، وأخذتها بين ذراعي وأنا أحكي لها مغامرات السندباد البحري، التي كثيرًا ما حكتها هي لي وأنا طفل.. ونامت أمي بين ذراعي فقبّلت جبينها.

من مذكرات جادو:

في الحلم كنت أسير في شوارع القاهرة الخلفية، إنه وقت الغسق، ونحن في الثلاثينيات الآن، كنت أدرك تلك الحقيقة فحسب دون منطق، وهأنذا أرتدي حلة أنيقة، وأمتلك شاربًا رقيقًا يشع كبرياء، وهناك طربوش رائع فوق رأسي، أسير رويدًا وسط الشوارع الخالية الممتلئة بالضباب، نحن في قلب الشتاء، أسير في زقاق طويل ينتهي بي للإسكندرية لأجد نفسي واقفًا أمام البحر، وهناك حنطور ورائي بلا سائق، أنظر إلى المجهول، لألمح باخرة وسط ضباب البحر.. أنظر إليها في صمت.. ثم ألتفت وأركب الحنطور.. بداخله وجدت ضحايا الأنفاق.. جميعهم.. الزوج يجلس شاحب الوجه، ينظر إليّ بعينين خاويتين قبل أن يقول: رأيت زوجتي؟..

أومأت له برأسي وأنا أقاوم الارتجافة بداخلي، وأشارت جواره حيثما جلست زوجته، لقد أصبحت غريبة المنظر، الدماء في كل مكان، تلك الفاتنة النحيفة التي لقت حتفها في لحظة، الطفلة التي سبقت أبيها، لكنها لا تزال تمسك بيده، لقد عكس الحلم ما حدث في الواقع، ينظرون جميعًا إليّ، أين الشاب ذو السماعات؟ آه ها هو ذا، حالته أسوأ من حالتهم، لقد تغير شكله تمامًا.. ظلوا ينظرون إليّ لثوانٍ ثم بدأوا جميعًا يغنون بصوت واحد: «كل عام وأنت بخير، يا فتى

عيد الميلاد الجميل»..

ضحكت وأنا أنظر إلى مجموعة من الموتى ببقاياهم
الآدمية وهم يغنون من أجلي، وعندما بدأوا في الرقص
شاركتهم، وظللنا دقائق نرقص ونغني ونحتفل معًا..

ثم رحلوا بعدها وسط الضباب وتغيرت المحيطات من
حولي فجأة، عندما تحركت العربة المهيبة التي تجرها
الخيول وسط عاصفة ورياح عاتية.. وجدت نفسي أقف
أمام القصر الذي كثيرًا ما زارني في أحلامي.. هذا القصر
الغامض العتيق.. الذي أخاف الموتى فرحلوا وسط الضباب..
كنت أنظر إليه مشدوهًُا ودقات قلبي تتسارع.. ثم خطوت
إلى الأمام.. قصر ضخم هو، يحيط به سياج عملاق، ويطل
على حديقة خضراء في حين النيل يقبع خلفه.. لماذا أرى هذا
القصر باستمرار؟ وأشعر كأني قدرتي مربوط به؟.. مددت يدي
للبوابة الحديدية لأدفعها وأدخل..

وكأني أدرك أن هذا ليس حلمي، القصر يقدم لي عرضًا
خاصًا، كأنه يحتفي بي بعد قتلي لركاب قطار الأنفاق، كما
قلت لكم أنا أراه فحسب بعدما أقتل..

استيقظت صباحًا، تصفحت الشبكة العنكبوتية، كلهم
يتحدثون عني، لكنني شعرت بغضب عارم، مقطع الفيديو لم
يتسرب بعد، كدت أن أهشم الحاسب الآلي في نوبة غضبي

تلك، ثم أدركت أن هناك طريقة أخرى للتنفيس عن كل هذا الغضب، ولسوف أصور وأنشر ما سأفعله من أحد ملفاتي المزيفة على مواقع التواصل..

ولذا بدأت في مراجعة مكان زيارتي لليوم.. مستشفى الأطفال..

سوف أترك نفس الوريقة الصغيرة التي تركتها في الأنفاق، سيقولون إنني واثق من نفسي لأنها صغيرة الحجم بالكاد يستطيع أحد ملاحظتها، وسأكتب نفس الملحوظة.. وسأرسلها إلى المؤثرين على «السوشيال ميديا»، لن يستطيع أحد إبقاء أمري سرًا..

أما عن تلك الملاحظة فمحتواها بسيط..

«جادو فعلها».

الفصل الثاني

المكان: فيلا عامر عمران - الفيوم.

الزمان: الخامسة مساءً.

كانت تلك هي اللحظة التي قرر فيها الثري العجوز عامر عمران قتل نفسه..

ثم شاهد الأخبار..

فأصبحت تلك هي اللحظة التي قرر فيها الثري العجوز عامر عمران تكوين فريق لاصطياد جادو..

ما حدث كان كالاتي..

تنهد عامر وهو يطالع شريط الأخبار مرة أخرى، قبل أن يغمغم: يا إلهي الرحيم..

وأمامه على التلفاز تحدثت المذيعة الشابة: ما زلنا غير مصدقين لما حدث، اقتحام ملثم ليلي لمستشفى الأطفال الخاص بالشروق، ودخول عنبر الرضع حديثي الولادة و..

بدا لعامر أن الفتاة تعاني الغُصّة وهي تتحدث وتحاول أن تُجبر نفسها على استكمال الحديث، هذا أمر لا يحدث كثيرًا وهو يعلم هذا، على الإعلاميين عدم إظهار مشاعرهم

الحقيقية، رغبًا من أنه يعتقد أن هذا هراء، وأن إظهارها لمشاعرها لهو شيء.. إنساني وبديهي في تلك اللحظة، لكنه -عامر- يعلم دونًا عن الجميع أن الكل قد فقدوا إنسانيتهم..

تواصل الفتاة حديثها: وقيام هذا السفاح بأخذ الرضّع لسقف المستشفى و..

ثم لوّحت بيدها صائحة أنها لن تستطيع الاستكمال..

- هذا شخص سيخسر وظيفته.

تمتم عامر بالعبرة لنفسه، وأردف: أتذكر في القِدم عندما كان الإعلاميون يتحدثون العربية الفصحى، ويمتلكون قدرًا من البلاغة والمهنية، وعندما لم يكن هناك قاتل يدفع بالناس صوب قطار الأنفاق ويرمي الأطفال من أعلى المستشفى..

ثم استرسل عامر في أفكاره..

- ثرى ما الذي سيقوله رشدي كبير الخدم المخلص لو سمعني الآن؟ سيد القصر المُسِنَّ يُخَرِّف بصوت عالٍ، سيفكر رشدي أن الوحدة أتلفت عقلي في النهاية.. لكنه لن يجسر على إعلان أفكاره لأنه لا يزال يؤمن بالاحترام كصفة في التعامل.

تنهد عامر للمرة الثالثة وهو ينظر إلى الفراغ، لقد كان

ينتوي الانتحار منذ دقائق ثم قاده المذيع لمطالعة الأخبار على التلفاز، والآن هو يفكر في شيء أكثر جنونًا من الانتحار، لقد أتلفت الوحدة عقله حقًا، ها هو ذا على مشارف السبعين من عمر، ذكرياته المتلاحقة من حيوات عدة قد أرهقت روحه، كل ليلة يتذكر، لعنته هو قوة ذاكرته، الثورة، الجلاء الإنجليزي، التأميم، النكسة، انتصار أكتوبر، العولمة والانفتاح، الإرهاب، لقد مر بالكثير في حياته، القبطان عامر عمران، سليل العائلة التركية، كان شديد الثراء بالوراثة، وإن تظاهر أمام العامة بأنه رجل عصامي شديد المراس، قضى شبابه كمغامر ورحالة في الأربعينيات، وقد رأى العالم حقًا، لندن وباريس والتبت، الحسنات والفاتنات، عمله قبطان بواخر تجارية وسياحية قد أفاده بحق في تلك المدة، ثم تزوج وأنجب، وطلق، هو لا يعلم شيئًا عن أسرته، يدرك أن لديه أحفادًا لكنه لم يرهم قط، ويثق أن ابنته وابنه بالكاد يتذكرانه، وعندما يفعلان هذا لا بد أنهما يهزان رؤسهما، ويقولان: على الأقل هناك ميراث..

تزوج مرة أخرى أجنبية لمدة أسبوعين فحسب، وقرر بعد طلاقها ألا يتزوج مرة أخرى، قضى حياته في الترحال ثم أصابه المرض العضال، والآن ها هو ذا، وحيد كالأبالسة، يحيا في قصر العائلة بالفيوم.. لم يعد قادرًا على الاستماع بشيء وهو في السبعين من العمر، ومؤخرًا بدأ يخرف، ثم أتت تلك

اللحظة اللعينة عندما استل الوالتر بي بي كيه «سلاح أبيه العسكري» وصوّبه نحو صدغه استعدادًا لإنهاء حياته، بكى قليلاً واعتصر إصبعه الزناد، المذياع يتحدث من الخلف -عامر من جيل المذياع وسيظل محتفظًا به في قلبه في عامنا هذا- يلتفت عامر وينظر صوب المذياع وهو يستمع لجريمة جادو البشعة.. هو لا يلتقط سوى تردد الأخبار على المذياع لأن كل شيء قد أصبح هراء الآن، أحدهم رمى الرضع من أعلى، نفس القاتل الذي سفك بركاب قطار الأنفاق، تاركًا ذات الورقة «جادو فعلها»..

يضع عامر المسدس جانبًا، ويقوم ببطء متجاهلاً آلام عظامه ويذهب إلى التلفاز، ويجلس ساعاتٍ يشاهد الأخبار وهو غير مصدق.. لقد رأى الكثير من أهوال البشر وما يفعلونه بعضهم ببعض في حياته، لكن جادو هذا، تركه للورقة ذات الملاحظة الساخرة، وطرق قتله، هو يفعل هذا من أجل المرح، ينقبض قلب عامر، قبل أن يتأوه ويعود للخلف وهو داعم العينين.. لقد مرت عقود منذ أن شعر بشيء ما، أن يشعر بخقن قلبه، بمشاعر، بأي شيء سوى الرثاء للنفس، لشدة ما افتقد هذا الشعور، وأراد أن يشكر جادو لمنحه هذا الشعور قبل أن يشعر بالخزي من نفسه، أمامه يتحدث أحد الشهود، امرأة ترتجف وتبكي وتقول محدثة بالكاميرا: المشهد كان كالجحيم.. الرضع يتساقطون من أعلى

كالبالونات لتنفجر دماؤهم على الأرض.. يا إلهي.. وكان..
وكان..

اقترب عامر بوجهه من الشاشة ونظر إلى عينيها
الدامعتين، وهي تردف: وكان السماء تمطر أطفالاً.

وفي تلك اللحظة قرر عامر أنه لن ينتحر، لقد كان أنانيًا
طيلة حياته، لكنه سيفعل شيئًا واحدًا صالحًا الآن قبل
أن يفتك به مرضه، سينال من جادو، تحدث مذيع ما عن
تسرب فيديو قتل ركاب الأنفاق للشبكة العنكبوتية، وكذلك
مقطع فيديو لسقوط الأطفال، لم يستخدم عامر الشبكة
الإلكترونية من قبل ولا يعرف عنها شيئًا، ولم يتخيل مدى
انتشار المقاطع، لكنه فهم أن هناك رجلًا يقتل الأطفال،
وركّاب الأنفاق، ويتباهى بأفعاله، وهذا الرجل يُدعى جادو..

طيلة عمره كان عامر يبحث عن إشارة ما، شيء يُخبره أن
القدر يهتم به، وقرر قلبه أن إذاعة أنباء جادو لحظة اعتصار
إصبعه للزناد لهو خير إشارة قدرية، لا يزال أمام العجوز
فرصة ليكفر عن حياته العابثة وفعل شيء مفيد، نعم، سينال
من جادو..

بإمكانك القول إنني أريد الخلاص من متلازمة الرجل الثري

الذي لا يفكر سوى في نفسه، ويعتقد أن الخلود من حقه.

قالها عامر ببطء وهو يتحدث مع رشدي صديقه المخلص وكبير خدم القصر، قبل أن يتابع: رشدي، ربما ما أقوله لك يبدو كأنه ترهات رجل مسن، رجل مخرف.. لكن كون الشيء غير اعتيادي ولم يجربه أحد من قبل لا يعني كونه ترهات.. أحيانًا أتخيل لو أن ابنتي أو أحد أحفادي قد سقط ضحية لهذا المخبول.

- يا سيدي.. أنا أقدّر نيتك المخلصة ولكن الشرطة..

- الشرطة والحكومة بأكملها لا تمتلك ما أملكه أنا.

بدت الحيرة على وجه رشدي فسعل عامر بوجه شاحب، قبل أن يقول: لا أعني المال.. حقيقة أن كل ما أملك من أموال وموارد سيتم تخصيصهم لتلك القضية، لكنني أعني الشيء الآخر وأنت تفهم مقصدي..

تنهد رشدي وهو يفكر أن ولاءه للرجل هو الشيء الوحيد الذي يمنعه من الهتاف: كف عن هرائك هذا..

أردف عامر: الشرطة تمتلك وجهة نظر عقلانية ومادية بحتة، أنا أملك وجهة النظر الأخرى، إيماني بالمجهول، وبقدرات اللاوعي...

- يا سيدي الفاضل.

- لا تقاطعني يا رشدي..

قالها عامر بحزم وأردف: أنا أتحدث معك بصفتي صديقًا
محاوَلًا إقناعك، لكنك ستفعل ما أريد بحكم راتبك الشهري
في نهاية المطاف.

بدا الانزعاج على وجه رشدي، حقيقه أنه قد تعود على
نوبات سيده الهجومية مؤخرًا إلا أن كبرياءه لا يزال يتأذى،
ولكن رشدي نفسه ينتمي إلى مدرسة «احترام رب العمل»..
وهو يأتي من عائلة من الفلاحين الأوفياء الذين بكوا من
أجل الإقطاعيين وقت التأميم وقد ورث وفاء أجداده..
يواصل عامر بنبرة ألطف إزاء نظرة رشدي: آسف! ارتفع
حاجبا رشدي في دهشة لاعتذار سيده السابق من نوعه،
وقال: لا داعي للاعتذار يا سيدي و..

- الكلام مجهد بالنسبة إليّ.. أرجوك اسمعني.

- حسنًا يا سيدي.

- ونفذ ما سأطلبه منك.. كصديقي الوحيد يا رشدي أنا
أرجوك.

- سأفعل كل ما تريد يا سيدي.

ابتسم عامر، الذي قضى أعوامًا يحاول إقناع رشدي بالتخلي عن مناداته بهذا اللقب، وقال: شكرًا لك يا صديقي.

وبينما هو في سيارته متجه إلى القاهرة تردد داخل عقل رشدي كلمات سيده وتفاصيل المطلب الغريب، أو ربما نقول المهمة الغريبة التي أرسل رشدي إلى القاهرة بصدها..

يدير رشدي المقود وصوت عامر يتردد داخل ذهنه:

ربما هو الملل، الثراء، أو الفراغ، ربما فضول الشباب، ربما هي الثورة العلمية التي واجهت العالم بمقتبل شبابي ووعدت العالم بأسرار كثيرة، ربما هو مزيج من كل هذا، لكني كنت مولعًا دومًا بالمجهول، بالبحث في طيات الخوارق، وأنت تعلم أنني قد ذهبت إلى التبت، ولضواحي وأزقة لندن، وقابلت العجر في رومانيا والمجر، تعلم أنني جلست مع الهنود وصادقت أحفاد الغال الذي قيل إنهم لا يزالون يحيون في الشمال، والإشاعات التي تقول إنني تزوجت أميرة من بدو الصحراء، أرى التساؤل يلوح في عينيك، نعم هي حقيقة لكنها كانت جاريتي ولم تكن أميرة بل عاهرة، ولأصدقك القول هي حب حياتي الوحيد.. لقد قابلت الكثيرين.. باحثين وعلماء وآفاقين ومغامرين.. والآن دعني أقول نتيجة بحثي.. هناك شيء ما.. لا أعلم كنهه، لكن المجهول حقًا يحمل الأسرار بين طياته، وإلا فكيف يصف الشهود نفس التفاصيل

عن القرين والروطاش على اختلاف جنسياتهم وبلادهم، في عصر ما قبل التواصل، فسّر لي تلك المخطوطات القديمة التي تحدثت عن الشيء الذي يتمثل بشكل البشر ناشراً الشك والجنون بينهم، وعن حاوي العرب الذي توصل إلى سر الخلود وسر الحياة الأبدية ويحيا بيننا منذ أيام الجاهلية لعصرنا هذا، تجارب السوفيوت إبان الحرب العالمية الثانية عن التخاطر الذهني وتحريك الأشياء عن بُعد، والحقائق المسجلة عن تلك الأمور، وكهنه التبت وأشياء أخرى كثيرة.

لقد رأيت الكثير يا صديقي، الهراء كان أكثر من الحقيقة، لكني دوّمًا كنت أصل إلى حقيقة أن هناك شيئًا ما، لقد ساعدتني أبحاث السير آرثر كونان دويل سيد التحقيق المنطقي، وصاحب أول كتاب في التحليل بالأدلة، ومثله أنا أؤمن بأن هناك شيئًا ما متعلق بقدرات اللاوعي البشر عندما يتحرر، والآن أصغ جيدًا لما سأقول، معرفتي تلك وأبحاثي هي أهم ما نتملك لكي نصطاد جادو، هذا الرجل شر مطلق وعلينا إيقافه، ربما أنت تعتقد أن تلك خرافات عجوز فقد عقله، أنا أبدو كالدجالين أليس كذلك؟ يلجأون للسحر في مواجهة المصائب الحقيقية.

ابنتك يا سيدتي تعاني مسّ الجن في حين المراهقة المسكينة تعاني الاكتئاب الناجم عن الاضطرابات الهرمونية،

لكنك تعلم أنني رجل مؤمن بالعلم كذلك، أعتقد أن فرويد وتلميذه يونج نفسيهما آمنة قليلاً بالمجهول، والآن.. أطلق العنان لخيالك قليلاً، أنا لم أتوقف قط عن أبحاثي حتى والعمر يتقدم بي.. المال يتيح لك هذا، توظف بعض الباحثين، القليل من الرشاوى هنا وهناك، بعض الصحفيين المستعدين لبيع المعلومات، وكلهم لا يسألون ولا يتشككون، بالنسبة إليهم أنا ثري يعاني الوحدة، وأبحاثي المعاصرة تقول الآتي.. هناك أناس في القاهرة قادرين على إيقاف جادو.. سنقوم بتكوين فريق، وسندفع لهم، كن حريصاً، كلٌ منهم ليس بشخص عادي، وهناك شيء من الظلام بداخلهم، بعضهم امتلك عنوانه وبعضهم امتلك عنه معلومات فحسب و عليك إيجادهم، هم خمسة، الأول يدعى سليم، كاتب وروائي، مر بحادثة قاسية ودخل في غيبوبة طويلة، وعندما عاد، عاد بعد أن تحرر جزء من لا وعيه، هذا الرجل يمتلك قوى ذهنية خارقة، وهي القدرة على التحكم بالواقع، إذ كتب شيئاً ما في رواية يتحول لواقع فوراً، لا تمتعض كهذا يا رشدي، أطلق العنان لخيالك فحسب، الشخص الثاني فتاة تُدعى رودينا، ممثلة مسرح تمتلك القدرة على قراءة الأفكار، وتلك قدرة ذهنية تقليدية لا تمتعض أنت لها لأنك سمعت عنها من قبل، غريب هو أمر الأشياء التي نعتادها والأشياء التي لا نعتادها، كيف نقبل الأولى مهما كانت

منقّرة ونرفض الثانية رغماً عن جمالها.. الشخص الثالث محقق تأمين متقاعد، يعمل في فريق مع كاتبة أخرى تُدعى ناردين الصباغ، كاتبتنا تلك وهذا المحقق لهما خبرة لا بأس بها في التحقيق عن الماورائيات، أراك تهز رأسك في عدم تصديق، ستصدق عندما تراهم، اسم المحقق هو صلاح، الرابع هو الأهم.. والأصعب.. ربما يكون أسطورة شعبية، ولعله حقيقي.. يقولون إن هناك رجلاً يحيا بين الأنفاق بعد أن زهد الحياة، يمتلك قدرة خاصة جداً وهي الغضب، هذا الرجل تعرّض لشيء ما، فقد أسرته أو أحد أحبائه على يد شخص مثل جادو، فوهب نفسه للانتقام، هو يحيا فحسب من أجل اقتناص من هم مثل جادو، والإشاعات تقول إنه قد أصبح شديد الصلابة، ويمتلك عقلاً تحليلياً قوياً في تتبّع مَنْ يؤذون الغير، كما قلت آنفاً لا أعلم إن كان هذا الرجل موجوداً حقاً أم أنه مجرد أسطورة شعبية.. لكن تلك هي مهمتك أنت، لو كان موجوداً فعليك أن تجده.

يتلاحى الطريق أمام عيني رشدي وهو يقود السيارة ويكرر نفس السؤال للطريق، نفس السؤال الذي أعطاه لعامر.

- وماذا عن الخامس؟

يصمت عامر قليلاً، قبل أن يقول: الخامس ليس مثلهم.. الخامس مثل جادو.. وهو في مصحة نفسية، مصحة تُدعى

مصحة الأفق.. وربما بحسب بحثي فهو في نفس خطوة جادو.. لكنه قادر على مساعدتنا في فهم شخصية ودوافع الأخير..

هز رشدي رأسه، على الأقل هو يفهم هذا المنطق، لا يفل الحديد سوى الحديد..

بعد ساعة تصل السيارة برشدي إلى القاهرة.. ويقول الأخير محدثًا المحافظة العجوز: جادو والفريق من المخابيل الذين سيحاولون إيقافه لو وجدتهم، سنمر بأيام عجيبة معًا.. ولسوف تكونين شاهدة على تلك الأيام.

بدا له أن القاهرة تستمع له في صمت، قبل أن تشيح بوجهها بعيدًا.. بدا لرشدي في تلك اللحظة أن القاهرة تريد تحذيره، ولكن هناك شيء ما يمنع المدينة العجوز من البوح بمكنون صدرها..

الفصل الثالث

من مذكرات جادو:

أين أنا الآن؟.. أنا أحدثكم من داخل خزانة ثياب علا، هي لا تعلم أنني في غرفتها في تلك اللحظة، أنا حقًا أحب علا، وهي تحبني أيضًا، هي فقط لا تعلم بوجودي بعد.. دعوني أخبركم بم كنت أفكر ولماذا أنا مبتهج قبل أن أصف علا لكم..

الجميع يتحدث عني، وهذا أمر جميل للغاية، هم يعلمون أن الهول قادم إليهم، ما حدث في الأنفاق وفي مستشفى الرضع كان مجرد بداية، دخول درامي على المسرح ليس أكثر، الآن يبدأ المرح الحقيقي، تخيلت نفسي أجلس مع إعلامية شهيرة في برنامجها، وأقول لها ولجمهورها: دعوني أشرح لكم دوافعي، لعلكم تتفهمون موقفي، أنا أحب النساء، أنا حقًا أحب النساء.. ولهذا أقتل، قد يبدو الأمر غير منطقي وغير مترابط، لكن حاولوا أن تتفهموا وجهة نظري، أنا أشعر بالغضب كلما شاهدت فتاة جميلة وأنا أعلم أنها لن تكون لي، أنزعج من فكرة أنهم حلم بعيد المنال، فيتحول إعجابي بهن إلى غضب، تلك المراهقة بنظرتها الحائرة، وتلك الثلاثينية، بشعرها الجميل.. يا إلهي أنا أستحق تلك السعادة المطلقة بوجودهن معي.. ولشدة ما أشعر بالغضب أن ذلك لن يحدث، ولذا سبيلي الوحيد للتنفيس عن هذا الغضب هو القتل..

أنا أحب القتل، ليس مثل النساء، آه دعوني أوضّح، لا يوجد شعور أفضل من قتل النساء الجميلات، أراكم تتساءلون لماذا إذا قُتِل الرضّع وركّاب الأنفاق؟.. لأنني كنت بحاجة إلى دخول درامي، لأنّ حقق أكبر قدر من التفاعل مثل هؤلاء المسوّقين على مواقع التواصل الاجتماعي، لأنني بحاجة إلى أن يعرف الجميع من هو جادو، حسناً ليس من هو لكن ما أنا قادر على فعله، فكرة أن الجميع خائف من فعلتي القادمة تُشعرنني بنشوة لا مثيل لها، والآن دعونا نتحدث بصدق، أنا لست قاتلاً متسلسلاً، أنا قاتل.. القاتل المتسلسل يتّبع نفس النمط وهناك دومًا علاقة بين الضحايا، وفي الأغلب يكون على معرفة بضحيته الأولى، حقيقة أنني أتصرف قليلاً مثل القتلة المتسلسلين، في طريقة تَرْكي لرسائل الإعلام وكل تلك الطرق، ولكنني أعلم أنني أفعل هذا بسبب حب الظهور، الجملة القادمة شديدة الابتذال لكن كل فنان بحاجة إلى تقدير ما لأعماله، تخيل لو أن أحدًا لم يرَ رسومات فان جوخ، أو لو أن بيتهوفن قد رفض مشاركة معزوفاته مع العالم.. لكننا لسنا في عصر بيتهوفن وجوخ، نحن في عصر المؤثرين على التواصل الاجتماعي والشبكة الإلكترونية، وأنا المؤثر رقم واحد الآن، بأكثر عدد متابعين.

يصفق الجمهور بحماسة وتبكي الإعلامية تأثرًا..

استرعت علا على انتباهي بالكامل عندما دخلت غرفة نومها..

كانت تقف أمام المرأة تُبدّل ملابسها.. في حين عيناى تتسعان بإعجاب وأنا أراقبها.. دخلت الغرفة فتاة أخرى آه تلك أختها علياء.. فاتنة مثلها، أحبها بشدة كذلك، لقد درستهن جيدًا، كلتاهما في الجامعة، علا تدرس الطب، وعلياء في كلية الصيدلة، والدتهما متوفاة، تعيشان مع والدهما، طبيب يدعى أنور حمدان، في الأربعينيات من عمره، يقضي أغلب وقته بالمستشفى، علا هي الكبرى وهي الشخصية الأقوى والأكثر استقلالاً، لم يكن من السهل التسلل إلى منزلهم، شهورًا من التخطيط، والتفكير، كيف دخلت لبيتهم؟.. حسنا سأقول لكم سرًا صغيرًا، أنا أنتحل شخصية مُحصل الكهرباء، أدخل البناية، حارس العقار قد اعتاد زيارتي كل شهر، وفي الميعاد المختار أصعد ولا أخرج، الميعاد المختار هو وقت العصر؛ لأنني أعلم أنه سيذهب للصلاة وسيفترض أنني خرجت في غيابه، أختبئ في المنور مع الفئران منتظرًا حلول الظلام، بعدها تبدأ مرحلة التسلُّق للمواسير، عليك أن تكون هادئًا وواثقًا من نفسك وأنت تفعل هذا، السرعة والتهور قد يسقطانك أو يؤديان إلى انهيار الماسورة العتيقة، عليك الاحتفاظ بالتوازن النفسي والجسدي، أصل إلى الدور الثالث حيث تقطن الجميلات، لكم من مرة طرقت بابهم

متفقدًا عداد الكهرباء، يختلج قلبي وهي تنظر إليّ بعينيها الساحرتين، أنا حقًا أحبها، هي وأختها.. أبتسم وأنا أفكر فيهن وأنا أعمل «هَجَام» بيوت «وأطفش» نافذة المطبخ، إنها الثانية صباحًا، أعلم أن كلهن نيام ووالدهن في نوبتجية الصباح بالمستشفى، سيندم على ترك بناته أشد الندم، أزحف على الأرض، أزحف بهدوء وببطء مازًا بالصالة، كل البيوت سيان، أصل إلى غرفة فأفتحها ببطء وبهدوء عارقة، لا أحد بالداخل، تلك غرفة الأب إذًا، أقف وأسير في الظلام وأفتح باب غرفة علا وعلياء.. أسير على أطراف صوابعي، وأنسل إلى خزانة الثياب الضخمة والخاصة بالأختين..

قضيت يومًا كاملًا، أراقبهما، أسمع أحاديثهما، وأتراجع للخلف لئببتعني الظلام كلما فتحوا الخزانة...

ثم أتت اللحظة المنتظرة، وضعت السماعات في أذني وبصوت خفيض استمعت لأغنية كل الفتيات تحبك، رائع هو حسام حسني.. كأنه كان يحدثني أنا عندما غنى تلك الكلمات، وخرجت من الخزانة، علياء بالصالة تشاهد التلفاز لأنها تعاني الأرق كعادتها، وعلا نائمة أمامي على الفراش، صدرها يعلو ويهبط ببطء.. احتفظت بطرف سماعة واحدة في أذني لأنني أريد سماع صوت أنفاسها.. وضعت هاتفني وبدأت التصوير، مقطع آخر سوف ينتشر قريبًا..

يقترّب جادو العظيم من علا يا سادة، ويحكم قبضته عليها، تتحرك الفتاة ببطء ظنًا منها بأنه حلم.. فيبتسم جادو وهو يغمغم: أنا الكابوس، تنتفض، تشهق، تتشنج حتى تهمد حركتها..

يتراجع جادو للخلف الآن تاركًا جثة علا..

أنظر إليها، تبدو أجمل الآن، عمل فني كامل والدماء تنساب على وجنتيها كالدموع.. أخرج من الغرفة متجهًا إلى علياء..

بعدما أنتهي منها أضع رأسها بعناية في الثلاجة تاركًا جسدها فوق الأريكة.. ثم ألث في انتشاء في منتصف الصلاة، وأنا أعيد سماع الأغنية مرة أخرى. «كل الفتيات تحبك.. كل الفتيات تهيم بك»..

هنا شهقت وأنا أرقص، لقد رأيت القصر مرة أخرى أمام عيني.. صديقي الوحيد فخور بي.. وقفت مبهورًا أنظر إلى القصر، أول مرة أراه وأنا مستيقظ، ما هو كُنه هذا المكان؟.. شعرت بأنفاسي تتلاحق واتسعت عيناى، هناك بلدة مهجورة يطل عليها القصر المهيّب.. وضباب، الكثير من الضباب..

ثم عاد كل شيء كما كان..

أعلم أنه عليّ الرحيل، لكنى لا أطيق الرحيل، أريد مشاهدة الأب عندما يعود، أريد امتصاص رد فعله عندما يفتح

الثلاجة ليجد رأس ابنته بالداخل..

حسنًا، سوف أنتظره..

من مذكرات جادو:

لشدة ما أكره الانتظار، هاتف علا يرن، أم أنه هاتف علياء..
كلا هذا هو هاتف علا، أتتبع مصدر الصوت حتى أجد الهاتف،
أفقد هوية المتصل، اسم فتى جواره علامة قلب، هي تحب
غيري إذًا، الساقطة، يجتاح الغضب جسدي، وأرمي الهاتف
صوب الحائط بقوة ليتحطم، أبحث عن هاتف علياء، أعلم
أنها كانت مخصصة لي - بخلاف أختها- وفي النهاية أجد
هاتفها، تبًا هناك كلمة سر، أقضي دقائق محاولًا فتحه دون
جدوى، ألقيه جانبًا، هنا ألمح حاسبها الآلي، كان مفتوحًا
وشاشته تنظر إليّ من مقعد جوار الأريكة.. أجلس أمامه،
هناك رسائل عدة من صديقة لها كانت تتحدث معها على
«الفيس بوك» قبل مدهمتي لها، أتذكر الآن كانت جالسة أمام
التلفاز والحاسب، لم أنتبه في خضم كل الحماسة، صديقتها
تتساءل أين اختفت؟.. أبتسم أنا وأرسل إلى صديقتها:

- أنا هنا.

- «أين كنتِ يا بنيتي»؟

صديقتها الخرقاء تتحدث بلغة الفرانكو، انظر إلى تاريخ المحادثة بينهما، آه يا علياء لم تخيبي ظني قط، كانت تتحدث بالعربية.. تجيب صديقتها: «مشاجرة مع علا».

- كنت أختبر مدى ذكائي في تقمص شخصية علياء من واقع طريقة كتابتها، هل سأنجح في إقناع صديقتها أنني هي؟..

- علياء ماذا سنفعل بشأن أحمد؟

- قلت لك يا سها، أنتِ تستحقين من هو أفضل، عليك مقاومة شعور أنك ستحدثين معه.

- وماذا لو أرسل إليّ رسالة؟

كنت أضحك وأنا أكتب الرسائل لسها تلك، وطالعت عيني لأعلى فوجدت محادثة أخرى مخفية، مجموعة تحادث تضم علا وعلياء وفتاة تُدعى سارة، يتحدثن بجدية وغموض عن فتى يُدعى سامر، لقد ارتكب فعلة شائنة ما، لا يهم، كل تفاصيل حياتهم المهمة أصبحت ثانوية الآن بعد دخول جادو العظيم حياتهن، عدت للمحادثة الحالية مع تلك الخرقاء سها، ماذا لو عرفت أن أحدهم قطع رأس صديقتها، وهو من يتحدث إليها الآن.. ضحكت وأنا أكتب لها..

كان هذا عندما سمعت المفاتيح تعمل في الباب، لقد وصل
د. أنور حمدان..

جزء من خبر بجريدة إلكترونية:

العثور على جثتين، لطالبتين جامعتين، في منزلهما، وقد
قام القاتل بتمثيل بأجسادهما بأشبع الطرق ولا يزال البحث
عن والدهما مستمرًا.

منشور على صفحة تواصل اجتماعي:

نحن لسنا بأمان في بيوتنا..

جادو هو مرتكب تلك الجريمة أيضًا، الخبر مؤكد.. جادو هو
قاتل علا وعلياء.. لقد ترك بطاقته هناك.

منشور آخر:

شاهد قبل الحذف مقطع الفيديو الخاص بقتل الفتاة إبان
نومها:

جزء من التعليقات على المنشور السابق:

«لا حول ولا قوة إلا بالله».

«ليرحمهما الله».

«أين والدهما يقولون إنه اختفى».

«ألم يتساءل أحد لماذا تحيا فتاتان بمفردهما في هذا الوقت من الليل.. الجزاء من جنس العمل».

«العالم كله ينقلب لمقتل فتاتين ولا أحد يهتم برغاب الأنفاق».

«أنا لم أقل إن الفتاتين أهم من رغاب الأنفاق».

«وماذا عن الرضع أيها اللامبالون السفلة»؟

«الهول قادم إليكم».

«ربنا يوفقك يا جادو».

من مذكرات جادو:

ينفتح الباب ويدلف أنور، ينظر كالمصعوق إلى جسد ابنته على الأريكة، يصيح: علا.. علياء!

تبًا صوته عالٍ، قفزت وأنا أصيح وداهمته، سقطنا نحن الاثنان أرضًا، كان صلبًا، لكنني ظللت أضربه فوق رأسه دون

توقف حتى كف عن الحركة، كنت أشعر بغضب جنوني، لم تسر الأمور وفق الخطة، لم يذهب الأحمق إلى الثلاجة ويرى رأس ابنته، أكاد أفقد عقلي عندما لا تسير الأمور وفق الخطة، أضربه مرة أخرى فأشج رأسه وتنساب دماؤه، يتآوه وهو يحاول التحرك، أسبه وأبصق في وجهه، ثم أوصل الضرب وأنا محمر الوجه، ثم أتوقف تمامًا، هل سمع الجيران تلك الجلبة؟ هل سمعوا صيحته؟ هل سيبالون؟.. أقف وأنا ألهث وأجاهد لالتقاط أنفاسي من الانفعال، يمر الوقت ببطء، لم يأت أحد، الجيران ثلاثة أنواع، المتشكك الذي سيطرق بابك، واللامبالي، وطالب الشرطة.. هل سيطلبون الشرطة؟.. الشرطة تستغرق وقتًا على أي حال، حسنا يا جادو كن هادئًا، كل شيء على ما يرام..

السادسة صباحًا لم تأت بعد، لقد حان وقت الرحيل..

أنظر إلى أنور وأغمغم: لقد أثرت غضبي حقًا، أنت قادم معي..

لم يكن الأمر صعبًا، وضع الرجل داخل حقيبة السفر الضخمة، كسرت كلتا ساقيه كي أستطيع إدخاله، حملته معي إلى السيارة، وقت صلاة الفجر قد مر عليه ساعة، ولن أجد أحد الجيران عائدًا بالإفطار من الخارج، أضع الحقيبة في السيارة.. وأقود بعيدًا، وبعد وهلة يعود الهدوء إلى جسدي،

وأبتسم..

الفصل الرابع

يوقف رشدي سيارته، وتطالع عيناه ورقة الملاحظات التي دوّن عليها أسماء أعضاء فريق عامر عمران لتقّي أثر جادو والكشف عن هويته، نظر إلى الاسم الأول والعنوان.. ثم رفع رأسه صوب البناية التي يقطن بها سليم.. وتذكر كلمات عامر: سليم كاتب وروائي، أدخلته حادثة سيارة في غيبوبة عميقة لأعوام، وعندما عاد للحياة، اكتسب قدرة خاصة، بسبب غيبوبته، وبعد أن تحرر جزء من قدرات العقل البشري اللا محدودة، وتلك القدرة هي الإرادة، أي كان ما يكتبه سليم بخياله سوف يتحقق في الواقع.

هز رشدي رأسه مغمغماً: يا للهراء!

نظر سليم إلى الحشد من الطلاب الجالسين أمامه في المحاضرة، ثرى ماذا سيكون ردة فعلهم لو علموا أن أستاذهم، الكاتب الوقور.. قادر على أن يغير الواقع ويملي عليه إرادته بكتاباتة، بإمكانه جعلهم أجمعين أن يقفوا ليرقصوا ببلاهة دون توقف، تلك الموهبة التي اكتسبها سليم بعد عودته من الغيبوبة، يتحرر جزء من وعيه ويصبح لخيال سليم القدرة على التجسّد والتحقّق..

يهز سليم رأسه وهو مغمض العينين فوق الفراش، ويقول لنفسه: سحقا لذكرياتي، أنا لم أعد ناجحًا ولم تعد هناك محاضرات ولا طلبة ولا أحد يبغي سماع أي شيء أقوله.

ثم شعر بالألم في قلبه، وهو يكمل: ولم يعد هناك من يريد أن يقرأ..

الحقيقة أنه لم يكتب حرفًا منذ أعوام..

فتح سليم عينيه وأغلقهما للمرة السابعة، تبًا هو لا يرغب في الاستيقاظ لمواجهه يوم آخر، هذا شعوره الصباحي المعتاد، كان يستلقي على ظهره ويرمق السقف، صوت دقات الساعة يدوي داخل عقله، هو حقًا لا يرغب في النهوض، حاول أن يعتدل في رقدته دون جدوى، وغمغم لصديق مخيلته الجالس جواره يدخن الغليون: لا تنظر إلي هكذا..

- أنا لم أفعل شيئًا.

- نظراتك تقول الكثير.

- أعتقد أن عليك مواجهة الحقيقة يا سليم.

- إني كاتب يحيا وحيدًا ويتحدث مع تجسيد للكاتب إدجار آلان بو في مخيلته.

- كلا، تلك حقيقة قديمة ولن تفيدنا في شيء الآن.

تنهد سليم، أول مرة رأى إدجار آلان بو في مخيلته، وتحدث معه، كان إبان غيبوبته، ذكريات الغيبوبة تختار توقيتات مختلفة للطيف داخل عقله، أحيانًا في نهاية اليوم وأوقات أخرى في بدايته، ربما تختار أن تمر بعقله وهو وحيد أو هو وسط البشر، هي لا تبالي كثيرًا - ذكرياته- بالتوقيت، والآن هي قد اختارت أن تداهم عقله في بداية اليوم، وهذا يزعجه كثيرًا، لأنه سينجم عنه حالة ذهنية سوداوية طيلة اليوم، عاد سليم بظهره إلى الخلف، وغمغم: حسنًا..

للحياة دومًا طريقة في تغيير مجرى حياتنا، تأتي إحدى اللحظات السريعة لثُحْطَم من كل الخطط وتغيّر الواقع بأسره، حياة سليم قبل الحادثة كانت حياة كاتب ناجح يهَمّ بالزواج، ثم وقعت الحادثة وقضى أعوامًا في الغيبوبة وانفضَّ الجميع من حوله.. كلا لم ينفضوا، لقد نسوا وجوده..

يتذكر سليم اللحظة التي غيرت حياته وهو يقود السيارة، بعدما أعطى محاضرة مهمة بحكم كونه باحثًا جنائيًا، كان ذاهبًا إلى دار النشر لتوقيع عقد كتابه الجديد، يمر الشاب الطائش جواره وهو مشغول الذهن مع فتاته، ويصطدم بسيارة سليم، تنقلب سيارة الأخير عدة مرات، الألم العارم يجتاح جسده، ضلوعه المهشمة، رثته المثقوبة، والغيبوبة،

كان محتفظًا بوعيه، ويدرك محيطاته لكنه غير قادر على الحركة، هلاوس عدة مرات في ذهنه، رجل الغيبوبة الذي يعاني الأرق، ومن هنا قابل كاتبه المفضل في دهاليز عقله ونشأت الصداقة بينهما، وصار إدجار آلان بو شخصًا له وجود يومي في حياة سليم.. توفت والدته إثر أزمة قلبية بسبب حادثته، وتزوجت خطيبته صديقه المقرَّب، ويشعر كأن تلك حتميات درامية لكل مَنْ يمْرُّ بالغيبوبة، وبعد دهور من الزمن استيقظ سليم، أفاق من غيبوبته، وجد أن الجميع قد نسي من هو، دار النشر لن تنشر له، قراؤه ذهبوا بعيدًا، والدته رحلت، وفتاته أضحت زوجة رجل آخر، وفي ليلة ممطرة جلس سليم وحيدًا محاولًا أن يكتب مرة أخرى، فوجد نفسه يكتب ما تمناه، أن تعود له فتاته وتترك زوجها، وبعد ذلك بنصف ساعة وجدها تطرق بابَه بملابس النوم وهي مُبلَّلة كالقطط من العاصفة، وتبدو كالمنومة المغناطيسية.. حينئذ قال له إدجار آلان بو: لقد تحرر جزء من لا وعيك إبان غيبوبتك، وأكسبك تلك القدرة، قدرات العقل البشري لا حدود لها، وأنت الآن تمتلك موهبة خاصة، القدرة على تغيير الواقع بما تكتبه..

لم يصدق سليم الأمر في البداية، وجربه عدة مرات، وفي كل مرة ينجح الأمر، لكن هناك قواعد، لا بد له من التعامل مع الشخص والمكان الذي سيكتب عنه ليتحقق ما يكتبه،

لا يمكنه كتابة أن يقوم مسؤول ما بعمل شيء دون أن يتسنى لسليم فرصة مقابلة هذا المسؤول، ولذا لن يستطيع أن يكتب.. أن يحل السلام العالمي أو يصبح الجميع أثرياء وسعداء، تلك أشياء لن يتحملها الخيال نفسه، وهكذا أضحت الفرصة في تغيير العالم محدودة، لكنه تعلّم التعايش معها، ماذا عن خطيبته السابقة؟.. لم يكن ليريدها تحت تأثير الخوارقيات فكتب في قصة قصيرة أنها قد عادت لزوجها، ولكنها لن تتركه يمسها أبدًا وبهذا يكون قد حصل على انتقامه الصغير.. مرت الأعوام.. وها هو ذا الآن، الكاتب السابق، الباحث الجنائي الذي كف عن مزاولة المهنة، يجلس على الفراش ويحاول أن يجد الرغبة لكي يستيقظ..

قال له بو: الحقيقة أنك تعاني الاكتئاب.

- يا لها من جملة مستهلكة!

- أنت بحاجة إلى شيء ما يشغل ذهنك يا سليم، الفراغ يوشك على إتلاف روحك.

- إليك عني.

- أنت تعلم أنني أقول الحقيقة.

شيء آخر كان سليم يفعله، هو عاطل الآن، ويجني الأموال ببساطة عن طريق خدعة أنه يذهب إلى المتجر أو مصرف

الأموال، بعدما يتعامل بشكل مباشر مع الموظف؛ ليكتب في
مفكرته الصغيرة ما يريد ويحصل على الأموال ويرحل، لم
يؤنبه ضميره لأنه لم يأخذ الكثير قط، فقط ما يكفيه كي
يحيا..

- حاول النهوض يا سليم.

- أنا حقًا لا أريد فعل هذا.

ثم زفر بقوة، ونظر إلى مفكرته الراقدة فوق الكومود
جواره تنظر إليه ببطء، التقطها وكتب فيها: ونهض سليم
بطاقة لا مثيل لها..

بعد دقائق هبّ سليم واقفًا من الفراش.. قال له بو: لماذا لا
تكتب: «وشعر سليم بسعادة غامرة مدى الحياة»؟

- أنت تعلم أنني قد جرّبت هذا من قبل، الأمر كان يبدو
كالمخدرات، سعادة زائفة.

- أي شيء أفضل من حالتك تلك؟

- ربما أنت محق.

- لماذا أنت شاردي؟

قالها بو وهو ينظر إلى سليم الذي قَطَّب جبينه قبل أن يرد
محدثًا نفسه: كنت أتذكر هذا الحلم الغريب، حلمت

بقصر غامض وعتيق، له سياج عملاق، قصر شديد الضخامة
يطل على حديقة خضراء والنيل من خلفه، يطل على بلدة
مهجورة يملؤها الضباب.. شعرت بانقباض رهيب وأنا أقف
أمام القصر.. لم أشعر أنني حلمت بالقصر، بل إنه هو من
اقتحم حلمي..

رفع بو حاجبيه وأردف سليم نافضاً الحلم عن ذاكرته
وناطراً إلى وجهه الشاحب في المرأة: ربما أنا بحاجة إلى
شيء ما قادر على انتزاعي من كل هذا الفراغ..

وفي الخلفية بإمكاننا رؤية -عن طريق زجاج نافذته-
رشي وهو يتقرب من البناية التي يقطن بها سليم..
وبقليل من التركيز بإمكاننا أن نلمح الاسم الثاني في ورقه
ملاحظاته.. رودينا.. الفتاة التي تقرأ الأفكار بحسب مزاعم
عامر المخبول..

كانت رودينا في التاسعة والعشرين، سوداء الشعر،
متوسطة الطول، تشبه بشدة رسومات اليونانيين عن فتيات
العجر شديدي الجاذبية والجمال، بإمكانك تمييز روحها
المشاغبة عن طريق عينيها السوداوين فحسب..

وقفت رودينا على خشبة المسرح ورفعت يديها للسماء،

وصاحت: أكون أو لا أكون.. تلك هي المعضلة..

كانت ترتدي فستانًا أبيض جذابًا، وتلوح بسيف تحمله بين يدها، يقترب الرجل المرتدي زيّ الشبح ويستند إلى شجرة في غابتهم أمام الجمهور، ويقول لها: اسمعيني يا هاملت، عليك مواجهة الحقيقة.

تبًا لتلك الفتاة الخرقاء ولأمثالها جميعًا، هاملت رجل، شكسبير رجل، لكنها تمتلك ساقين رائعين والحق يقال.. كما أنها حتى لا تستطيع حمل السيف..

نظرت رودينا إلى قائل العبارة، كان يجلس في صمت وهي قد قرأت أفكاره فحسب، رجل وقور يجلس مع زوجته وينظر إليها في صمت، تجاهلته رودينا وواصلت التمثيل، من الصعب أن تكون ممثل مسرح وأنت قارئ أفكار، تسمع أفكارهم في صورة عبارات واضحة تخترق أذنك، مثلما حدث معها الآن، لكنها تمرّنت ألا يفسد هذا شغفها الوحيد في الحياة وهو التمثيل..

بعدما انتهى العرض ولم يصفق أحد انسدل الستار ونظر مخرج المسرحية إلى رودينا التي هزت كتفيها، ضحك لها، وقرأت هي أفكاره بوضوح: كنت أعتقد أنها فكرة جيدة، أنا آسف..

لقد واقفت رودينا على البطولة في مسرحيته لأسباب عدة، لكن أولها كونه غير مهتم بها كفتاة جذابة، أن تكون فتاة تمتلك القدرة على قراءة الأفكار، لهو أمر يُمثّل تحديًا حقيقيًا في التعامل مع الرجال.. كما أنها أرادت قول عبارة «أكون أو لا أكون» التي استقرت في لا وعيها -مثل الجميع- في مرحلة المدرسة والطفولة.. وبعد لحظة انتظار طويلة وهي تُمثّل المشاهد الأخرى وتتفوّه بعبارات شكسبير، حتى أتت لحظة «أكون أو لا أكون» الشهيرة.. والآن وقد قالتها، فلقد اكتشفت معني جديدًا لخيبة الأمل..

خرجت رودينا من المسرح وسارت بهدوء في الشارع، طيلة عمرها وحيدة، وقد قضت حياتها كفتاة غجرية حقًا، هربت من أهلها الإسكندرانيين وهي مراهقة لأنها لم تتحمل الأفكار التي تدور بعقلهم، ونزحت إلى القاهرة، الحل الوحيد لها أن تعيش وحدها، كان الأمر كابوسيًا في البداية، فتاة وحدها في تلك المدينة، لكنها صمدت، استطاعت بمعجزة إكمال تعليمها بجانب عملها المتواصل في شركات بلا روح، خدمة عملاء، سكرتارية إلخ إلخ، لكنها لم تتخلّ قط عن شغفها بالتمثيل، وللحظتنا تلك هي لم تجن شهرة ولا أموالًا، لكن يكفيها شعور السعادة وهي على خشبة المسرح.. طيلة عمرها وحيدة لكنها لم تعد وحيدة الآن، منذ أعوام قابلت رفيقتها في السكن، ومع الوقت كوّن الاثنتان عائلة صغيرة..

كانت رودينا تُصَفِّر وهي تسير في الشارع وتتساءل عن العشاء الذي ستتناوله مع صديقتها، وهي تتجاهل أفكار الناس من حولها، من الصعب أن تكون فتاة وتسير في الشارع وحدك، فما بالك لو امتلكت تلك الفتاة القدرة على قراءة العقول؟.. لقد اكتسبت رودينا خبرة ما في التنقيح.. في اختيار أية أفكار تقرأها وأية أفكار ترفضها، لكن أحياناً ينساب البعض لعقلها دون إرادتها خصوصاً عندما تشرد.. «انظر إلى تلك الساقطة».. الفكرة كانت قادمة من سيدة وقور تجلس جوار زوجها في سيارته، نظرت رودينا إلى المرأة بطرف عينها، وسمعت فكرة أخرى قادمة من نفس المصدر «ليتنى كنت مثلها، شابة وجميلة».. مرت حافلة ممتلئة بالركاب وشعرت رودينا بالتوتر، أفكارهم ستفسد يومها بالتأكيد.. «أريد تلك الغانية».. «انظر إلى هذا السروال الضيق».. «يا لها من جذابة».. «ليت زوجتي كانت نحيفة مثلها».. «لو أحببتي فتاة كنتك سأكون سعيداً جداً».. «أريدها كجارية».. توقفت رودينا لتمر الحافلة.. أفكار الغرباء قادرة على تمزيق روحك أحياناً.. ثم انتبهت إلى قط على حافة الطريق ينظر إليها، نظرت إليه وابتسمت.. وهي تقرأ ما يدور بخلده.. كانت تقف بانتظار الحافلة التي سثقلها إلى منزلها، ونظرت إلى لافتة إعلانية عليها صورة فتاة شابة تسوق لمنتج ما.

كانت الفتاة تبتسم لكن أفكارها قالت لرودينا إنها حزينة وتُفكّر في إنهاء حياتها، أحيانًا يحتفظ الجماد بأفكار الشخص وقد تعلمت رودينا أن تلقّب هذا بأثر البصمات، ذات مرة التقطت كوبًا فانسابت إليها ذكريات صاحبة بالكامل، وأحيانًا في السينما تقرأ الأفكار الحقيقية للممثلين، كان هذا يفسد الفيلم بجدارة، ذات مرة قرأت أفكار فاتن حمامة الحقيقية في فيلم سيدة القصر، وفي مرة أخرى أدركت أن عبد الحليم كان يُفكّر في سعاد حسني، في حين عماد حمدي يخبره أنه لقيط ويطرده من بيته في المشهد الشهير، وتعلمت رودينا أنها قادرة على معرفة الكثير من الأسرار لو أرادت، لكنها تشعر أنها لو مضت بهذا الطريق ستدفع ثمن المعرفة بسلامة عقلها، وهكذا تعلمت مع الأعوام التحكم بموهبتها والاستمتاع بالأشياء، دعك من المرة التي التقطت في رواية لتقرأها، فقرأت أفكار البائع الذي أمسك الكتاب بيده، ثم قرأت أفكار الكاتب بعد ذلك، وكيف أنه كان يخون زوجته إبان كتابته للعمل، ضحكت رودينا، هي تمتلك نافذة لأسرار العالم كله.. فكرت بأن تذهب إلى المتحف وتقرأ أفكار الفراعنة وفرسان العرب لكنّ شيئًا ما أوقفها، انقبضت من الفكرة وشعرت أنها قد تُجنّ حقًا لو فعلت هذا حقًا، ستتعرف على التاريخ الحقيقي دون تزييف وترى مشاهد من آلاف الأعوام، أخافتها الفكرة فظلت تؤجلها وإن لم تلغها تمامًا..

هناك مرة أخرى اكتشفت رودينا أن لكل شيء أفكارًا حتى الشخصيات الخيالية، عندما وجدت عم بطوط يفكر في المجلة بأنه يشعر بالملل ويريد فقد القليل من الوزن.. أشياء كتلك كانت كفيلة بإثارة جنونها فحسب، لو لم تكن الفتاة تمتلك قدرة ضئيلة على تجاهل أفكارها والتحكم بهذا الوحش الكامن داخل عقلها، كانت رودينا تعلم أن تلك الموهبة الغامضة -لو كانت موهبة حقًا- قادرة على تدميرها لو لم تتحكم بها، قرأت كثيرًا في الموضوع في البداية، لكنها وجدت أن الكتب التي تتحدث عن قراءة الأفكار لا تُقدِّم سوى تكهنات فحسب.. ذات مرة زارت السيرك وجلست أمام العرافة آملة أن تجد من هم مثلها.. لكن العرافة اكتفت بالنظر إليها فحسب ولم تصل رودينا إلى شيء حاسم.. وإن كان هناك شيء في نظرة المرأة العجوز قد أجفل رودينا.. تنهدت رودينا.. وهي تقف في ملل منتظرة الحافلة.. أحيانًا كانت تحاول استغلال قدرتها لجلب الأموال.. لكن الشيء الوحيد الذي كان ليفيدها هو لعب القمار لقراءة أفكار الخصم، لكنها لم تجسر قط على دخول حانة وضيفة للعب القمار.. تزفر رودينا وهي تنتظر الحافلة، وتغمغم: كالعادة ستتأخر ساعة.. كانت تسير إيابًا وذهابًا في محيط انتظار الحافلة، عندما رأت متشردًا عجوزًا يفيق من نومه، يرفع رأسه وينظر إليها

بتوجس، تجاهلته رودينا، ولم ينسب إلى عقلها شيء من أفكاره، لكنها شعرت بقليل من التوتر، هنا وجدته يجلس وراءها، ويده تقبض على ساقها، وهمس المتشرد: إياك.. إياك والذهاب إلى القصر.. حيث السياج والحديقة الخضراء والنهر من خلفه..

أجفلت رودينا وتراجعت إلى الخلف مبهوتة ليتصاعد صوت محرك سيارة تفادتها مع سباب السائق، تجاهلته رودينا ونظرت إلى المتشرد، فقط ليتبين لها أنها امرأة وليست رجلاً، أردفت المتشردة العجوز ذات الوجه الهرم: إياك.. هذا القصر شريك.. أنتم.. تعتقدون أنكم قادرون على التحالف ضده لإيقافه، ولكن هو أيضًا له حليف، إياك والذهاب إلى القصر.. سيدمركم جميعًا، الشر يساند الشر..

يعلو صدر رودينا ويهبط بانفعال وهي تنظر إلى المتشردة.. وشعرت الفتاة كأن الزمن قد توقف.. والعجوز تحقق بها، قبل أن تستدير راحلة، حاولت رودينا قراءة أفكار المتشردة العجوز فانتصبت الأخيرة والتفت لتنظر إلى رودينا.. شهقت الأخيرة، ونظرت بعيدًا، وهي ترتعش، شاعرة أن العجوز لا تزال خلفها..

كل حين وآخر تمر رودينا بشيء ما غريب أو مخيف، وقد أعازت هذا لموهبتها، وطوّرت آلية للتعامل مع تلك الأمور

لكي لا تُجَن أو تعيش في زعر أبدي، ولذا حاولت الفتاة التحكم في انفعالاتها، التفتت إلى الخلف فلم تجد العجوز، نظرت إلى الأمام بانتظار الحافلة اللعينة، هناك شيء ما وحيد يورق بالها بشدة.. القصر، هي تحلم مؤخرًا بقصر عتيق يطل على حديقة خضراء ومحاط بسياج عملاق في حين النيل خلفه، وشعرت رودينا أن العجوز تشير إلى هذا القصر.. تتمم رودينا لنفسها: كل هذا لم يحدث.. أنت بخير.. أنت بخير.. كوني طبيعية.. لم تتحدث معك متشردة عن قصر يأتيك في أحلامك، شعرت رودينا أن هذا هو التعبير المناسب، هي لا تحلم بالقصر، هو الذي يأتيها، تأخذ نفسًا عميقًا بعدها.. وتنظر جوارها لتجد القط إياه لا يزال واقفًا ينظر إليها، ابتسمت رودينا، تصل الحافلة بعدها، وتنظر إلى رودينا بتعاطف، ولسان حالها يقول: لا تصعدي وحدك يا فتاة أنا لا أملك مكانًا لكي تتنfyسي ناهيك عن أن تقفي..

تزفر رودينا وتصعد راسمة أقصى تعبير من القنوط على وجهها، وتنهال على رأسها أفكار الركب لتصاب الفتاة بالدوار، ولكن الحقيقة أن ذهنها كان شاردًا بشأن نبوءة المتشردة الغامضة والقصر.. بعد عشرين دقيقة من هذا تصل الحافلة وتترجّل منها رودينا، وغمغت لنفسها متظاهرة بأن بالها لا يفكر فيم قالت العجوز: الزمن كله يتوقف في حافلات النقل العام، الجحيم هو أن تقضي حياتك بأكملها في

حافلة لا تصل إلى وجهتها..

تتجه رودينا إلى بنايتها عندما تتوقف سيارة أمامها
ويترجّل منها رشدي، جواره يجلس سليم في صمت، نظرت
إليهم رودينا في تحفّز، قبل أن تقرأ أفكار رشدي كلها، وترتفع
حاجبها في دهشة، قبل أن يتمتم: أنت هنا من أجل جادو!

الفصل الخامس

من مذكرات جادو:

الليلة الأولى مع أنور حمدان..

فتح الطبيب عينيه عندما صفعته للمرة الثالثة وأنا أضحك، أنتم تتذكرونه، الطبيب النفسي إياه والد علا وعلياء، لقد أخذته معه في حقيبة، ها ها، وهذا دليل على أن المرء قادر على تحقيق أي شيء إذا.. إذا.. كلا، ليس إذا خَطَّط جيدًا وليس إذا تحلى بالشجاعة، بل إذا أراد حقًا فعل هذا.. اعذروني فأنا في بال رائق للغاية، ذكرى علا تُشعرنِي بسعادة غامرة، ناهيكم عن علياء، أشعر بطاقة وحماسة، أنتم تعرفون هذا الشعور، أنت تريد للحدث الجميل أن ينتهي فقط لتعود للمنزل وتستعيد مدى روعته، نحن الآن في منزلي، والدتي نائمة كالحيثان، لقد حرصت على وضع الحبوب المنومة بمقدار زائد لها، وفي غرفتي الصغيرة يجلس د. أنور حمدان مقيد اليدين، ومكَّم الفك، ينظر إليَّ بعينين زائغتين ووجه شديد الشحوب، نظرات حاله تقول: أرجوك قل لي إن بناتي بخير.. فأضحك أنا وأعود برأسي إلى الخلف مقهقهًا، قبل أن أقف عاري الجذع وأتمايل يمينًا ويسارًا، كنت عاري الجذع، لأنني قوي ولا أبالي بالبرد، أنا جادو العظيم، مُغيِّر الحيوانات، يا إلهي أنا منتشٍ بحق وأشعر بسعادة غامرة،

تتزايد ضحكاتي مع تعبيرات وجه أنور إزاء رقصي، بعدما انتهيت مسحت عرقي وجلست أمامه، وقلت عندما صدري يعلو ويهبط: أترى؟.. في عز البرد هذا أنا أتصيب عرقًا، لأنني أختلف، أنا دومًا أختلف.. أنا جادو.. لعلك سمعت عني..

رأيت الذعر في عينيه، لقد سمع حقًا عني، لكنه ليس ذعرًا ناجمًا عن خوف على نفسه بل على ابنتيه، يا له من رجل شجاع ونبيل.. تبًا له.. لو كان شديد النبل لما كان تركهم بمفردهم وذهب ليعمل.. ابتسمت له وأردفت: من نظرة عينيك يبدو كأنك قد سمعت عني، حسنا حسنا.. دعك من التعارف الرسمي، أنت تتساءل عما حدث لعلنا أليس كذلك؟

رأيت الدموع في عينيه وهو يهز رأسه بتوسل، فابتسمت أنا بخبت وأكملت: وماذا عن الفاتنة.. المثيرة.. علينا؟

احتقن وجهه بغضب، الرجال غير معتادين لأحد أن يهين بناتهم، الرجل يسير مع خطيبته أو زوجته فيعاكسها أحدهم، هذا وارد، لكن القانون الضمني ينص أن تترك الفتاة التي تسير مع والدها لحالها، في أغلب الوقت على أي حال، الجميع يكسر القوانين الآن.. آه أين كنا؟.. نعم، احتقن وجهه بغضب، فضحكت أنا وتابعت: علا كانت نائمة، ضربتها حتى اكتفيت وتركتها جثة هامدة..

نظر إليّ في عدم تصديق، وبلاهة..

ها.. هيا رجل نعم نعم.. الإنكار، لا تكن مملاً كهذا، أنت تعلم أن ما أقوله لك هو الحقيقة، نعم نعم.. والآن ستنهمر دموعك.. ها ها، جسدك يهتز في غضب، رائع، يا لك من رجل ضعيف ومتوقع.. تبكي.. تحاول أن تصرخ.. كل ما توقعته أنت تفعله الآن.. يا لك من كهل لطيف.. أنظر إليك، وجهك شديد الاحمرار، وَأَلست طبيبًا نفسيًا يا رجل؟.. أم أنك رجل عادي في نهاية المطاف.. أنظر إليك أيها الضيع.. تحاول فك قيدك، أعتقد أنك قادر على إيذائي أنا، جادو العظيم..

هبت واقفًا تاركًا إياه لمحاولاته البائسة، ورفعت هاتفني لأريه مقطع فيديو صغير، وأنا أنظر إلى وجهه مترقبًا رد فعله..

ترتكز عيناه برعب وهو يشاهد الفيديو، بداخله أمل خافت أنني أكذب، وأنهم على ما يرام، يتابع أنور الفيديو، حيث تظهر ثلاجة منزله، يدي تمتد لتفتحها، رأس ابنته في الداخل.. يهز رأسه في جنون وهو يصيح بشيء ما لم تتبينه أذناي جيدًا، لكني أعتقد أنها سبة ما ..

آه لا تكن هكذا، لم أنشر هذا الفيديو بعد، قواعد الحصول على التفاعل كما تعلم، سأنشره غدًا في الثامنة، تخيل هذا، فيديو «ريلز» قصير من أربعين ثانية لرأس فتاة في ثلاجة ولسوف ينتشر مثل النار في الهشيم..

ظل يردد الشُّبَّة مئآت المرات وأنا أضحك، على الأقل لقد
حصلت على ردة فعله بعد كل شيء..

من مذكرات جادو:

الليلة الثانية مع أنور حمدان..

لا تسألوني عن السبب، لكنني قررت إقامة تجربة مع أنور،
حقيقة أن الأمر لم يكن مخططًا له لكنني استمتعت به كثيرًا،
وهكذا -من باب الفضول- قررت الاحتفاظ به عدة ليالٍ في
غرفتي، لا تقلقوا بشأن والدتي، هي مُسِنَّة للغاية، وأذناها لا
تعملان جيدًا، ورؤيتها تنافس سمعها في هذا الصدد، تجربتي
مع الطبيب النفسي الكهل شديدة البساطة، سوف أعذبه دون
توقف وأرى مدى احتمالته، تعذيب نفسي وجسدي لكي يكون
الأمر العادل، كنت أقضي الليل أهمس له ما فعلته بابنتيه،
وأخبره أنه هو السبب في هلاكهم لأنه لم يكن موجودًا،
فقد الوعي عدة مرات لكنه كان يستعيده بقوة وسرعة،
بسبب غضبه ورغبته في الانتقام على ما أعتقد، آه أنا أشعر
بالإرهاق وأشعر بحاجة ماسة إلى النوم، سأفقد السوشيال
ميديا لأرى ما الذي يكتبونه عني، وغدًا في الصباح الباكر
سأكمل تعذيب أنور، وداغًا الآن..

جزء من خبر بجريدة ورقية:

عدة أيام انقضت ولا نشاط ظاهر لجادو، بعد مقتل علا
وعلياء، لم تُصرِّح السلطات بأي جريمة جديدة لهذا السفاح،
هل توقف؟.. أم إنه يستعد لكابوس جديد؟

جزء من منشور على «الفيس بوك»:

رحم الله كل ضحايا جادو، رگَّاب الأنفاق، والرضع، وعلا
وأختها.. رحمكم الله.. ألا يوجد من يستطيع إيقاف هذا
المسخ؟

جزء من التعليقات على المنشور:

«نحن بحاجة إلى شخص ما قادر على فهم شخصية
هذا الشيطان واقتناصه، ألم تكن هناك تلك الحكايات عن
الرجل الذي عَضَّ التراب، هذا الرجل الذي يحيا بين الأنفاق
ويصطاد القتلة انتقامًا لمقتل عائلته

«رد على التعليق».

هذا الرجل خرافة، الأوهام لن تفيدنا الآن.. علينا التمسك
بالواقع، جادو حقيقي، والذي عض التراب ليس إلا بأسطورة.

جزء من منشور آخر يخص مقطع فيديو قصير:

«يا إلهي أغثنا لقد وضع رأسها في الثلاجة».

«ها ها ها يا له من رجل مضحك هذا ما تستحقه كل

الفتيات!»!

الفصل السادس

فكر رشدي «لا أصدق أنني جالس في مقهى مع اثنين من الحواة».

نظرت إليه رودينا قبل أن تقول: لسنا بحواة، وأنت الذي أتيت إلينا.

وجدت نفسها تنحاز تلقائيًا إلى سليم الذي لم تعرفه سوى لساعات، لكنها تدافع عنه لكونه غير اعتيادي مثلها، ولا تعلم أن كانت قد تخيلت لمحة امتنان في عينيه أم لا، حاولت قراءة أفكاره مرة أخرى ففشلت، قالت بانزعاج: ما الذي كتبه في مفكرتك تلك؟

ابتسم سليم ولم يرد، وكان الأمر مزعجًا بشدة لرودينا، هذا أول شخص تقابله في حياته ولا تستطيع قراءة أفكاره، كلما دخلت لعقله وجد حائط أخضر اللون، وكان اللون الأخضر اللعين هذا مزعجًا ومستفزًا بحق..

واصل رشدي حديثه الذي بدأه منذ دقائق: لا أعلم ما الذي يجب أن أصدقه أم لا.. أنا حقًا حائر.

تحدث سليم ببطء، دون أن ينظر إلى رودينا: اسمع يا أستاذ رشدي، نحن آه.. أنا أفهم أنك متردد، وغير مقتنع بالأمر برمته، لكنك من أتيت إليّ، وعرضت عليّ تلك الفكرة

المجنونة، اصطياذ جادو الذي تتحدث عنه البلد بأكملها، لا أعلم كيف سمع مرؤوسك عني، لكنني حقًا مهتم بمقابلته، في العادي لم أكن لأقبل بفكرتك ولا حتى الحديث معك ولكن..

صمت سليم، غير منتو على المواصلة.. ابتسمت رودينا، وتابعت هي: لكنك لا تمتلك شيئًا لتخسره.

ثم نظرت هي إلى رشدي، وقالت: والآن ماذا؟

- حسنًا، سنضع مشاعري الشخصية جانبًا، أنت أثبت لي حقًا أنك قادرة على قراءة الأفكار، ولكن.. أستاذ سليم أنا بحاجة إلى إثبات.

تنهّد الأخير، وتبادل نظرة صامته مع إدجار آلان بو الجالس على المنضدة المجاورة لهم، قبل أن يقول: أنا لست في عرض بالسيرك ولست بحاجة إلى تقديم دليل لك.

بتململ قالت رودينا: أنا أقدّر كبرياءك لكنني قد أثبت قدرتي، ربما أنت بحاجة إلى فعل نفس الشيء كي نسمع عرضه..

«كي نسمع عرضه».. نقل رشدي ناظريه بينهم وهو يفكر، تبتًا لا يريد أن يفكر أمام تلك الفتاة الساحرة لكن من منا يستطيع التحكم في أفكاره، يبدو لرشدي أن كلاهما سيقبل المهمة العجيبة، لا بسبب المال، سيكون المال عاملاً

في الأمر، لكن الفتاة ستقبل لأنها فضولية تحب المغامرة، شخصية غير عقلانية تمامًا، والرجل سيقبل؛ لأنه يوشك على الانتحار من الاكتئاب وهذا واضح عليه، هو بحاجة إلى شيء ما يشغله..

تنهد سليم قبل أن يقول: حسنًا لم لا..

ثم مال برأسه نحوهم، بطريقة صيانية ليشد انتباههم، ولاحظت رودينا أن نبرة صوته لم تعد كئيبة، وهو يقول: انتبهوا جيدًا، أترون ذلك الرجل الجالس في الركن، الذي يدخن دون توقف، ويتشاجر مع زوجته في الهاتف، رودينا هلا قرأت أفكاره.

كانت تلك مرته الأولى بمخاطبتها باسمها الأول، أجفلت الفتاة قليلًا، ونظرت إلى الرجل، قبل أن تقول: هو يكره زوجته بحق، يضربها كثيرًا، ويتمنى موتها، كما أنه متعدد العلاقات..

- هل تتوقعين أن يكون هذا الرجل رومانسيًا؟

- مستحيل!

- انتبهوا إذا!

وقف سليم، ذهب إلى الرجل، واقترض منه قداحته، وعاد

إليهم..

جلس سليم، اعتدل، فتح مفكرته، وخط بها شيئًا ما، بعد دقائق وقف الرجل، وغنّى بأعلى صوت وسط المقهى وأمام رواده: أنا أحب زوجتي.. أحبها حبًا جمًّا، وسأعاملها دومًا كملكة..

وواصل الغناء وسط استهزاء واستنكار الجالسين، نظر رشدي إلى سليم في صمت، في حين رودينا تنظر إلى ما يحدث في عدم فهم، سرعان ما تلاشى وتحول لدهشة عندما غمغم سليم: فقط أخبروني متى تريدون له أن يتوقف..

- حينًا حسنًا اجعله يتوقف، أعني صوته مزعج للغاية وكل شيء

كتب سليم في مذكرته، وبعد دقيقة توقف الرجل وعاد للجلوس..

نظر سليم إلى القداحة، وقال: لقد كتبت أيضًا أنني سأحتفظ بقداحته.

ظلت رودينا تنظر إلى سليم، قبل أن تقول: موهبتك هي التحكم في مصائر الآخرين.

- لا أحب تسميتها بهذا.

- هو كاتب ذو قدرة خاصة، ما يكتبه يتحول إلى واقع.

قالها رشدي ببطء.. وأضاف سليم: لكن لا بد لي من التعامل مع الضحية، ولهذا اقترضت ولاعته.

- ضحية؟

- أنتِ تقرئين أفكار الناس كأنهم عراة، وأنا أجعلهم يفعلون ما أريده، هم ضحايا بالنسبة إلينا.

- أستاذ سليم.

عقد رشدي يديه، وهو يضيف: الحقيقة أنه...

قاطعت رودينا حديثه: سيقول لك إنه متشكك، ربما تكون قد عقدت أنت صفقة مع رجل قبل مجيئنا.

- حسنًا.

فتح سليم المفكرة وكتب شيئًا آخر..

هنا وقف رشدي، وبدأ يغني لأم كلثوم بعلوِّ صوته..

لم يتمالك سليم سوى أن يضحك، وسطت دهشة رودينا، التي شاركته ضحكة صامتة، قبل أن يقول هو: أعتقد أن سيصدق الآن، كما أنني أشعر بلذة انتقام خفية، وأنا أراه يفعل

هذا..

- دعك من رواد المقهى الذي يرون حالتني غناء على التوالي.

- وهذا أمر مهم.. لا يجنب أن نتباهى كثيرًا ونلفت الأنظار إلينا، سيسجل أحقق ما الأمر على هاتفه، وربما يسترعي الأمر انتباه من لا نريد جذب انتباههم..

جلس رشدي محمر الوجه في صمت غاضب ونظر إلى سليم، قبل أن يلتفت إلى رودينا، ويقول: حسنا.. أنا أصدقكم.

- والآن، ما هو عرضك؟

- العرض مع موكلي، لن أفصح لكم عن هويته الآن، و..

- اسم موكله عامر عمران.. يمتلك قصرًا رائعًا في الفيوم، لقد أخذت العنوان من عقله كذلك، هو لا يريد إخبارنا بهوية عامر لأنه يحبه حقًا ويخاف عليه منا.

قالتها رودينا وابتسمت مضيئة: بإمكانك أن تثق بنا يا رشدي.

وأشار سليم إلى المفكرة، مردفًا: أو بإمكانني جعلك تثق بنا. تنهد رشدي في صمت.. هو يشعر أنه طفل واهن أمامهم، ربما هذا أمر جيد، فكّر في الأمر بزواية مختلفة للمرة الأولى،

ربما هذا حقًا أمر جيد، عامر كان محققًا، والمجهول حقيقي،
ولو شعر هو بالضعف أمامهم، ربما سيفعل جادو أيضًا..

هزت رودينا رأسها متممة: ربما.

أجفل رشدي قبل أن يهز رأسه، ويقول: حسنًا... السيد عامر
رجل ثري، سيدفع لكم، هو لا يريد تعريض حياتكم للخطر،
لا يريد منكم قتل جادو أو مواجهته، يريد منكم الكشف عن
هويته فحسب.. ونحن نستكفل بالباقي.

- ستقتلون أنتم جادو؟

- كلا، يكفيننا فضح هويته وسيتكفل العامة أو الشرطة
بالأمر.

- حسنًا.. تلك فكرة مخيفة، بإمكان أي أحد يريد أذية
أحدهم أن يشير إليه، ويدّعي قائلًا إن هذا هو جادو، و..

- أستاذ سليم الأمر ليس بتلك السذاجة، السيد عامر لديه
وسائله.

هز سليم رأسه، من الواضح أن السيد عامر له وسائله فعلاً،
وإلا فكيف تمكن من الوصول إليهم..

- علينا تجميع باقي الفريق.

- باقي الفريق؟

- كاتبة تُدعى ناردين الصباغ ومحقق يُدعى صلاح، هم يعملون معًا فريقًا.

- لقد سمعت عنهما، كاتبة قصص رعب هي، وصلاح هذا محقق تأمين متقاعد، أو عاطل للدقة، هما يعملان معًا فريق تحقيقات في الخوارق والما ورائيات، ويبدو الأمر كأنهما اثنان من الدجالين بالنسبة إليّ.

- دجالان مثل قارئة الأفكار ورجل يغير الواقع عن طريق أحلامه.

- وجهة نظر سليمة.. حسنًا، لنبحث عنهما، ولكن ما هي قدراتهما الخاصة؟

- الخبرة في مثل تلك الأمور، كما يقولون إن خيال تلك الكاتبة قوي بحق، وهذا يفيد في تخيلها لشخصية مثل جادو.

- التحليل والتتبع إذًا.

ثم مط سليم شفتيه، وأضاف: لا أحب كُتّاب الرعب، هم دمويون للغاية!

وقف رشدي وتمتم: لنذهب الآن!

ظلت رودينا جالسة تنظر إلى سليم في صمت يشوبه

حيرة، اختلس إليها نظرة، ووجد إدجار آلان بو يغمز له، تجاهله، واستدار لينظر إلى رودينا التي قالت: أنا لا أستطيع قراءة أفكارك، وهذا أمر يثير حنقي..

- أنا متميز إداً.

نظرت إليه بتشكك فأضاف: أو ربما شخصيتي القوية حجت عقلك.

- هذا هراء!

- شكرًا.

- أنت تعلم ما الذي أعنيه!

- حسنًا، سأخبرك بسر صغير.

- تفضل!

- لقد أخبرني رشدي عن موهبتك، قبل مقابلتك، ولذا كتبت في مفكرتي أن رودينا ستكون حسنة رائعة وكل شيء.. لكنها لن تستطيع قراءة أفكاري أبدًا.

رفعت حاجبيها في حنق، ثم قالت: أمر عادل بعد كل شيء.

ورحل الاثنان ليلحقا برشدي.. ولللقاء صلاح وناردين.. وغمغمت رودينا: أتمنى ألا يكونوا حقًا مخابيل كما يقال

زفر صلاح وهو يحرك رقعة الشطرنج، ثم نفت دخان
سيجارته، وهتف: هزمتك!

- ثم رد على نفسه: هناك دومًا مرة أخرى..

- ثم ضحك وهو يهز رأسه قبل أن يتشاءب، لقد اعتاد صلاح
لعب الشطرنج مع أخته، التي تُوقِّيت، ومنذ ذلك الحين
واظب الفتى على ملاعبة نفسه.. وقف حائرًا في منتصف
شقته المتواضعة، هو لا يريد الذهاب إلى الفراش، يشعر كأن
الفراش وحش مخيف سيلتهمه ويسلبه طاقته، ولن يعطيه
أي جرعة نوم في المقابل، سيكبله ويجعله فريسة للأرق
فحسب..

- تَبًّا لك!

قالها للفراش في غرفته واتجه إلى الصالة ليرتمي فوق
الأريكة ويلتقط هاتفه، لم تكن العاطفة هي ما جعلته يتفقد
الصفحة الشخصية لخطيبته السابقة مع زوجها بل الملل، ظل
يتفقد صورها ومنشوراتها، ثم أجفل عندما وجد أنها نسيت
مسح صورة لهم معًا وسط جماعة من أصدقائها في عيد
ميلادها، يا إلهي لشدة ما نسي حياته السابقة تلك! تلك الأيام

التي امتلك فيها وظيفة وحياة اجتماعية زائفة وخطيبة وتطلع للمستقبل، قبل أن تتركه فتاته ويستقبل، وتقوده الصدفة للتعرف إلى ناردين الصباغ كاتبة قصص الرعب؛ ليبدأ مرحلة جديدة من حياته هي العمل محقق ما وراثيات، ويا لها من وظيفة عبثية خرقاء في نظر كل العقلانيين! بل سيتهمه البعض بالنصب كذلك.. وضع سلاح الهاتف جانبًا ونظر إلى غرفته، قبل أن يقول للفراش معتمدًا: أنا آسف، أنت أرحم من كثرة التفكير تلك، أنا قادم إليك..

يستلقي سلاح فوق فراشه، ويثقل جفناه، هو الآن في عالم آخر، يسير في بلدة مهجورة وسط الضباب، ثم يقف في الحديقة الخضراء والسياح العملاق يحيط به، في حين النهر يقبع خلف القصر المهيّب، يفتح سلاح عينيه ويشهق.. ويغمغم: كل هذا في رأسك.. يلتقط هاتفه ويدخل على «اليوتيوب» ويختار سورة الكهف ويترك الشيخ يتلوها جوار أذنه وهو يحاول النوم مرة أخرى..

تعالى الطرقات الغاضبة على باب شقة الكاتبة ناردين الصباغ في الثانية صباحًا، وخلف الباب وقفت جارتها الثلاثينية مرتدية إسدال صلاة، بتوجس نهضت ناردين من فراشها، لم تكن نائمة، لكنها لم تستوعب فكرة أن أحدًا يطرق

بابها بهذا الصخب ليلاً..

يقول لها شرلوك هولمز الجالس في عقلها: إما أنها الشرطة أو مصحة المخابيل وقد أتوا لأخذك أخيراً.

- إليك عني يا هولمز!

- يبتسم روميو من مكان في عقلها، ويقول بافتتان: لعله معجب ولهان أتى للاعتراف بحبه.

- تبًا لرومانسيتك المفرطة، ما الذي تفعله في عقلي بأي حال؟ أنا كاتبة رعب، ارحل قبل أن أجعلك تلقى دراكولا!

يتراجع روميو ممتعض الوجه، طاخ طاخ.. تتواصل الطرقات.. تكف ناردين عن محادثاتها مع خيالاتها، وتذهب بقلق وبطء إلى الباب لتنظر من العين السحرية، وهي تتوقع رؤية ألف مسخ وقاتل بالخارج، لكنها ترفع حاجبيها في دهشة لرؤية جارتها، بوجه غاضب ونائم في الآن ذاته، همس هولمز: جارتك أتت لتشتكي من الموسيقى العالية القادمة من شقتك..

- ربما تكون قد أتت لأنها شهدت جريمة قتل وتريد مساعدتي.

- نحن لسنا في قصة لأغاثا كريستي هنا، هذا هو الواقع.

تأفت ناردین وفتحت الباب ببطء، متظاهرة بالنوم لسبب
لا تدريه..

- مدام ناردین.. أي موسيقى شيطانية تلك التي تنبعث من
شقتك الثانية صباحًا، لقد طفح بنا الكل، كلنا كاتحاد ملاك،
وأنت مستأجرة و..

- لا داعي للعنصرية!

قالتها ناردین باستفزاز..

- سأبلغ الشرطة لو لم تخفصي صوت الموسيقى!

تنهدت ناردین، قبل أن تبتسم بتكف للمرأة، وتقول: حسنًا.

وهمس هولمز لناردین: دعتك بدمام ناردین على رغم كونك

آنسة عمدًا لتستفزيك!

أغلقت ناردین الباب ببطء، وهي تجرّ على أسنانها، كانت

تريد الصياح في المرأة، وإطلاق سيل من السباب صوبها،

لكنها لم تفعل، وهي تعلم جيدًا أن هذا سيُسبب لها غضبًا

صامتًا وجلد ذات، وستخيل عدة سيناريوهات مختلفة،

وهي تهزأ بتلك الجارة الحداة..

- تباً لتلك الشمطاء لقد كنت في مزاج رائع!

كانت تكره جيرانها، كلهم عائلات وكلما رأوها نظروا إليها

بريبة كأنها كائن ينتمي إلى عالم آخر، أو كأنها مهرجة في السيرك.. الفتاة الثلاثينية التي تقطن وحدها، الكاتبة غريبة الأطوار والمحللة النفسية التي تمتلك مكتبًا للدجل والشعوذة مع صديقها المنحل، نظراتهم دومًا تتهمها بذلك، تبتًا للبشر.. قالتها ناردين وهي تلتقط كتاب ليلة الرجل الذئب وتجلس جوار حاسبها الآلي؛ حيث تنبعث موسيقى مايكل كامين لفيلم رعب في الفضاء.. وبعد قليل من القراءة لم تستطع النوم لذا فعلت الشيء الوحيد القادر على تفريغ غضبها وهو الكتابة.. بدأت في كتابة رواية عن بناية رقمها ١٠٦، في عالم يُدعى المجهول إكس.. وبدأت بجريمة قتل عنيفة.. ثم جعلت الشخصية الرئيسية مغامرًا اعتاد أن يعمل مهرجًا في السيرك..

ومر الوقت بسرعة ساحرة وهي تكتب، ثم أتمتها رسالة من صلاح في الصباح الباكر..

تركت ناردين الحاسب، وقرأت الرسالة:

- «هناك رجل يُدعى رشدي يريد مقابلتنا، بشأن «جادو».

اتسعت عينا ناردين، جادو، السفاح الذي يتحدث عنه الجميع، ابتسم لها هولمز من داخل عقلها، وقال: هناك مغامرة جديدة قادمة..

وعندما خلدت ناردين للنوم أخيرًا زارها قصر مهيب مطل
على النيل، وحديقة خضراء ويحيط به سياج عملاق..

الفصل السابع

مذكرات جادو:

الليلة الثالثة..

كانت الساعة الثانية صباحًا وخمس دقائق عندما نزع
الكمامة عن فم أنور، كنت قد أفرغت في عروقه حقنتين
مخدرتين، من النوع الذي سيصيبك بالهذيان، والخرف،
ولكنهم لن يفقدوك الوعي، مصل الحقيقة في شكل آخر،
نظرت إليه بحالته المزرية والمثيرة للشفقة، لقد بدأت
أملّ منه، بدمائه وعرقه وأنفاسه المتقطعة، وحزنه وكآبته
ودموعه التي لا تتوقف، جلست القرفصاء ونظرت إليه،
بعدما أزلت الكمامة، بصق، وترنح برأسه، عيناه تزوغان، يبدو
كالمدمن في تلك اللحظة، كلا ليس المدمنين، يبدو كعادل
أمام في فيلم المدمن، في البدء كان طبيعيًا وقورًا،
كهلًا، أشيب الفودين يرتدي سترة أنيقة، والآن هو وغد آخر
يرتدي فائلة بيضاء ويفرغ جوفه في غرفته، صفعته عندما
فعل هذا، هنا تحدث هو..

- لا ت ص غع ن ي.. مر.. اخ.

- ها؟

- لا تصفني م مرة.. أخرى.

- لا تتقيأ في غرفتي.

- حس.. حسناً.

- حسناً يا سيدي، ردها من خلفي.

- ح.. حسناً يا سيدي.

- يا سيدي جادو العظيم..

- يا سيدي جادو العظيم..

- لن أقتله، سأتركه يحيا قعيدًا طيلة حياته يرثي لحاله ويندب ابنتيه، هذا لو لم يقتل نفسه، تلك هي تجربتي مع أنور حمدان.. واصل هو هذيانه: ابنتاي على قيد الحياة يا جادو، أليس كذلك؟ هما على قيد الحياة؟

- كلا، لقد نحرت اعناقهن.

- كلا كلا.. أرجوك لا تقل هذا، هما على قيد الحياة.. أنا أعلم هذا جيدًا.. هما تنتظرانني لكي نتناول العشاء معًا، لقد مرت أعوام منذ أن تعشيت معهما، آه لشدة ما أفتقد العشاء معهما.. عيد ميلاد علا، شعرت بأن مجرى حياتي كله قد تغير، أتعلم هذا الشعور؟.. قلبي ينبض بشكل مختلف.. الحياة ذاتها تنبض.. ملمس وطعم كل شيء قد أصبح أفضل.. أنا أحببت زوجتي، وفعلت كل شيء لإبقائها حية بعد إصابتها

بالسرطان.. أصابها المرض اللعين بعد ميلاد علياء بأربعة أعوام.. أنا أحبها وأفتقدها.. لكنني أقسمت لها أن أعطني بيناتنا.. لقد كنت أعمل طيلة الوقت كي أوفر لهم المال، هذا هو سببي الظاهري، لكن هناك سبب آخر.. أنا لا أجد البوح عن مكنون.. آه.. لا أجد الحديث عن مشاعري.. آه يا جادو.. أنت لا تعلم لكم افتقدت العشاء معهما.. منذ أعوام كنت أجلس معهما، علياء تضحك وتقول الدعابات وعلا تشاكسها، زوجتي تضحك وأنا أنظر إليهما بامتنان، هما السعادة.. البهجة.. هما كل شيء بالنسبة إلي.. لكنني لم أجد قط التعبير عن مشاعري.. لم تتسنّ لأخبر زوجتي عن مدى حبي لها، كلا، لقد أتاحت لي الفرصة لكنني لم أغتنمها، والذي هو السبب، أعلم هذا بحكم كوني عملي، والذي كان يضربني دومًا، كان عصبي المزاج، وغاضب، رجل غاضب.. مثلك يا جادو، أنت رجل غاضب.. ولكي أحمي هيكلي النفسي منه طورت آلية الدفاع وهي الصمت، ولذا لم أستطع التواصل، لم أتمكن من إخبار زوجتي بمشاعري، ولا بناتي، لكنني سأخبرهم، لأنهم على ما يرام يا جادو يا صديقي.. أليس كذلك؟

كان يتكلم بسرعة ويلهث ويتمتم بأشياء غير مفهومة، اقتربت منه وهمست: لقد قتلت بناتك.

بكي أنور وردد: كذب.. كذب..

لكمته في أنفه المكسور، مرة والثانية والثالثة، كان يأنّ
ألمًا، ويحاول استعادة ما تبقى من وعيه، لكنني كنت أعلم أنه
يسمعني ويفهم ما الذي سيحدث الآن..

قلت له: كنت أجده دومًا أمرًا سخيفًا عندما يضحك الأشرار
في الأفلام، لكنني الآن أفهمهم جيدًا..

- وهكذا، ظلت أضحك وأنا أغنّي

هنا لمحت نظرة خوف عينيه.. لكن كلمات أغنية «كل
الفتيات تحبك» صارت تدوّي بداخلي في لامبالاة..

جزء من منشور على صفحات التواصل الاجتماعي:

«صورة تبين رجلًا معلقًا فوق عامود كهرباء».

لا يوجد أمان، القاهرة كلها في خطر.. ليحفظنا الله من
جادوا!

في السادسة صباحًا اكتشف عامل نظافة جسد أنور حمدان
وهو معلق فوق عامود كهرباء، أنور هو والد علا وعلياء وهن
من ضحايا جادو يا سادة.. تلك ليست الحكاية كلها، لقد أنزل
عامل النظافة جسد أنور ليكتشف أن الرجل لا يزال حيًا،
يسعل ويبقيء دمًا، هُرع عامل النظافة لإحضار العون، وعندما

عاد مع القوم لم يجدوا جسد أنور، فقط بركة من الدماء وأوراق كثيرة.. ولا يزال سر تلك الأوراق غير معلوم.

جزء من خبر في جريدة ورقية:

أنور حمدان، هو الضحية الوحيدة التي نجت، لا أحد يعلم مكانه الآن، وطبقًا لتصريحات السلطات، لقد تمكن أنور حمدان من سرقة تلك الأوراق من جادو، دون أن يلاحظ الأخير، وقام الأخير بتعليق أنور حيًا على عامود كهرباء وتركه لمصيره، ولا تزال الدوافع غير مفهومة.

جزء من بث مباشر لتصريح النائب العام:

لا يزال البحث عن جادو مستمرًا، والعدالة لن تتردد في الإتيان بهذا المجرم المختل، تصريح اليوم بخصوص الأستاذ أنور حمدان.. لقد تمكن الأخير من سرقة ما ندعوه نحن الآن بمذكرات جادو، وهذا يعني أنه كان في بيت الأخير.. وتمكّن بشكل ما من سرقة المذكرات، نحن ندرسها الآن جيدًا للوصول إلى هذا السفاح.

تسجيل صوتي - من الطبيب أنور حمدان تم إرساله إلى
مدرية الأمن..

أنور حمدان «بصوت واهن»:

كنت تحت تأثير العقار الذي يعطيني إياه، العقار يُخفف
الألم نوعًا ما، ليس إلى حد كبير، وهو أعطاني الجرعة في
آخر ليلة فحسب، استطعت بعدها وهو.. يهشم ساقي.. أن
أمد يدي وأخذ تلك الأوراق التي كان يكتب بها مرارًا وتكرارًا
بعدما ينتهي من تعذيبي.. ودسها في جيبتي.. أرجوك.. لا
أستطيع مواصلة الكلام.. لا أعلم كيف زحفت بعيدًا عن
العامود، سأنتهي حياتي الآن، لا يوجد سبب للمواصلة، لقد
انتهت حياتي، أتمنى أن تجدوا هذا الشيطان.. أتمنى أن
تساعدكم تلك الأوراق.. لعله كان كاذبًا، لعل علا وعلياء لا
تزالان أحياء، لن أعود إلى عالم هما به أموات.

«لم تفلح جهود الشرطة في تعقب التسجيل، القادم من
رقم غير مسجل، وتم إغلاق ملف أنور حمدان على أنه قد
أنهى حياته».

جزء من منشور على السوشيال ميديا:

صورة أنور حمدان وهو معلق على عامود الكهرباء هي

«الترند» الحالي على كل المواقع، ولكني أقدم لكم الآن خبرًا صاعقًا، لقد تم تسريب مذكرات جادو، والآن هي ملك الجميع، لنقرأها معًا ولا تنسوا متابعة الصفحة، ولسوف تجدون رابط صفحة «اليوتيوب» كذلك.

جزء من منشور آخر:

مذكرات جادو قد تسربت.. اقرأوا ما الذي يدور بخلد السفاح، المذكرات في أول تعليق.

جزء من التعليقات:

«يا إلهي أشعر بالغثيان لقد وصف مجزرة قطار الأنفاق بالتفصيل، ليتني لم أقرأ المذكرات أنا كنت أهرب من مشاهدة مقاطع الفيديو».

«لا أستطيع تصديق ما فعله بأنور حمدان، كل هذا العذاب، ليرحم الله هذا الرجل الباسل».

«كيف سأنام في غرفتي بعد الآن؟ وأنا أعلم أن علا المكسينة كانت نائمة لحظة قتلها».

«الوغد المريض كان يضحك وهو يرمي الرضع ويطوحهم في الهواء».

«تَبًّا لجادو».

«يا للهول!»!

«جادوا ضحية للمجتمع، رفقا به».

«أعتقد أن جادو رجل يسيء الجميع فهمه، انضموا إلي في رابطة «محبى جادو».

جزء مقال نُشر في جريدة إلكترونية بعنوان «الرعب والمجتمع»:

حالة رعب، تلك هي الكلمة المناسبة، ليس ذعرًا ولا خوفًا بل حالة رعب تجوب المجتمع المصري، بعدما قرأ الجميع مذكرات جادو، وشعروا بالتفاصيل الخاصة بالقاتل نفسه، ولا تزال السلطات تُكثف جهودها للإيقاع بالرجل الذي فرض حظرًا غير رسمي على المواطنين، الآن ترى الجميع يعود إلى بيته في العاشرة، لا تخرج وحيدًا، وإلا أتاك جادو، وربما العائلات تقطن معًا الآن مكونين لجانًا شعبية داخل المنازل، وهم يشعرون أن جادو بإمكانه الوجود في أي مكان، داخل خزانة ملابسهم أو أسفل فراشهم، الشيء الوحيد الأكيد، أن جادو هو الرجل الأكثر شرًا في تاريخنا.. ولا بد من إيقافه.

الفصل الثامن

تهز رودينا رأسها وتضع هاتفها جانبًا قبل أن تنظر أمامها في صمت، جوارها - في السيارة - يتشاءب سليم، لقد مرت عشر دقائق كاملة وهم في حالة سكون تامة دون تبادل كلمة واحدة منذ أن تركهم رشدي وذهب لمقابلة ناردين الصباغ، فقط قالت رودينا جملة واحدة بعد رحيله، وهي: لا أفهم لماذا يُصر على الذهاب وحده؟

- ألم تقرأي أفكاره؟

- أحاول ألا أفعل هذا، لو قرأت أفكارهم طيلة الوقت لأصابني الجنون، أنا بحاجة إلى أن أشعر أنني طبيعية، لبعض الوقت على الأقل وليس كله، سيقتلني السأم لو شعرت أنني طبيعية طوال الوقت.. آه لا بأس لا بأس.

ابتسم سليم ولم يجد ردًا، فقط ليعلن الصمت عن نفسه للعشر دقائق التالية.. همس له إدجار آلان بو: تحدث معها يا سليم لا تكن خجولًا!

- أنا لست خجولًا.

- واجه الأمر لقد مرت سنوات منذ تعاملت مع امرأة، الحقيقة أنك كفتت عن شتى الأنشطة الاجتماعية منذ عقود، باستثنائي أنا أنت غير معتاد على الحديث مع أي أحد.

- إليك عني!

- تحدث إليها، هي جذابة و...

- اصمت!

- وذكية.

- ومن أين لك أن تعرف أنها ذكية؟ هي تقرأ الأفكار فحسب.

- كف عن الجدل!

ثم وقف إدجار آلان بو وبدأ يرقص يمينًا ويسارًا، ويردد:
كن رومانسيًا على سبيل التغيير.

كانت رودينا تنظر إلى سليم وهو شارد قبل أن تغمغم بشيء ما لم يتبينه، انتبه إليها وسألها أن تعيد ما قالته هو قلق من احتمالية القراءة لأفكاره، كلا، لقد كتب أنها لن تستطيع فعل هذا وهو يثق بقدرته..

كنت أتساءل لو أنك لم تحجبنى عن قراءة أفكارك، آه أنا لا أجيد التعبير عما أقول، كنت أتساءل عمّ تفكر في تلك اللحظة.

نظر سليم إلى إدجار آلان بو وهو يواصل الرقص داخل عقله وحمدًا لله أنها غير قادرة على رؤية أفكاره، بدأ الصمت

المربك يعود بينهم، فقال سليم بغتة: أعتقدين أننا سنساعد
حقًا في إيجاد جادو؟

- علينا أن نحاول.

- ولماذا تُعرِّضين نفسك للخطر؟

بدا له سؤالًا غبيًّا لكنه انتظر إجابتها.

- رشدي أكد سلامتنا.

- أعتقد أن كلينا يعرف أنه لا يوجد تأكيدات في الحياة.

مطت روديना شفيتها ونظرت بطرف عينها إلى اليسار حيث
يتلاحى الشارع من أمام نافذة السيارة، ومطت شفيتها مرة
أخرى مفكرة، ووجد سليم أنها تصبح شديدة الجاذبية عندما
تفعل هذا.. تنهدت لتزايد جاذبيتها لدرجة مقلقة، وغمغمت: لا
يوجد تأكيدات في الحياة، وكل ما هو غير متوقَّع سيحدث،
تلك هي حياتنا على ما أعتقد.. نحن لا نحيا مثلهم..

وأشارت إلى بعض المارة في الشارع مردفة: تراهم
يسيرون مفكرين بنفس الأشياء، أترى هذا الرجل الممتلئ،
الذي يسير وحيدًا هناك، ثرى بـم يفكر؟ لن أقرأ أفكاره،
لنحاول أن نخمّن أفكاره وبعدها سادخل عقله وأقول لك
الإجابة الصحيحة.

- أرى بعض السادية في الفكرة!

نظرت إليه بتامل فتنحج، وابتسم مضيئًا: أقصد أنها فكرة رائعة.

- هيا بنا إذا.

حدق سليم بالرجل لوهلة، قبل أن يقول: هو يسير ببطء، لا ينظر في هاتفه.. هو ليس من الجيل الذي لا يستطيع التبول دون تفقد هاتفه إذا، لا أرى جيدًا من هنا لكني لا أعتقد أنه يرتدي خاتم زواج، يبدو في أواخر العقد الرابع، يعمل في وظيفة لها علاقة بالأرقام، محاسب أو ربما في قسم ماليات ما.. يحيا مع والديه، ولديه أخت صغرى..

أنهى سليم كلامه ونظر إلى رودينا التي ابتسمت، قبل أن تنظر إلى الرجل، همس سليم: لا تغشي!
- سأحاول.

ثم أغمضت عينيها، وقالت: هو رجل سوري، يفتقد عائلته، يحيا وحيدًا ويبحث عن عمل.

فتحت عينيها، قبل أن تضيف: مستعد للحظة الحقيقة؟

- هيا بنا.

مط إدجار آلان بو رأسه جوار سليم منتظرًا أن يسمع ما

ستقوله رودينا بعد أن تقرأ أفكار الرجل.. مرت ثوانٍ وشحب وجهها قليلاً، بدا القلق على وجه سليم.. قبل أن تنفجر رودينا ضاحكة، وتقول من وسط ضحكاتهما: لم أجد في أفكاره سوى أنه يريد الذهاب إلى دورة المياه ويبحث عنها باستماتة، ولهذا يسير ببطء..

شاركها سليم الضحك.. قبل أن يسألها: عن ماذا كنا نتحدث قبل أن نصل إلى تلك النقطة؟
- لا أتذكر.

وواصل الاثنان الضحك..

فور أن جلس رشدي مع صلاح وناردين أراد أن يرحل ويتركهما على الفور، صلاح هذا شاحب الوجه والسواد موجود بقوة أسفل عينيه، رجل ثلاثيني يعاني الأرق وشارد، كما أن ملابسه تقول بقوة إنه عاطل، ومستعد أن يفعل أي شيء من أجل المال، أما ناردين تلك، فبدت له غريبة الأطوار بشدة بملابسها السوداء وشعرها المعقوص للخلف، هؤلاء مدعوون بالتأكيد.. ليته أحضر رودينا لتقرأ أفكارهم وتُخبره بحقيقتهم، ثم تخيل وجه عامر عمران للحظة، سيكون شديد الغضب، ويؤنبه قائلاً: كف عن شكك هذا وقم بتأدية المهمة!

تبادلت ناردين نظرة مع صلاح، لقد ظل ضيفهم صامتًا ثلاث دقائق كاملة منذ أن قابلوه، في النهاية تحدث صلاح: أستاذ رشدي، أنت اتصلت بنا وبعد الحاح واقفنا على مقابلتك، قلت لنا إن لديك أمرًا عاجلاً ولم تفصح أكثر، وها نحن ذا.. هلا أخبرتنا ما الأمر؟

كانت ناردين تنظر إلى رشدي بعناية، الحقيقة أنها تحب مثل تلك اللحظات، طيلة حياتها الجميع يتهمها بالخبال..

باللا واقعية، وقد حاربت هي حقًا كي لا تكون حياتها عادية، روتينية أو متوقعة، أرادت دومًا أن تحيا مثل القاصص والأفلام، وموقف كهذا، مقابلة غريب ذي سر غامض في مكتبهم الصغير للتحقيق في الماورائيات، لهو أمر حقًا مثير، فقط تتمنى ألا يفتح الرجل فمه ليخيب آمالهم، صلاح كان يجلس في تملل، هو يتوقع أن يخبرهم الرجل أنه يريد أن يتفقد إن كانت زوجته تخونه أم لا، أو يريد وسيلة للتهرب من الضرائب، لقد قابل العجائب منذ افتتاحهم للمكتب، حقيقة أنهم رخصوه كمكتب استشارات تجارية لأنه لا يوجد شيء يُسمى تحقيقات خاصة في مصر، ومضايقات السلطات لهم كل حين وآخر، وحقيقة أنهم بالكاد يجنون أي أموال وعلى وشك الإفلاس، لماذا يحيون تلك الحياة العجيبة؟ لأنهم ليسوا مثل الآخرين، وقد جرب كل منهم أن يحيا

حياة عادية وفشلوا بجدارة، ناردين كانت مخطوبة يومًا ما،
وتعمل كمحللة نفسية، وهو كان يعمل في شركة بدوام ثابت
وله فتاة ومستقبل يخطط له، ثم تغير كل شيء وقادتهم
الظروف إلى حياتهم، على الأقل هم يتبعون شغفهم.. كذا
أقنع صلاح نفسه.. وعاد بأفكاره لرشدي الذي قال لهم ما
ذكره لصلاح من قبل: جادو.. أنا هنا من أجل جادو..

تبادل صلاح النظر مع ناردين في صمت..

بعد عشرين دقيقة، قالت رودينا وهي تنظر إلى مخرج
البنائية، حيث خرج رشدي ومن خلفه صلاح وناردين: لقد
أصبحنا أربعة في مهمة رسمية.

سار جادو في شارع عباس العقاد ببطء، وهو يضع كلتا
يديه في سرواله وأشعة الشمس تنعكس على وجهه، كل
من حوله يسرون ناظرين في هواتفهم المحمولة عدا هو،
ينظر إليهم ويتفحص وجوههم، كان هناك تجمهر خافت أمام
مصرف شهير، ذهب جادو ووقف أمام المبنى وهو يرى رجالًا،
يصيح باكيًا بشيء ما قبل أن يجثو على ركبتيه، والقوم
يتظاهرون بأنهم لا يرونه، نظر جادو إلى الرجل،

وسمعه يصيح: لقد رفضوا إعطائي القرض لأنني غير مؤهل، سوف أسجن، سأفقد أسرتي وبيتي وكل شيء.. أغيثوني.. أنا غير مؤهل.. رفع جادو عينيه ونظر إلى رجل يصوب هاتفه ويصوّر الرجل الباكي، ثم أدار رأسه وتأمل باقي البشر وهم يبتعدون عن الرجل الباكي، الذي كان يرتدي قميصًا أبيض وسروالًا رماديًا مثل جادو، وللحظة تلاقى أعينهم، وصاح الرجل باكيًا: لقد فعلت كل شيء طلبوه مني، التزمت بوظيفتي وتملقت مديري ولم أخرق قوانين.. لم أفعل شيئًا خاطئًا، طيلة عمري وأنا ألتزم بكل القواعد.. ظل جادو ينظر إلى الرجل، الذي أدرك أن الوحيد الذي ينظر إليه حقًا هو جادو، فقال بصوت منهك: لا تنسني..

أوما جادو برأسه للرجل، الذي ارتفعت عيناه في دهشة لتعاطف أحدهم معه، ثم استدار جادو بعدها وواصل السير وسط الزحام، قبل أن يتوقف وينظر إلى لافتة إعلانية ضخمة بها فتاة شديدة الجمال، ترتدي ملابس جميلة وتشير إلى منتج إلكتروني ما، ظل جادو ينظر إلى الفتاة قبل أن يهمس: أنا أحبك.. ثم تنهد وغمغم: أنا جوعان.. تلفت حوله حتى وجد مطعم شطائر «برجر» شهير، كان يحب الأكلات السريعة، مذاقها مضمون دومًا، دخل جادو المطعم، ووقف في طابور، أمامه رجل يتظاهر بالأهمية، وهناك امرأة تصب عرقًا تمسك بيد ابنها، أدار جادو رأسه ورأى برنامج مسابقات

في التلفاز، حيث عدد من الممثلين يمزحون ويقهقهون وهم يمارسون ألعابًا عجيبة لم يفهمها، ظل جادو يتابع البرنامج حتى أتى دوره، نظر أمامه إلى الفتاة التي ترتدي قميصًا صيفيًا وقبعة خاصة بالمطعم، كانت شابة ومليحة، نحيفة، ولها شعر أسود غالبًا تلفه بالحجاب عند عودتها للمنزل كعادة أبناء طبقتها، ربما كان شرط العمل بالمطعم هو عدم ارتداء الحجاب، أو ربما شرط أهلها للوجود في منزلها هو ارتداؤه.. نظر جادو خلف الفتاة المبتسمة بلباقة إلى صورة شطيرة «برجر» مكتظة باللحم وجوارها طبق عملاق من البطاطا، وأشار إليه قائلاً: أريد واحدًا، حجم كبير، وأريد استبدال المياه الغازية بعصير..

- الحساب سيكون ٩٨ جنيهاً و٩٩ قرشاً.

- لماذا لا تقولون ٩٩ جنيهاً؟ أو مائة؟ لماذا التسع وتسعون قرشاً؟

نظرت إليها فتاة، محافظة على ابتسامتها الآلية، لكن نظرتها حملت معنى: «لا تكن عميلاً متعجباً بالله عليك، لقد سمعنا تلك الأسئلة مائة ألف مرة من قبل، أنا أعمل هنا فحسب ولا أمتلك قصرًا ومسبحًا كأصحاب الشركة؛ لذا دعني أنه نوبة عملي في سلام».

أجابته الفتاة: هذا هو الحساب الضريبي يا سيدي.

غمغم جادو في تأفف: حسنًا حسنًا..

أخذ رقم الطلب وجلس في منضدة بعض الوقت حتى سمع أحدهم يكرر رقمه، تذكر طابور الانتظار في الخدمة العسكرية الذي تم إعفاؤه منها لأنه وحيد، كل الأشياء تتشابه، وقف جادو وذهب ليأخذ صينية الطعام، ثم توقف بغتة وحمل الشطيرة بين يديه، قبل أن يقارنها بصورتها الإعلانية، كانت شطيرة لحم شديدة الصغر، بأئسة وهزيلة كأنها مصابة بالطاعون، قلب جادو الشطيرة بين يديه غاضبًا، قبل أن يصيح بالفتاة ذات القبعة: هذا هراء..

ساد الصمت في المطعم، والكل ينظر إليه، تذكر جادو مقطع فيديو ضرب إحدى العملاء في شركة اتصالات شهيرة، لو استمر بالصياح ولم يسيطر على أعصابه سيصوره أحدهم، لم يعد أحد يعامل العملاء بلطف في تلك الأيام، الكل محتقن، وهو يعلم هذا جيدًا، فيما سبق كان العملاء يعتبرون موظفي خدمتهم عبيدًا موجودين للتفريغ بسادية عن طاقتهم الدفينة، لقد ولّت تلك الأيام الجميلة وتمرد العبيد، الآن بإمكان موظف خدمة العملاء أن يصفك على وجهك، تنهد جادو، وأشار إلى الشطيرة في صمت إزاء نظرة الموظفة القلقة، قبل أن يقول بصوت خفيض: هذا طعام بأئس لا يقارن بتلك الصورة خلفك.. ظلت الفتاة تنظر إليه

ولم ترد، فكر جادو للحظة أن يطلب مقابلة المدير ثم عدل عن هذا، وجلس ليتناول طعامه في صمت.. ثم خرج وجلس في مقهى قبالة المطعم ساعاتٍ، حتى رأى الفتاة تخرج منه بعدما غيّرت ملابسها، سיתبعها إلى المنزل، ويربها مفاجأة خاصة هي وعائلتها، سيصورهم وهم يأكلون شطائر معدة خصيصاً من أجلهم، وربما يعود فيما بعد ليقابل المدير ليلاً وهم وحدهم، ويخبره برأيه بكل صراحة وضوح كعميل في طريقة إدارته للمطعم..

تخيل جادو مقطع الفيديو على وسائل التواصل، عائلة تُحتَضَر، كل التعليقات والآراء حول المقطع..

جزء من التعليقات على مقطع فيديو مسرب على «الفيسبوك»:

«يا إلهي، أين الشرطة؟ هذا المسخ قتل الفتاة المسكينة المغتربة ورفيقتها في السكن، يا آلهي الرحيم».

«جادو سيدمرنا جميعًا، أريد أن أموت بعدما رأيتَه حالًا».

«هذا ما يجب أن يحدث لكل فتاة تغترب عن أهلها، تبًا، جادو ضحية وعلينا أن نفكر في الأسباب التي دفعته لمثل تلك الأفعال، لنفعل هاشتاج: «تعاطفًا مع جادو».

جزء من منشور على «الإنستجرام».

«هل ستنجح آينور في جذب الأضواء عن جادو؟.. من هي تلك الفتاة الساحرة التي سلبت عقول رواد مواقع التواصل الاجتماعي؟ هل آينور هي رمز الجمال والخير في مواجهة جادو رمز الظلام والشر؟»

رفعت بائعة الملابس الشابة حاجبيها في دهشة عندما دلفت الفتاة الشقراء التي سيعرفها الجميع باسم آينور للمحل، القادمة كانت فارعة القامة، شديدة الجمال بشكل يقال عنه آخذ للأنفاس، ولدهشتها وجدت البائعة أنفاسها تتلاحق وهي تقف أمام تلك الشقراء ممشوقة القوام، ذات الأنف المدبب والفك المدقق، عينيان ساحرتان، وجه متناسق كأنه مرسوم، عنق طويل، وشفقتان رشيقتان مستديرتان، تلك الفتاة جميلة بشكل لا يُصدّق، ولتكتمل الصورة فقد كانت رائحة عطرها تبدو كأنها رائحة عطر قادم من زمن آخر، الفتاة كانت ترتدي سروال جينز وقميصًا أبيض مفتوح الصدر، وترتدي قلادة فضية تختفي رأسها داخل ملابسها، لم تتوقف البائعة عن تفقّد الشقراء، وأنفاسها تتلاحق بانبهار،

الفتاه تمتلك جلدًا ناعمًا ونقيًا كمولود حديث الولادة، ثرى ما هي جنسيتها؟.. هي لا تبدو كالأجانب، وفي الآن ذاته لا تبدو كالعرب.. تحدث الفتاة لتفاجأه البائعة أنها مصرية، وقالت بصوت شارد: أريد فستان زفاف..

كان الجميع رجالًا ينظرون إلى تلك الساحرة من خلف النافذة الزجاجية للمحل، وكان هناك رجل مع خطيبته، يتصبب عرقًا ويحاول أن يداري ارتبائه إزاء نظرات خطيبته الغاضبة، دارت البائعة ابتسامتها، لا تستطيع البائعة لومه، هناك شيء جذاب وساحر بشكل غير طبيعي في تلك الفتاة.. ولكن كيف أتت وحدها لابتياح فستان الزفاف؟ أين هذا الأخرق وكيف تركها وحيدة؟.. هنا أدركت البائعة أن الشقراء لا ترتدي خاتم خطوبة، كررت الفتاة بشرود: أريد فستان زفاف.. كانت تتحدث كطفل تائه يبحث عن والديه، وكانت تتصرف كأنها ترى العالم للمرة الأولى، كأنها قضت حياتها في عالم آخر حيث الحقول الخضراء والقصور، وتلك مررتها الأولى في المدينة، أومأت البائعة برأسها، وأجابتها: لدينا مجموعة رائعة..

- أريد هذا الفستان.

ما حدث بعد ذلك كان أمرًا يصعب استيعابه، لقد ذهبت الشقراء إلى غرفة تغيير الملابس، ارتدت فستان زفاف

مكشوف الكتفين والصدر، مشدود على جسدها بحمالات رفيعة، ويتموج عند خصرها بشكل رائع قبل أن ينسدل على باقي جسدها ليكشف أيضًا عن ساقَيْها الخلابتين، ارتدت الشقراء الفستان ونقدت البائعة ثمنه كاملاً دون مساومة، قبل أن تخرج مرتدية فستان الزفاف؛ لتسير في شوارع القاهرة في قلب النهار..

سارت الشقراء الجميلة مرتدية الفستان في شوارع القاهرة، البعض صوّرها بهاتفه، والآخرون سخرُوا وتحرشُوا بها، البعض حاول التحدث معها لمحاولة مساعدتها، جلست في كافيه وطلبت القهوة، فصوّرها الجميع الرواد بهواتفهم قبل أن ترحل بعد نصف ساعة..

سارت في شوارع المعز، ووجدت قطعة ضالة فحملتها وابتاعت لها، وصوّرها الكثيرون وهي تحمل القطعة عندما تبرز الشمس في الخلفية.

محتوى مقطع فيديو لأحد رواد التواصل الاجتماعي وهو يتحدث للكاميرا والجمهور الافتراضي:

وفي ليلة وضحاها أثبتت لنا العروس الجميلة كما أسماها

الجميع أن الخير لا يزال بداخلنا، لقد أصبحت تلك الفتاة «الترند» الحالي في المجتمع، وصورتها وهي تحمل القطة في حين الشمس تضيء المدينة من خلفها أصبحت رمزًا للجمال والتفاؤل، وتغلّبت تلك الصورة على صورة ضحية جادو المربوط فوق عامود الكهرباء، لقد أتت لنا تلك الفتاة كبصيص من النور وأضاءت عالمنا وسارت آمنة في شوارعنا دون أن تتعرض لأذى، وأصبح الكل يتحدث عنها، لقد أعادت البهجة لقلوبنا، وبشكل ما اتفق لا وعينا الجمعي على التحدث عنها هي وليس جادو، وأصبحت العروس الجميلة رمزًا لتحدي الظلام.

«جزء من منشور بخصوص الشقراء في فستان الزفاف»:

شكرًا لك يا آينور أنك أثبتت لنا أن النور لا يزال موجودًا.

جزء من التعليقات:

«حمدًا لله لوجود تلك الفتاة».

«هي مصدر الطاقة الإيجابية لنا».

«لقد جعلتنا جميعًا نلتف بالأمل».

«جزء من منشور بخصوص الشقراء في فستان الزفاف»..

لن يعجب رأبي كثيرين لكني لا أفهم ما هي رمزية الأمل

في فتاة ثرية تتعري لتصبح «تريند».

جزء من التعليقات:

«معك حق.. القوم أصابهم الخبال»..

«ساقطة تبحث عن الاهتمام».

جزء من لقاء تلفزيوني مع آينور الشهيرة بفتاة فستان

الزفاف:

المذيع: آينور، لقد أصبحتِ «الإنفلونسر» الأكثر شهرة في مصر وأكثرهم تأثيرًا والجميع يتحدث معك.. والآن ألم تترددي قبل القيام بتلك الخطوة الجريئة؟

آينور: جادو جعلنا نحيا في خوف وظلمات، كان مصدرًا للتوتر والرعب.. ما فعلته أنا كان محاولة للانتفاضة ضده، ولم أتوقع رد فعل الجميل من الناس والالتفاف حولي كما فعلوا.. أنا أبكي كلما شعرت بسعادتهم، لقد أثبتوا لنا أننا شعب جميل وطيب والخير بداخلنا، وجادو ليس سوى حالة فردية، مجرد مريض نفسي، ومحاولته لنشر الرهبة والظلام في المجتمع قد فشلت بالتأكيد.

- الكل يتحدث عنك الآن، وهناك شائعات عن عروض للتمثيل والإعلانات، ويقولون إن هناك كتابًا سيصدر قريبًا

لك عن واقعة فستان الزفاف، كما أن الكثير من المطاعم والمحلات تقدم عروضًا باسمك وتستخدم اسمك في الترويج لمنتجاتهم، ما هو ردك أنك فعلت خطوة الفستان لجذب الانتباه والشهرة؟

- أنا لم أتوقع قط كل تلك الضجة، بالتأكيد أنا سعيدة، وأنا خريجة إعلام وطيلة عمري أمتلك شغفًا بالتمثيل والكتابة، لكن كل تلك أشياء فرعية بالنسبة إليّ، كوني بصيص أمل هو ما يهم..

- ألم تخافي من ردة فعل جادو؟

تلتفت آينور إلى الكاميرا، وتقول: أنا هنا، وأتحداك أن تحاول المساس بي.. الخير سيظل دومًا حقيقيًا..

غمغمت رودينا وهي تجلس مع باقي المجموعة: تلك الفتاة آينور، هناك «تريند حالي بعنوان «نتحداك المساس بها، الخير سيظل دومًا حقيقيًا»..

علق سليم: إما أنها شجاعة جدًا.. وإما أنها حمقاء.. في كلتا الحالتين هي في خطر حقيقي..

كانوا يجلسون في مقهى، وقد اقترح رشدي هذا الاجتماع

قبل أن يقابلوا العضو التالي في فريقهم ويذهبوا لمقابلة
عامر عمران..

قال صلاح وهو ينظر إلى ناردين: ربما هي طعم من
الشرطة لاستفزاز جادو والإيقاع به.

مطت ناردين شفيتها ولم تُعلّق، قبل أن تنقل نظرها من
رشدي مرورًا برودينا ووصولًا إلى سليم.. وقالت: دعونا
نتحدث بصراحة، من الغريب تجمعنا بتلك الطريقة، نحن لا
نعرف بعضنا، ولا أعتقد أن أحدنا يثق بالآخر.. ولكي نعمل
معًا للإيقاع بهذا الرجل.. علينا أن.. آه.

أردف صلاح: أن يكون هناك تآلف بيننا.

- بالضبط، سمّوه تآلفًا أو روح فريق أو كائنًا ما كان.. نحن
بحاجة إلى معرفة بعضنا بعضًا..

هزت رودينا كتفيتها وظل سليم صامتًا.. في حين بدا عدم
الفهم على وجه رشدي..

تنهدت ناردين وأضافت: نحن نتعامل مع بعضنا بتكلف
رسمية وبزيف.

ابتسمت رودينا وقد قرأت ما يجول حَقًّا داخل عقل
ناردين، وقالت: بلا روح.

- نعم.

- حسنًا.. لقد تقابلنا للتو ومن الطبيعي أن..

- كلا، لا يوجد شيء طبيعي هنا، لا نحن ولا المهمة التي نحن بصددتها، لنكسر النمط الروتيني.

بدا الاقتناع على وجه سليم، رودينا كانت مقتنعة بالفعل، صلاح يتفقد ردود أفعالهم، رشدي لا يزال غير مدرك لمقصد ناردين..

تتابع ناردين: لاقتناص جادو، أو للكشف عن هويته، علينا العمل كفريق حقيقي.. تلك هي الخطوة الأولى.

- وما هو اقتراحك؟

- لنلعب لعبة الأسئلة، كل واحد منا يسأل الآخر سؤالاً عندما يقع عليه الدور..

- هاها.. نحن مجموعة من البالغين بصدد ملاحقة قاتل وأنتِ تريدين لعب «أدر الزجاج»..

- نعم.

- أنتِ حقًا مخبولة كما يقولون عنك.

بدا الغضب على وجه صلاح وهمّ بالرد، ولكن ناردين تابعت

بسرعة: هذا رائع، هناك صراحة في الإهانة والسباب، لا أحب التكلفة لنكن صرحاء بعضنا مع بعض.

هزت رودينا رأسها في تفكير موافق، وتنهد سليم.. قبل أن يقول لإدجار آلان بو الجالس داخل عقله: البارحة كنت أجلس وحيدًا والآن أنا بصدد عقد صداقات جديدة مع مجموعة من المخابيل، أعلم أنك ستقول إنني أيضًا مخبول ولذا سألعب معهم.

ثم تحدث سليم، وقال: سأبدأ أنا، لا يوجد زجاجة، لنسأل بشكل عشوائي.

تنهد رشدي وبدأ أنه يريد قول شيء ما، فابتسمت رودينا وأجابته مفسرة: لعبة أدر الزجاجة مثل كرسي الاعتراف.
- آه.. حسنًا.

وبدا أنه يهّم بالاعتراض ولكن أفكاره كانت متحمسة للعبة، هو لم يلعب قط في حياته.. ونظرت إليه رودينا نظرة من طراز: أنا أعلم حقًا ما تفكر فيه ولذا لا تعترض..

سليم يسأل صلاح: هل قتلت أحدًا من قبل؟

صلاح: دفاعًا عن النفس.

- أخبرنا ما حدث.

- كان من عبدة الشيطان، ويريد إحياء القرين.

بدت الدهشة على وجوههم بين تصديق وتشكك، وقالت رودينا: أنت لم تخف أن نوشي بك للشرطة؟

- الغرض من اللعبة أن نكسر الروتين النمطي لتعامل الغرباء بعضهم مع بعض أليس كذلك؟

ضحكت رودينا، وقالت: في العادي يسأل البشر بعضهم هل أحببت من قبل وأسئلة من تلك النوعية، ونحن نسأل هل قتلت أحدًا، نحن حقًا.. مختلفون.

كانت ناردين تنظر إليها بتركيز، ثم قالت لها: هل أحببت من قبل؟

ساد صمت طويل قبل أن تقول رودينا بصدق: كلا.

ثم سألت هي ناردين، وقالت: لم تندهشي عندما قرأت أفكارك.. لماذا؟

- أنا أو من بالمجهول، بالما وراثيات، تجاربي السابقة علمتني ذلك.

- أية تجارب سابقة؟

ابتسم صلاح، وقال: كل واحد بدوره، حسنا سؤالي أنا لسليم: قدرتك التي أريتنا إياها لتغيير الواقع، لماذا لم

تستخدمها لتصبح أثرى وأنجح وأشهر رجل في العالم؟

تنهد سليم، وتنمت رودينا بحنق لو أنها تستطيع قراءة أفكاره في تلك اللحظة؛ لأن شيئًا ما بداخلها قال لها إنه لن يقول الصدق، أجاب سليم: لأنني لم أرد ذلك.

نظر إليه الجميع، وغمغمت ناردين: فاقد الشغف.

- ماذا؟

همست له رودينا: قالت فاقد الشغف لكنها كانت تفكر أنها مثلك بشكل ما، تعرف شيئًا ما عن الاكتئاب.

قطبت ناردين حاجبيها، ثم قالت: أنا أرى أنه شيء مسلّ وجود قارئة أفكار بيننا، لكنني أتمنى ألا تكشفني دومًا عما يدور بذهني، في المعتاد أتكفل أنا بفعل هذا لنفسي بشكل مندفع.

- سأحاول.

- شكرًا لك.

- العفو.

ساد صمت غير مريح قبل أن يسأل صلاح رودينا: هل تتمنين أحيانًا لو لم تمتلكي موهبتك؟

- نعم.. أحيانًا، لكنني أحب امتلاكها أغلب الوقت.

- نظر سليم إلى ناردين، وسألها: احكِ لنا عن تجربتك مع الماورائيات؟

ابتسمت رودينا لاستكمال سليم سؤالها الذي لم تحصل على إجابته، وضحكت ناردين وهي تتبادل النظرات مع صلاح، قبل أن تقول: ذات ليلة كان القمر مكتملاً، واقتحم صلاح شقتي، وقيدني في الأريكة مهددًا إياي بسكين، أن أستمع لحكايته وأنتبه للتفاصيل وإلا سيقطعني إربًا، وحكي له أنه كان يعمل محقق تأمين في شركة خاصة، وكلف بمهمة البحث عن فتاة ذات شعر أزرق بعد أن اختفت، وصلاح يحب ذوات الشعر الأزرق ولذا كان يهيم حبًا بالفتاة، وفي أثناء رحلة بحثه عنها اكتشف أن هناك سلسلة من جرائم القتل من كيان يدعى الشيء، تخيلوا لو أن الاكتئاب تجسد في صورة مسخ يهيم في الأرض منذ بدء الخليقة، هذا الشيء القادر على التجسد في صورتنا، لينشر بيننا الخداع والجنون والشك والانتحار، ولسبب ما صدقت أنا صلاح وحاولت مساعدتنا، وواجهنا الشيء، يقولون إنه أتى من باخرة قديمة تهيم وسط ضباب البحر ويأتي منها الأهوال، آه والفتاة ذات الشعر الأزرق كانت على قيد الحياة ومن اتباع الشيء، وحاولت قتلنا، لم يعد صلاح يحب ذوات الشعر

الأزرق بعد هذا..

نظر إليها الجميع في صمت لوهلة، قبل أن تقول رودينا:
هي صادقة، لقد رأيت الشيء في عقلها..

ثم نظرت إلى صلاح، وأضافت: ورأيت ذات الشعر الأزرق..
ذوقك غريب يا رجل!

ضحكت ناردين، ومعها سليم.. وابتسم رشدي ورودينا إزاء
وجه صلاح المحتقن..

هنا قال سليم لصلاح وناردين: سؤال أخير لكما أنتما
الاثنان، هل أنتما مرتبطان؟

- كلا، ولكننا لم نسلم من شائعات ممن لا يؤمنون بوجود
صداقة بين الرجل والمرأة.

ثم قالت ناردين: لقد قرأت كتابًا لك من قبل يا سليم، قبل
غيبوبتك، هل تؤمن حقًا بأن القتلة يمكن علاجهم نفسيًا؟

- اعتدت أن أؤمن هذا، لقد تغيرت معتقداتي بعد الحادثة.

قال رشدي مقاطعًا اللعبة: كل منكم قاداته ظروف حياته
ليمر بتجربة ما مظلمة مع أمثال جادو، مع قوى الظلام كما
كان عامر بك سيقول الآن، وكل منكم يقود حياة مختلفة عن
باقي القوم، أعتقد أن عامر بك كان محققًا، أنتم الأناس

المناسبون لاصطياد جادو..

تبادل الجميع نظرات، وقال سليم معترفًا: كنت محقة يا ناردين، اللعبة غيرت شيئًا في طريقة تعاملنا حقًا.

هزت ناردين كتفيها، وقالت: أنا دومًا محقة.

ابتسم صلاح مضيئًا: وشديدة التواضع.

ثم نظروا إلى رشدي، وقال صلاح: من ينقصنا؟

- رجل يحيا بين الأنفاق، ربما يكون حقيقيًا وربما لا، لا أحد يعلم، يقولون إنه الرجل الذي عض التراب، لا أحد يعلم حكايته، وقد حاولت الوصول إليه دون جدوى.. كل ما قاله عامر بك إنه كان رجلًا عاديًا قبل أن تُقتل عائلته أمام عينيه، وتحول بعدها لرجل غاضب ينتقم من أمثال من قتلوا عائلته.

شعرت رودينا بقليل من الأسى لرشدي وهو يتحدث، لقد كان يتمنى أن يشاركوه الدور في اللعبة لكن أحدًا لم يسأله شيئًا..

قالت ناردين: الرجل الذي عض التراب، لقد سمعنا بعض الأقاويل، يقولون إنه فقد عائلته على يد سفاح ما، فزهده الحياة، وكرس حياته للانتقام من الأشرار، أعلم أعلم أنه

تعبير درامي ورومانسي، الأشرار، لم يعد أحد يستخدمه كثيرًا، كنتم ستفهمون أكثر لو كنت قلت الأوغاد، لكن تلك طريقة كلامي و..

يهمس صلاح: ناردين، لا داعي للاستطراد.

- حسنا حسنا، الرجل الذي عَضَّ التراب، أعتقد أنه أساطير شعبية.. كيف يحيا رجل أسفل الأرض، هل هو متشرد؟.. لا أعتقد أنه حقيقي، لقد أَلَّفَ أحدهم حكايته.

- تبدو كحكاية سخيفة، المنتقم، وما الذي يفعله بالضبط؟ يرتدي زي وطواط ويخرج ليعاقب المجرمين، من أَلَّفَ حكاية هذا الرجل يهوى حكايات الأبطال الخارقين.

فكرت ناردين ثم أجابت: أو هو يهوى رواية أمير الانتقام «كونت أوف مونت كريستو» الفرنسية، لكني ما زلت أعتقد أنه غير حقيقي.

- ولا أنا.

قالها رشدي.. هزت رودينا كتفيها وتبادلت النظر مع سليم، قبل أن تقول: لا أنا ولا سليم نعرف شيئًا عن هذا الرجل..

- لا أعتقد أنه توجد طريقة للوصول إليه والتحقق على كل حال.

- إذا نقابل عامر عمران، لقد اكتمل الفريق ونحن بحاجة إلى وضع خطوات للبدء على الإيقاع بجادو.
- كلا.

قالها رشدي، وساد الصمت قليلاً.. قبل أن يقول هناك آخر نحن بحاجة إلى مقابلته بحسب توصيات عامر، قبل البدء..
- من؟

- رجل مثل جادو.. حبيس مصحة نفسية.. يُدعى آدم..
- آدم؟

بحسب ما قاله عامر، آدم ليس مثلكم، هو النقيض، ولأسباب كتلك هو قادر على تفسير دوافع جادو إليكم.

- وما الذي سيجعل سفاخًا يساعدنا؟

شردت ناردين قبل أن تسبق رشدي بالرد: لا يجب أن نستهنين بقدراتنا، سنجعله يتحدث، ألم تقرأوا رواية صمت الحملان؟ كلا؟ ولم تشاهدوا الفيلم؟

- كلا.

- آه الرواية رائعة وكذلك الفيلم.. الأحداث تدورع..

تنحنح صلاح قائلاً: ناردين، لا تستطردني..

وكررت رودينا السؤال: ما الذي سيجعل سفاخًا يساعدنا؟

بدت الحيرة على وجوههم، وتبادل سليم نظرة مع إدجار
الآن بو داخل عقله، قبل أن يقول: بإمكانني جعله مساعدتكم،
سأجبره على هذا...

وأشار إلى مفكرته..

هتفت ناردين: بالطبع، لقد اعتدنا التعامل بقدرات البشر،
نحن فريق من خارقي القوة الآن..

- أهي دومًا متحمسة كالأطفال؟

هز صلاح رأسه، وقال: أغلب الوقت..

قال رشدي: لذا أصر عامر على وجود سليم قبل مقابلة آدم،
أنت سبيلنا للدخول إلى مصحة، هيا بنا..

الفصل التاسع

جلست آينور في شقتها بالشروق، أشعلت لنفسها لفافة تبغ وهي تجلس أمام الحاسوب، وتتابع تعليقات رواد التواصل الاجتماعي.. رن هاتفها، أجابته بعد أن تركته يرن قليلاً: ألو.. مرحباً يا أستاذ شريف.. بالطبع بالطبع.. حسناً، غداً موعد التصوير في الزمالك، ها ها لا تقلق سأحضر قطتي معي..

أنهت آينور المكالمة واستلقت فوق الأريكة ونفثت دخان سيجارتها، لمحت قطتها روزيتا تسير من بعيد، ضحكت وقالت: لدينا جلسة تصوير بالزمالك غداً يا روزي..

رفع أنور حمدان وجهه الشاحب، ونظر إلى انعكاسه في المرآة، كان يجلس في غرفة مظلمة، فوق مقعد متحرك، ظل ينظر إلى المرآة، ثم نظر إلى صورة علا وعلياء في حافظته، وغمغم: بناتي..

ثم غمغم مرة أخرى بصوت متهدج: بناتي.

وبعد وهلة انسابت دمعة من عينه..

ثم كتب: الكل يعتقد أنني ميت، لكني لم أقوَ على الانتحار، لقد فشلت في حياتكم.. سامحوني!

وانسابت دموعه على الورق الذي يكتب فيه..

المكان: المقابر.

الزمان: الثانية صباحًا.

يسير جادو بهدوء وسط شواهد القبور، يرفع جادو ذراعيه لأعلى، منتشيًا بالموتى من حوله، يسير بثقة غير مبالٍ بكلاب المدافن، يعلم أن هناك غفيرًا يحيا مع عائلته، بالغرفة المطلة على الشارع، يواصل جادو السير، ينحني أمام شاهد قبر بلا اسم، يزيح الشاهد، وينبش الأرض الطينية، تستمر عملية النبش ساعة كاملة، وهو راقد على ركبتيه..

يدخل جادو القبر، وينظر إلى الجسد المتحلل داخل الكفن، يشهق منتشيًا ويقول: لم تُدفن وسط التراب بحسب وصيتك، لأنك ثري، والآن أنت في حضرة جادو..

يقترّب جادو ويزيح الكفن الأبيض، أسفل كان الجسد المتحلل لمراهقة، يرفع جادو حاجبيه ويقول متفحصًا إياها: فتاة.. جميلة..

يجلس جوارها، ويتحسس شعرها المتساقط في حنان، والذي يقع في قبضة يده، يغمغم جادو: كنت أشعر بالوحدة

وبحاجة إلى رفيق، أنت رفيقتي الليلة، أعتقد أنني سأعيد تلك الزيارة.. اسمي هو.. جادو.. أنا أحب أغاني الجاز، وماذا عنك أنت؟

ينصت إليها جادو وكأنها تقول شيئًا، قبل أن يضحك، ويقول: وأنا أيضًا.. لم أعتقد أننا سنمتلك أشياء مشتركة كتلك..

ثم تنهد مضيئًا ومحددًا جثة الفتاة: لا يوجد زيف في المقابر، لا نفاق.. الحقيقة فحسب.. أليس كذلك؟ أنا لا أنتمي إلى أحد في الأعلى، لا أحد يحب الأشياء التي أحبها، ولا أحد يهتم بالتفاصيل التي أكرت لها، ولذا كان عليّ أن أصنع سعادتي الخاصة، أن أتبع شغفي..

ظل جادو يتحدث مع الجثة ساعتين، وفي النهاية اعترف لها بحبه واحتضنها، قال لها إنه يريد أن يصبح «الإنفلونسر» الأكثر شهرة، وحكى لها عن طموحاته وأحلامه، وكيف أنه يُقدّم محتوى حقيقيًا بخلاف المدعين، ثم أخرج مدية من جيبه، ونظر إلى وجهها وهو يعرف ماذا سيفعل به جيدًا.. ثم نظر إلى السماء وقت الغسق وهو يقف وسط شواهد القبور مبتهجًا بمشواره الاستثنائي في الحياة..

الغفير كان يغطّ في نوم عميق جوار امرأته، لقد قضى ساعات في تدخين النرجيلة وشرب الشاي، والآن هو

حقًا ينام بمزاج رائع، ابنته ذات الأعوام الستة كانت تنام جوارهما في الغرفة الضيقة، فتحت الطفلة عينيها ببطء عندما سقط الظل عليها، وأمام عينيها وجدت هذا الرجل الواقف مرتديًا قناعًا من جلد الموتى على وجهه، شهقت الطفلة، وفتحت فمها لتصرخ، لكن زائر الليل أشار لها بيده أن تصمت، منذ متى وهو يقف ويراقبهم وهم نيام؟.. دقائق قلبها تتسارع حتى لتشعر أنه سيمزق صدرها ويفرّ هاربًا، تحاول الفتاة أن تهمس: أباه.. فقط ليخرج منها صوت متحشرج غير واضح..

تحاول الطفلة الاستدارة لوالدتها، لكن الخوف يشل جسدها، هي تبكي الآن.. تمد يدها الصغيرة وتعقد يدها بيد أمها..

منذ متى وهو هنا يراقبهم وينام؟..

يظل ينظر إليها في صمت، تسمع صوت أنفاسه البطيئة.. يقترب القادم منها، تشهق الطفلة، ثم تستجمع أنفاسها أخيرًا لتصرخ بلا توقف عندما تدرك المصير الذي ينتظرها كوالدها ووالدتها..

جزء من خبر في جريدة إلكترونية:

«لا يزال البحث عن الطفلة سلوى ابنة الغفير محمود مستمرًا، وقد وجدوا جثة الغفير مع امرأته في مسكنهم بمدفن طريق الدائري، وتُصرِّح الشرطة أن التحقيقات الأولية تقول إن الجريمة حدثت بسبب ثأر ما قديم يطارد الغفير لأصوله الصعيدية».

خبر في جريدة ورقية..

«جادو فعلها.. صرَّح مصدر إعلامي بأن الشرطة وجدت بطاقة: جادو فعلها «في غرفة الغفير».

منشور على السوشيال ميديا:

«لنفعل «هاشتاج» الطفلة سلوى لعلها لا تزال حية، ثرى أين أنتِ أيها الملاك الصغير»؟

محتوى مقطع فيديو لآينور على الإنستجرام:

«اصمدي يا سلوى، اصمدي.. ولنصمد جميعًا».

محتوى مقطع فيديو في اليوم التالي لآينور على الإنستجرام مع

«الإنفلونسر» ماجد عبد البصير..

تضحك آينور وهي تتأبط ذراع ماجد، وكلاهما يسير داخل مطعم مشويات مشهور.. وتشم آينور رائحة الشواء قبل أن تقول: أوه يا ماجد ليت المشاهدون يشمون ما نشم الآن، حقًا غاية في الروعة!

يواصلون جولتهم داخل المطعم -الذي قام أصحابه بإخلاء جزء خاص من أجل آينور وماجد- ويستمر الاثنان في الحديث عن جودة الخدمة والطعام، ثم ينتقل الفيديو إلى ماجد وهو يأكل بشكل مُقَرَّر ويئن في استمتاع في حين آينور تضحك، وفي نهاية الفيديو تقول آينور مُحدِّثة الكاميرا: لا بد أن تأتوا وتأكلوا هنا..

ثم تغمض عينيها وتضيف بعينين باسمتين ووجه حزين: ولا تنسوا الدعاء من أجل سلوى، لن يمنعنا جادو من الحياة.

جزء من التعليقات على الفيديو:

«هممم الأكل يبدو رائعًا».

«يا لك من فتاة جميلة!»!

«ماجد أنت تبدو وسيماً للغاية».

«هل ارتبطتِ يا آينور بماجد؟»

«المطعم حقًا رائع وعن تجربة».

- ولم يدع شخص واحد لسوى في التعليقات.

قالتها ناردين وهي تضع الهاتف جانبًا في تأفّف، كانوا في سيارة رشدي الرباعية، غمغم سليم بشرود وهو ينظر من النافذة: لقد تقاضت آينور مبلغًا باهظًا من المطعم لقاء تلك الحملة الدعائية.

قال رشدي وهو يدير المقود: لا أفهم عمّ تتحدثون، في أيامي لم يكن هناك سوى إعلانات الحكومة.

ضحك سليم، وقال: كلما تغيرت الأشياء..

أكملت ناردين: كلما ظلت على حالها.

نظرت رودينا إلى صلاح في دهشة الذي التفت إلى الخلف من المقعد الأمامي، وقال: نعم الكتاب يُكمِلون كلام البعض.. سوف ترى غرابة أطوار لا بأس بها المدة القادمة..

نكزته ناردين في ذراعه، قبل أن تنظر إلى هاتفها مرة أخرى، ويمر أمام أعينها عدة مقاطع فيديو على «الإنستجرام» لفتاة ترقص مع ظلها، رجل وزوجته يتحدثان من غرفة النوم عن الطهي ويضحكان بافتعال، قطة تأكل وتقضي حاجتها، اثنان يأكلان ويمضغان بصوت عالٍ، ورجل يضع مياه مثلجة في سروال زوجته ممازحًا، ومشهد تمثيلي سيئ لشاب يرتدي حجابًا ويقلد ما تفعله الفتيات بطرق

حديثهن وردود أفعالهن، يلي هذا فيديو لفتاة تشير في صمت كأنها تتخاطب بالصم والبكم لمنتجات من الملابس وهي متبسمة قبل أن تتغير ملابسها تلقائيًا، في حين التفاعلات تزداد بشدة إزاء تلك المقاطع..

- لا أصدق أنهم يجنون أموالًا من هذا الهراء، رأسي سينفجر.

- الهراء كان موجودًا دومًا.

- كلا، هذا ليس حقيقيًا، عدوية وفوازير فطوطة كانت شيئًا مرحًا مثلًا، ولكنها تداعب خيالنا بشكل ما ولم تكن بهراء، لكن هذا الهراء حقيقي ولا مناص عنه، أتلك هي حقًا وظيفتهم؟.. أن يكونوا زائفين ويقدموا هذا العبث؟

- هذا أفضل من الذهاب إلى العمل صباح كل يوم لتلقي التوبيخ من مدير يعاني النقص..

- لقد وصلنا.

قالها رشدي وهو يوقف السيارة وينظر إلى سليم نظرة ذات مغزى.. يربّت الأخير على مفكرته في توتر، ويبتسم له الآن بو مطمئنًا، وتلاحت أمام عينيه مصحة الأفق النفسية قابعة خلف السور الحديدي وقت الغروب..

وغمغت ناردين: حان وقت مقابلة آدم..

الفصل العاشر

البهجة.. كل البشر يبحثون عن البهجة وأنا قد التهمت بهجتك.. أنا قد انتزعت كل ما تملكه من حب وزرعت مكانه الألم المطلق.. مرحبًا في دائرة العناء، ادخلها بقلب رحب.. واترك من بعض كآبتك قبل أن ترحل.. أنا قد أخذت بهجتك.

شعرت ناردين وهم يخطون صوب المصحة بعد ترجلهم من السيارة كأنهم يخطون نحو نهاية العالم، الشمس تغيرت وتصطبغ السماء باللون الأحمر، وفكرت أن لو كان هذا مشهدًا تكتبه في رواية لها، لكتبت: وخطا الخمسة صوب المصحة النفسية النائبة عن المدينة، وبدا أن الطبيعة نفسها تُنذرهم من الاقتراب من هذا الرجل..

لقد سمعت ناردين بعض الحكايات عن آدم، في أثناء جولاتها في العوالم السفلية مع صلاح، ومما سمعته عنه فهي تدرك أنه ربما يكون بنفس درجة سوء جادو.

حاولت رودينا التظاهر بأنها تنظر إلى البوابة الحديدية للقصر، بدلًا من قراءة أفكار المجموعة.

يصل رشدي إلى البوابة وينظر إليه مجند الأمن، يتراجع رشدي خطوةً إلى الخلف تاركًا القيادة لسليم الذي وقف أمام

المجند، وقال: «السلام عليكم».

- وعليكم.

أخرج سليم المفكرة وكتب بها، فتح المجند البوابة لسليم ورفاقه ودخلوا، فتح لهم المجند البوابة في شرود ليدلفوا، توقف سليم وأضاف في المفكرة: ومن هذا الحين سيجيب المجند دومًا السلام كاملاً.

وابتسم وهو يسير في الفناء وهم يتبعونه.

قال له الآن: أنظر إليك تمشي في خيلاء وتباهي مع رفقاءك، قائد حقيقي مبتهج وكل شيء، ويمتلك الطاقة.

- هل تعتقد أن كل هذا حدث لأنني استيقظت مكتئبًا وكتبت في المفكرة أنني بحاجة إلى بعض الطاقة؟

-ألا تذكر؟! أنت كدت أن تكتب، لكنك لم تفعلها.

يبتسم سليم لإدجار آلان بو..

يهرع موظف أمن مكفهر الوجه لسليم والباقي، وهو يقول:
من أنتم هذا ليس وقت الزيارات؟

كان فرد الأمن يقف في تكاسل يدخن لفافة تبغ خلصة،

عندما أتته ممرضة وهمست له بوجود زوار.

قال له سليم: «أهلاً بك».

ثم كتب شيئاً ما في مفكرته؛ فأفسح له فرد الأمن مجالاً،
وقال: «تفضل بالدخول».

هتفت الممرضة: ما هذا؟!

يكتب سليم في المفكرة، تجلس الممرضة في صمت،
وتقول: سأتعامل جيداً مع كل المرضى من الآن فصاعداً
وأهتم بهم، أنت وسيم للغاية يا سليم.

يبتسم سليم، وتقول رودينا: يا لك من متباهٍ!

تبادل ناردين نظرة باسمه مع صلاح ويهز رشي رأسه.

هنا يقفون في تردد ويلتفتون حولهم، قبل أن يقول صلاح:
ما هي الخطوة التالية؟

يقترب سليم من الممرضة وهو يكتب، تقول له:

- آدم في الطابق الثالث، غرفة ٦.

- حسناً.

- كنت أتوقع أن يكون في الغرفة رقم ١٣، يا له من أمر
مخيب للآمال!

- تلك ليست إحدى رواياتك يا ناردين.

قالها سليم، فردت ناردين: نعم، نحن في رواياتك أنت.

همس لها صلاح: ليس هذا وقت غيرة الكتاب.

- تَبًّا لك.

يوصلون السير ويصعدون السلالم متجهين إلى الطابق الثالث، ويهتف رشدي معترضًا وهو يلتقط أنفاسه: ألم يكن بإمكانك اختراع مصعد لنا عن طريق مفكرتك تلك.

- مفكرتي «تلك» فتحت لك كل الأبواب، والأمور لا تسير هكذا، أنا لا أوجد الأشياء، فقط أتحكم في وعي من اختلط بهم.

- حسنًا.

- أنا لا أستطيع تغيير الماضي ولا خلق الأشياء.

- حسنًا.

- لقد فهمنا.

يصلون إلى الطابق الثالث..

يشير لهم سليم أن يتوقفوا قبل أن يقول:

- خطوة أخيرة قبل مقابلة آدم.

ويكتب في مفكرته: يقابل سليم ورفاقه الطبيب المختص
بمعالجة آدم قبل مقابلة الأخير، ثم يزفر حانقًا ويُغيّر ما كتبه
بعدهما تذكر أنه لم يقابل الطبيب من قبل.

تصعد الممرضة لمقابلة سليم، بعد دقائق تأتي إليهم
الممرضة، كان هناك أطباء وعمال نظافة حولهم لكن سليم
كان يتعامل معهم بمفكرته.

يخط سليم شيئًا ما في مفكرته، فتقول الممرضة: دكتور
«أردن» هو المسؤول عن آدم، هو إجازة اليوم.

تزفر ناردين، وتتمتم:

- قواني ميرفي اللعينة.

يواصل سليم الكتابة في حين تذهب الممرضة.

- أين ذهبت؟

يلتفت سليم إليهم مجيبًا: ستتصل بالطبيب وتدعوه إلى
هنا، لنتنظر.

- ماذا لو رفض المجيء؟

- لا أعتقد أنها خطوة ذكية بأن ندخل ونقابل من في
خطورة جادو، من دون معرفة مع من نتعامل، ونأخذ فكرة

عنه من طبيبه النفسي.

تهز ناردين رأسها، وتقول:

- لا أحب التخطيط، أفضل الارتجال لندخل فحسب.
- لا تحبي التخطيط أم أنك ملولة لا تحبين الانتظار؟
- أيًا ما يكون.

يقول رشدي: سليم معه حق، سوف ننتظر.

تصمت ناردين بوجه لا يفصح عما بداخلها، ويتنهد صلاح مدرگا أنها حانقة، فهي للمرة الأولى لا تتولى زمام الأمور، هو يعلم جيدًا أنها عنيدة، ومستقلة، ولا تحب أن يُملى عليها رغباته، خاصة لو كانت تلك الرغبات منطقية.

هنا زاغت عينا رودينا، وصرخت:

- أخرجوني من هنا.

أجفلوا جميعًا، وضعت رودينا يدها على رأسها، وصاحت:

- لا أستطيع تحمل أفكارهم، يا إلهي، المرضى النفسيون، أفكارهم أرجوكم أخرجوني من هنا، أنا أحاول التماسك منذ دخولي .

ثم أفرغت ما في جوفها دفعة واحدة، وهي تردف:

- كنت أحاول التماسك منذ دخولنا، أفكارهم جميعها تهاجم عقلي، آه لا أستطيع التحكم.

- سليم، اكتب في مفكرتك أنها ستكون على ما يرام وستصمد.

- لن أفعل هذا بالتأكيد، هذا ليس من حقي.

سقطت رودينا فالتقطها سليم مسرعًا، واحتضنها برفق، اقتربت منها ناردين مسرعةً واحتضنها بدورها، حاملة إياها مع سليم، التفت صلاح حوله، صياحها بدأ يجذب الانتباه وتجمع الممرضين وبعض الأطباء.

- تَبًّا، لئُخرجها من هنا قبل أن يبقوها هنا.

اقترب الجميع منهم.

تصيح ناردين: «سليم افعل شيئًا الخطة تفشل».

- كيف؟! أنا لم أتعامل مع كل هؤلاء، تَبًّا.

يتراجع رشدي للخلف، ويتحدث بصرامة:

- سليم سيتصرف مهما تعقدت الأمور.

هنا صرخت رودينا بكل ما أوتيت من قوة ونزفت من أنفها وبدأت ترتجف.

هز صلاح رأسه وهو ينظر إلى ناردين قبل أن يصيح: كنت في غاية الضيق؛ لأنك لم تأخذي القيادة.

- كيف عرفت؟

- أنا أعرفك.

- تبًا.

- هذا دورنا.

- لنريهم ما نستطيع فعله إذًا.

كان هناك فردا أمن، شديدا الضخامة، يقفان قبالتهم الآن، ومن خلفهما طبيب متجهم الوجه، وعدد لا بأس به من عمال النظافة المتأهبين، إضافة إلى اثنتين من الممرضات.

وقف صلاح، وقال لهم: نحن معنا تلك الحالة من د. «ناردين الصباغ»، ومنتظر د. «أردن».

نحن لا نستقبل حالات هنا.

همست ناردين لسليم:

- سأعتني بها.

ترك سليم روديना بين ذراعي ناردين، وذهب مسرعًا ليقف جوار صلاح، ويقول للطبيب وهو يكتب بيد مرتجفة في

المفكرة: ماذا؟!

- نحن لا نستقبل حالات فردية هنا، المعاينة في العيادات الخارجية، نحن مؤسسة حكومية يا أستاذ، اطلب الشرطة لهؤلاء اللصوص يا فوزي.

يومئ فرد الأمن برأسه.

يهتف سليم: فوزي.

ينظر إليه فوزي بغضب.

ينتهي سليم من الكتابة..

يصيح الطبيب:

- نعم، نعم، معذرة يا سادة، وزير الصحة قد أنبأني بقدمكم، نعم سنقبل تلك الحالة، أعتذر إليكم.

ابتسم فوزي لهم فجأة، يتركهم سليم ويعود لرودينا، في حين يقول صلاح: هلا اعتنيتم بها لحين وصول د. «أردن».

تفتح روديना عينيها، لتجد أنها مستلقية فوق أريكة، سليم وناردين بجوارها، في حين صلاح يقف مع رشدي.

جوارها العديد من العصائر والشكولاتة، تهمس ناردين مداعبة: لم أعتقد أنك من تلك الفتيات التي يغشين عليها

ويصبن بالإعياء سبع مرات في اليوم.

تئن رودينا ولا تُجيب، قبل أن تقول: أشعر بإعياءٍ شديدٍ.

- ما الذي حدث؟

تتنهد رودينا، وهي تتذكر سجناء تلك المصحة يختلفون عما بالخارج، أفكارهم تختلف، لا حدود لها، وقد خرجوا من العنابر والغرف ليقترحوا عقلها، تشعر رودينا بالقبضة داخل عقلها وهي تتذكر قبل أن تنفض رأسها، وتقول: ليس الآن، ليس الآن.

- حسنًا.

يُفتح باب الغرفة ويدخل رجل في الخمسينيات، قصير، غاضبٌ: ما الذي يحدث هنا؟

يفتح سليم المفكرة.

بعد دقيقة كان د. «أردن» يجلس أمامهم في صمت، يسأل سليم رودينا: أنت بخير؟

- لا أعلم، أعتقد أنني أفضل الانتظار في السيارة.

- حسنًا.

بدا التردد عليها، كادت أن تطلب منه أن يحجب أفكار

المرضى عنها، ثم عدلت عن رأيها، قال رشدي: سأنتظر معها في السيارة.

يومئ له سليم برأسه، رادفًا: سوف أذهب معكم لكي أتحقق أن أحدًا لن يوقفكم، سأعود في خلال دقائق.

قال جملته الأخيرة محدثًا صلاح وناردين.

يخرج سليم مع رودينا ورشدي.

ويظل د. «أردن» جالسًا في صمت.

تقول ناردين: وحدنا أخيرًا.

- لا تتظاهري بالامتعاض، أنتِ تشعرين بالحماس مع كل ما يحدث.

- أتقول إنني مدمنة مغامرة لا أستطيع الحياة في روتينية؟

- أقول إنك مجنونة.

- وتلك الشهادة قادمة من مقتحم ليلي بسكين.

- لم أدع قط العقلانية.

- حسنًا، لننظم أفكارنا.

يبتسم صلاح وهو ينظر إليها، تواصل ناردين: سليم كاتب يمتلك قدراته الخاصة، وكذلك «رودينا»، «رشدي» منظم

العملية، و«عامر عمران» الثري الغامض، الذي يحيا في قصر ويعرف الكثير عن الجميع، عليك أن تعترف أن شخصية عامر تبدو كأنها قادمة من إحدى رواياتي.

- آه هه!

- وهناك «جادو»، رجل أم امرأة؟ سنفترض أنه رجل، «جادو» من هو حقًا؟! لقد عرفنا الكثير عن شخصيته، من مذكراته التي تسربت.

- هو سفاح نرجسي يقتل بسبب شهوته للنساء، يعوض عدم قدرته على الحصول عليهن بقتلهن، وهو يمتلك «أنا» ضخمة، ولذا قتله جعل جريمته الأولى، مقتل ركاب محطة الأنفاق، حدث درامي يجذب الانتباه، هو لا يتبع نمط ومن ثم هو فعلاً ليس قاتلاً متسلسلاً كما قال في مذكراته، التعبير الأدق لوصف «جادو» هو «سفاح» وهو يجازف قليلاً في جرائمه، ليس حريصاً، وهذا ناجم عن ثقته الزائدة بنفسه، أعني كان بإمكان أحد رؤيته وهو يدفع الركاب في محطة الأنفاق، لكنه خاطر معتمداً على لا مبالاة القوم، وانشغالهم بهواتفهم المحمولة، جريمته الثانية استطاعت أن تتفوق في بشاعتها على جريمته الأولى:

- «قتل الرضع».

ترتجف «ناردين» وهي تتخيل قبل أن تواصل:

- هنا هو خاطر مرة أخرى، أن يتم القبض عليه، لو كان القوم قد رأوا جريمته في المترو أو المستشفى لكانوا فتكوا به، لكنه استطاع التسلل في قلب الليل للمستشفى وذبح الممرضة، قبل رمي الأطفال من أعلى، جريمته الثالثة: «علا وعلياء وأنور حمدان».

- أنا أعتبر تلك هي أول جريمة حقيقية له.

- ما الذي تعنيه؟

- أول جريمة شغف، ليس استعراضًا وتباهيًا كأول مذبحتين، هو كان يحب «علا وعلياء» بطريقته ولذا قتلهن، من أجل متعته الشخصية.

- وما فعله «بأنور حمدان» والدهم؟!

- الذل، والمعاناة التي مر بها «أنور» والتي قرأناها في المذكرات التي تسربت للعامة، مقدار الألم الذي تعرض يقولون لنا إن «جادو» أراد العبث وهو في حالة انتشاء، ربما ذكره «أنور» بوالده هو، وأيقظ بداخله رغبةً في الانتقام ممن يمثلون السلطة الأبوية، ربما لم يكن معلمه في المدرسة.

- جريمته الرابعة هي الأكثر غرابة.

- مقتل الغفير وزوجته واختفاء الطفلة.

هناك سؤالان يجب إجابته.

أين الطفلة؟!

وهل مات أنور حمدان حقًا أم أنه يحيا في بؤس منزويًا
في مكان ما؟

يتنهد صلاح ولا يجيب عن الأشياء التي يفعلها البشر
بعضهم ببعض، كذا فكر صلاح، ثم قال: وأينور؟

- ماذا عنها؟

- أتعتقدين أن جادو سيلاحقها؟

- من المحتمل جدًّا، نحن بحاجة إلى التواصل معها،
واستخدامها كطعم.

- بالطبع، وإن كنت لا أحب تلك التسمية، تجعلني أشعر
كأنني شخص عملي غير مبالٍ، لكنني أعني، لو كان «جادو»
سيلاحقها في كل الأحوال، نحن فرصة لا بأس بها.

- أتخيل جادو وهو يقف أمامنا، يكاد يهاجمنا، فيكتب
«سليم» شيئًا ما، فيذهب ويعد لنا الشاي، ضحكت ناردين؛
ثم قالت: علينا التواصل مع «أينور»، وعلينا البحث عن «أنور
حمدان»، هذا ما كنا لنفعله لو كنا بمفردنا، لكننا لا نزال نتبع

خطة «عامر عمران» ولنصف مقابلة «آدم وعامر» للخطة.

- تَبًّا!

هنا يصل سليم، ويدلف إلى الغرفة.

- أهى بخير؟

- نعم.

- حسنًا لنبدأ.

هلا كتبت في مفكرتك أن ينسى د. «أردن» حديثي مع
صلاح في العشر دقائق السابقة.

- حسنًا.

تفكر ناردين د.أردن، اسم يليق بالتأكيد بشخصية روائية،
لكنها كانت لتجعله كهلاً وسيماً، أشيب الفودين، يدخن
الغليون، ليليق بمظهر الطبيب النفسي الخبير عند عقول
القراء.

يخط سليم في مفكرته، ويتحدث أردن.

- آدم، لا أحد يعلم اسمه بالكامل، لا توجد بطاقة له، ولا رقم
قومي، اسمه غير موجود بالسجلات ولا بصماته، منذ أربعة
أعوام وجدوه في فيلا بالمقطم، ليست فيلته، لكنه

كان يحيا فيها بعد مقتل أصحابها، تلك الفيلا كانت بيت الرعب من دون مبالغة، هياكل عظمية، أناس دُفِنوا أحياء داخل الجدران، لقد كان يزين الجدران بأجزاء من أجسادهم، الكثير من الجثث، هذا ما وجدوه، آدم كان ينزف، يُحتَضِر لكنَّ المسعفين أنقذوه، النظرية تقول إن أحد ضحاياه استطاع التغلب وذبحه تاركًا إيَّاه للموت، لقد وجدنا عنقه منحورًا، لكنه نجا بمعجزة، أربعة أعوام كاملة لم ينطق فيها «آدم» بحرف، يجلس في صمت ويحدق بالحائط، من هو حقًا؟ كل ما نعرفه أنه يُقدر الفن والجمال، الكثير من اللوح والمقطوعات الموسيقية والكتب في فيلته، كان يستخدم كل هذا، ولذا أرجَّح القول إن تلك الأشياء تعود له هو، ليس لأصحاب الفيلا، استطعنا إخفاء «آدم» ومحتويات الفيلا عن الصحافة والإعلام، ولم يصل أمره للرأي العام ولا لمواقع التواصل الاجتماعي، وهكذا قضى «آدم» أعوامه هنا معنا، منذ سنة أدركنا أنه هو المسؤول عن مذبحة مديرية الأمن، لو تذكرون عندما ذهب رجل إلى مديرية الأمن مدعيًا أنه محامي، وقابل متهمًا، وظل يتحدث معه حتى أجبره على الانتحار عن طريق ابتلاع لسانه، ثم قتل عددًا من الضباط والمجندين بعدها، الحقيقة أنني اكتشفت هذا بمفردي، لكني لم أخبر المسؤولين، لو عرفوا لأعدموه فورًا، وأنا أريد الاحتفاظ بآدم، هو يختلف عن الباقي ويثير فضولي بشدة،

أعتقد أنه المريض المثالي، عقله شر مطلق، لو استطعت التواصل معه، لتوصلت لمفاتيح الشر البشري.

تبادل ناردين نظرة مع صلاح وسليم، قبل أن تقول لسليم: اجعله يقول لنا كيف عرف بمذبحة مديرية الأمن.

يخط سليم في المفكرة ويقول أردن: شاهدت تسجيل للمذبحة وميزت بنية «آدم»، ينظر سليم إلى ناردين وصلاح، لا يكتب أسئلة أخرى في المفكرة، يقود «أردن» سليم ورفاقه لمقابلة آدم.

الفصل الحادي عشر

الغرفة ٦ كانت تقبع وراء باب حديدي، يقترب «أردن» ويعالج القفل، ينفتح الباب مصدرًا صريحا ويكس ظلًا كبيرًا على الأرض، يتنحى «أردن» جانبًا، ويدلف سليم ببطء تتبعه ناردين وصلاح.

الغرفة كانت منقسمة لنصفين، هناك فراش ودورة مياه، وحاجز زجاجي يفصلهم ويبقيهم بالخارج، كان «آدم» يجلس كأنه ينتظرهم، ويتوقع قدومهم، ينظر إليهم ببطء، بعينين ثابتين، شديدي السواد، سرت رجفة في جسد «ناردين»، وكذلك «سليم»، أما صلاح فقد احتفظ برباطة جأشه، وقف الثلاثة وراء الحاجز الزجاجي، «آدم» كان فارع القامة، بإمكان «ناردين» تمييز هذا وهو جالس، متين البنية، له لحية ضخمة تكاد تخفي وجهه، وشعر غزير، تأثير المصحة لا شك، كان نحيفًا، وله وجه يذكرك بقليل من الخيال بوجه «عادل أدهم»، وهو شاب ممزوج بشخصية وإطالة يوسف وهبي، اقترب سليم من الحائط الزجاجي ورفع مفكرته، وكتب بها: وهكذا لم ينطق «آدم» بحرف طيلة الأربع سنوات السابقة، لكنه سيتحدث الآن، سيخبرهم جميعًا بتخيله لشخصية جادو وهيكله النفسي، دوافعه ونقاط ضعفه.

انتهى سليم من الكتابة، ورفع رأسه، مرت دقيقة، وأخرى،

وثلاثتهم ينظرون «لآدم» لوهلة تمت ناردين أن تكون «رودينا» معهم لتقرأ أفكاره.

ميزت ناردين جرحًا غائرًا ملتئمًا حول عنق «آدم»، لقد نحره أحد ضحاياه وتغلب عليه، ثرى من كانت تلك الضحية؟
مرت الدقيقة الرابعة و«آدم» يجلس في صمت، غمغم سليم في ارتباك: هذا لم يحدث من قبل، وبسرعة كتب سليم في مفكرته: سيتحدث «آدم» الآن.

لا شيء سوى الصمت، يبتلع الآن «بو» ريقه ويهمس لسليم: لنرحل من هنا، تتبادل «ناردين» وصلاح النظرات، ويرفع سليم عينيه صوب «آدم»، الذي بادل النظرات الصامتة.
انتظروا عشر دقائق كاملة، دون أن يأتي «آدم» بردة فعل، هنا تنهدت «ناردين»، وقالت: نحن بحاجة «لرودينا».

حجب سليم أفكار نزلاء المصححة عن «رودينا»، وعاد بها مع رشدي إلى المصححة، همس لها وهم يصعدون السلالم: بإمكانني جعلك تشعرين أنك أفضل نفسيًا، عن طريق الكتابة.
كلا، شكرًا.

ثم تنهدت رودينا مستجمعة قواها، وتلفتت حولها وهي

تصعد، قبل أن تقول مازحة بوجه واهن: انظر إلينا نصعد ونهبط كأننا نمتلك المكان،

ابتسم سليم دون إجابة، ولوهلة أراد رشدي أن يعتذر لها عندما مرت به لكنه آثر الصمت.

وصلوا إلى الطابق الثالث ثم إلى الغرفة ٦، خطت رودينا بخطى مرتجفة للداخل، وأرادت في تلك اللحظة أن تستدير وترحل وتترك كل هذا الهراء، هي ليست بحاجة إلى كل الطاقة المظلمة في حياتها.

نظرت إليها ناردين، في حين ارتكزت عينا صلاح على آدم، كأنه يتوقع أن يقوم الأخير بشيء ما..

نظرت رودينا إلى آدم بتردد، ثم زال التردد من عينيها، وهي تستعيد شخصيتها القوية، ستفعل ما تجيده الآن، ونظرت إليه بثبات، بإمكاننا أن نرى ما تراه، نتقرب من عقله، فلا نرى شيئًا..

قالت رودينا بحيرة بعد أن عاد إليها التردد: لا أرى شيئًا، لا أستطيع قراءة شيء.

تنهد سليم، وقال صلاح: إذًا نحن لا نستطيع التحكم في وعيه ولا قراءة أفكاره.

ثم هز رأسه وأضاف: لنجرب الطريقة التقليدية.

وجلس أمام آدم، لا يفصلهم عن بعضهم سوى الحاجز الزجاجي، وقال: أتجلس هكذا كلوح من الخشب، بلا مشاعر، بعينين خاويتين من الحياة دون إبداء رد فعل عاطفي، أم أنك ستتحدث إلينا أيها الوغد؟

ظل آدم صامتًا فهتف صلاح: هل أنت خائف أيها الأخرق؟

يظل آدم صامتًا، دون أن يرف له جفن، تومئ ناردين برأسها قبل أن تقول، وهي تنظر إلى رشدي: أعتقد أنه وقت الرحيل.

يخط سليم في مفكرته محاولاً مرة أخرى دون جدوى.

هنا استدارت ناردين، وعاودت النظر لآدم، وقالت: من الذي نحر عنقك؟ من الذي استطاع هزيمتك ووضعك هنا؟ من الذي تفوق عليك؟

- لا أظن أن استفزازه بتلك الطريقة حل ذكي، ألم تحاول استفزازه من قبلي؟!

- بطريقة صبيانية لكن طريقتك خطيرة.

- هذا هراء.

يرفع سليم يديه ويقول لصلاح وناردين: لن تتشاجروا

الآن، ابتسمت رودينا رغماً عنها، صلاح يخشى على ناردين،
لذا لا يريد لها أن تستفز آدم.

لنرحل عن هذا المكان اللعين، سنجد جادو بطريقتنا، آدم
مختل عقلياً لن يفيدنا بشيء، والرجل الذي عض التراب لا
وجود له، يظل آدم صامتاً، يحدق بالفراغ.

يبدأون في الخروج قبل أن يجفوا جميعاً عندما تحدث،
صوته كان هادئاً، يتحدث بأسلوب مسرحي، وبطريقة قديمة،
كأنه يقف على خشبة المسرح:

- الرجل الذي عض التراب له وجود، وبلقائه القريب أنتظر.

يلتفت الخمسة وينظرون إلى آدم، ويغمغم سليم: هذا
الرجل يمتلك كاريزما مخيفة، كأنه سينومنا مغناطيسياً،
ينفي صلاح القول، ويتمتم: هذا هراء!

يتجاهلهم آدم ويقف بهدوء، وهناك ابتسامة بطيئة وثابتة
ترتسم على شفثيه، يجول بعينيه بينهم قبل أن يتحدث مرة
أخرى: ناردين الصباغ، كاتبة قصص الرعب التي واجهت
الشيء نفسه، وصلاح كلبها المطيع، قولي لي يا ناردين، أما
زلت تتذكرين أخاك المدمن الذي انتحر في ليالي الشتاء
الباردة، ووالدك الذي رحل تاركاً إياك مع أمك التي لم تكف
عن الإصابة بالانهيار العصبي، يحمر وجه صلاح غضباً،

ويغمغم: يا ابن الـ..

يشير له سليم راجيًا إياه أن يصمت، فيتابع آدم: وسليم الكاتب والباحث الجنائي الذي غيرته الغيبوبة، وجعله غروره أن يعتقد أنه سيتحكم في إرادتي ووعيي رجل بلا حياة، أما أنت أيها العجوز، فلا حاجة لي بك ولا أهتم بمعرفتك.

قالها لرشدي ثم أشار منحياً إليهم جميعًا: لا بهجة بكم، أنتم مظلومون بالفعل، أما أنتِ..

واقترب آدم من الزجاج، ناظرًا إلى رودينا، ثم أغمض عينيه وأخذ نفسًا عميقًا، كأنه يستنشق رائحتها وسرت قشعريرة بعنقها قبل أن يفتح آدم عينيه، ويضيف بعينين تبرقان: البهجة، رودينا الجميلة قارئة الأفكار، كيف حال صديقة عمرك وشريكة معيشتك؟ هي تفتقدك بالتأكيد، أنتِ مصدر بهجة حقيقي، ثم تراجع للخلف مضيئًا: أتيتم هنا بإرادتكم الحرة، فاتركوا لي بعضًا من سعادتكم قبل الرحيل.

ظلوا صامتين وهم ينظرون إليه فابتسم مرة أخرى ببطء، وبدا لهم أن وجهه يتغير وهو يبتسم، والبريق في عينيه يتزايد، قبل أن يقول: تتساءلون كيف عرفت كل ما هذا؟ أتيتم هنا تظنون أنكم ستجبرونني على مساعدتكم

ظلوا صامتين، نظر سليم إلى مفكرته، لا تحاول ما لم ينفع

من قبل، لن تفلح مفكرتك الصغيرة معي، ثم التفت بعينيه وصدق بعيني رودينا التي تراجعت للخلف مبهوتة: لن تقرأي عقلي، لكن لدي طرق أخرى لأريك ما بداخلي.

ظلت ناردين تنظر إليه بارتباك، ولوهلة أراد رشدي أن يأخذهم ويرحل، لكن عامر أكد أن هذا الرجل سيفيدهم للإيقاع بجادو، وهم يعلمون منذ البداية أن المهمة لن تكون سهلة.

نقل صلاح نظره بينهم ثم ضحك، ظل يضحك فحسب،

نظر إليه آدم، فقال صلاح: هم مرتبكون أمامك لسبب لا أفهمه في الحقيقة، أنت مجرد وغد حبيس خلف الزجاج، وفيما يبدو أن أحدهم قد لقنك درسًا لا بأس به، بعدما نحر عنقك، ولذا كف عن التباهي، كونك تعلم بعض الأشياء لنا لن يبهرنا ولن يخيفنا، نحن هنا لطلب المساعدة، لعقد صفقة..

اقترب آدم من زاوية ونظر إلى صلاح طويلًا قبل أن يقول: ربما كنت مخطئًا بشأنك، أنت لست كلبها المطيع بعد كل شيء، تمتلك روح شجاعة ومبادرة، ولكنها هي، «ناردين» هي بهجتك أليس كذلك؟

ونظر آدم إلى ناردين ثم عاد بعينيه لصلاح مضيئًا: ربما ألتهم بهجتك يومًا ما، ربما سأجعلك تنهي حياتها بيدك تلك.

حاول صلاح إخفاء مشاعره وظل ثابت الجنان أمام آدم،
لن يتركه يستفزه مرة أخرى..

- ما الذي تعتقدون أنكم ستقدمونه لي لو أعطيتكم ما
تبعون؟

هنا تحدث رشدي، وقال: أعطنا ما نريد، ولسوف يحرص
من أرسلني على نقلك لمصحة نفسية أخرى، خاصة
وليست حكومية، حراسة مشددة، ولكن سيكون هناك كتب
وموسيقى وربما سترسم لوحاتك كما اعتدت،

تمت ناردين: صمت الحملان.

لم يبدي آدم رد فعل، سوى البريق في عينيه، قبل أن يقول:
صفقة عادلة، والآن.. من تبعون؟

تبادلوا النظرات، خطتهم كانت أن تقص ناردين لآدم كل
تفاصيل جادو، لأنها بارعة في سرد التفاصيل، لكنها بدت
مرتكبة من كلامه لها، استجمعت قواها وأشارت لهم أنه لا
بأس، ثم التفتت ناحيته، انطلق عقلها يستنجد بخيالها، كثيرًا
ما ساعدها خيالها على تجاوز المواقف الصعبة، كانت الآن
تعدو مع أرسين لوبين في شوارع باريس ضاحكة، في حين
شرلوك هولمز يطاردهم، ومرت بمقهى يجلس فيه هيركيول
بوارو مع فان هلسنج ورفعت إسماعيل يتبادلون حديثًا

جاءًا، أشارت لهم وواصلت العدو مع أرسين، وتوقفوا وهم يقفون على قمة جبل أخضر وهناك شلال من المياه أمامهم، كانت تمططي الخيل جواره، قال لها أرسين مبتسمًا: كوني أكبر من الحياة وأقوى، ولا تتركي شيئًا يهزمك.

تنهدت ناردين، وقالت لآدم بصوت عالٍ: والآن ركز معي، انتبه جيدًا للتفاصيل في حكايتي، التفاصيل مهمة جدًا..

ابتسم صلاح وهو يرى ناردين تقتبس ما قاله لها في لقاءهم الأول، تابعت ناردين بوجه صلب: الحكاية بدأت عند محطة الأنفاق ..

بعد عشرين دقيقة من الاستطراد في التفاصيل كانت قد انتهت ناردين من قص كل شيء عن جادو لآدم، بعدها تطوع صلاح ليبريه صورة أنور حمدان على عامود الكهرباء.

نظر آدم إلى الصورة كثيرًا، ثم عاد وجلس فوق فراشه في صمت موليًا ظهره إياهم.

-آه، أستاذ آدم نحن بانتظار ردك، لا نعتقد أن تلك أفضل لحظة للعودة لصمتك.

ظل آدم صامتًا، دون أن ينطق بحرف..

هتفت ناردين: تَبَّا..

عاود آدم الحديث: جادو هو سيد الخداع، جادو غاضب، غضبه هو دافعه للقتل، هو رجل غاضب وشهواني، رجل أو امرأة يحب تصفيق الجمهور له كأنه يقف على خشبة المسرح، هو يقتل لأنه بحاجة إلى لشعور بأنه ينجز شيئًا ما في حياته، ابحثوا عن رجل أو امرأة ما بين الثلاثين والأربعين من العمر، سليم البنيان، صحيح الجسد، لا حياة اجتماعية ولا مهنية له، يحيا وحيدًا أو مع فرد واحد من أسرته، يسعى للشهرة والنجاح، لكي يعرف الجميع اسمه، يريد أن يصبح النجم الساطع، كالممثلين أو الفنانين؟

- كلا، مثل «الإنفلونسرز».

هزت ناردين رأسها: لقد خدعنا كل هذا، أعطنا شيئًا مفيدًا، كما أن مذكراته التي حكيت لك عنها قالت إنه يحيا مع والدته.

نظر آدم إلى ناردين، ثم إلى رشدي، وقال: أريد تعهد مكتوب بالنقل قبل الإدلاء بالمعلومة التالية.

تنهد رشدي، قبل أن يقول محاولًا التفاوض: أتعهد لك.

- تعهد مكتوب بالنقل.

خرج رشدي قليلًا، وطلب من سليم أن يتبعه..

قال لسليم بالخارج: لقد كنت أناوره، عامر لن ينقله إلى أي مكان، وهو يعلم هذا، لا يوجد سوى حل واحد لتلك المعضلة.

احتج سليم: تريد مني إقناع المسؤولين بنقل هذا الشيطان لمكان أكثر رفاهية، سيظل حبيسًا، تذكر الهدف، وتذكر ضحايا جادو.

- تَبًّا!

ثم زفر سليم مضيئًا: لنذهب ونقابل أردن..

عادوا إلى العنبر بتصريح مكتوب من أردن للنقل، ومن خلف الزجاج أمسك سليم بالورقة وفردها أمام أعين آدم.

هز رأسه، ثم قال: لكي تفهموا من هو جادو، عليكم بالذهاب إلى قصر سليمان، طاقة الشر تجذب الشر، وهناك بدأ كل شيء وهناك سينتهي كل شيء.

- ها؟

- ماذا؟!

رفع آدم يده، وقال: انتهى الكلام.

ثم عاود الجلوس، وعاد لصمته..

ولثوانٍ شرد كل منهم، تذكرت رودينا نبوءة المتشردة عن

القصر، وحلمها به، وقرأت في أفكار رفاقها أن جميعهم أيضًا حلموا بالقصر، بقصر سليمان، ولكن ناردين لم تحلم بالقصر فحسب، هي تعرف أكثر.

عادوا بتركيزهم لآدم..

حاولوا استنطاقه دون جدوى، فقرروا الرحيل في يأس، هنا توقفت ناردين واستدارت للخلف، وقالت لآدم: أنت قلت إن الرجل الذي عض التراب حقيقي من هو؟ وكيف نجده؟ بدت لها أن هناك بسملة تمر بأعين آدم، وهو يواصل صمته دون الإجابة..

رحلت ناردين وصلاح وسليم ورودينا مع رشدي، وظل آدم جالسًا فوق الفراش، بعد دقائق استلقى على ظهره وهدق بالسقف..

بعد وهلة بدأ يدندن بلحن خافت ويُصَفِّر، دخل د. آردن الغرفة، وقال له: كيف حالك يا آدم؟ موعد جلستنا..

هنا لدهشة آردن اعتدل آدم والتفت إليه، ارتجف آردن، تلك المرة الأولى التي يعطيه آدم ردة فعل منذ أعوام، كاد آردن أن يبكي من الحماس عندما تحدث آدم: هوس الطبيب أمر مثير للاهتمام، تريد مني أن أتحدث.. حسنًا سأحدث، وسوف أخبرك بكل شيء، كل ما تريده، مقابل طلبين.

ظل أردن ينظر إلى آدم مبهورًا، وهو يتخيل المقالات الطبية التي سيكتبها، والاحتفاء به، بصفته طبيبًا نفسيًا، توصل لأغوار العقل البشري، هتف أردن مخالفًا أي منطق: أي شيء تريده، بالطبع

بدأ آدم يعد على أصابعه، وقال: أولًا، أريد إرسال جواب موجة لصفحة الإعلانات المبوبة في الجرائد، ثانيًا أعلم أنهم لغوا أمر الانتقال بعد رحيلهم، أريد الانتقال لمصحة خاصة بكتب وموسيقى وأدوات رسم..

بدأ التردد على وجه أردن فابتسم آدم مضيئًا: قل لي يا دكتور، هل إنجي بخير؟ أعلم أنها متضايقة من وجود زوجتك، ودورها كعشيقة لطبيب محترم مثلك لا يلائم مركزها الاجتماعي كطبيبة شابة هي الأخرى، لكنها طاقة الحب أليس كذلك؟ الحب الذي غزا الإغريق باسمه طروادة، ومن أجله احترقت الإمبراطورية، تخيل الفضيحة يا دكتور! هنا عزم أردن أمره على الاستجابة لطلبات آدم..

وعاد الأخير ليستلقي فوق ويواصل الدندنة، ثم صفر قائلًا: هناك عاصفة قادمة، والبهجة قريبة.

جزء من إعلان مَبَوَّب تم نشره في جريدة الأهرام:

عزيزي ج..

اعذر لي عدم مخاطبتك باسمك الكامل، هم يبحثون عنك للتواصل الجاد، مجموعة من المهتمين، بإمكانك أن تجدهم في قصر سليمان..

ملحوظة: أعلم أنك تقرأ الجرائد، عادة أوشكت على الانقراض لا يفعلها كثيرون، أحيك إليها، حافظ على بهجتك. مع تمنياتي لك بالتوفيق..

آدم.

جزء من إعلان صدر بعد يومين في ذات الجريدة..

عزيزي آدم..

تلقيت رسالتك بصدور رحب، إنه لشرف حقيقي أنك تتواصل معي، بنية الشراء، سوف أقابلهم جميعًا، كن واثقًا من هذا، يسعدني أن ترسل لي بياناتهم على البريد الإلكتروني الموضح بالأسفل.

شكرًا لك.

جزء من بريد إلكتروني مرسل من آدم لجادو «من حاسوب
د.أردن»:

عزيزي جادو.

الأول يُدعى صلاح، هو أشدهم خطرًا، لا تستهن به،
هو قوي البنية والروح، ويمتلك طاقة عنيدة تجعله دومًا
يقاوم، نقطة ضعفه هي ناردين الصباغ، اقتلها أولًا أمام
عينيه وسينهار، هي دافعه للحياة، ناردين تمتلك عقلاً مفكرًا
وخلاقًا، تأكد من سحقه جيدًا، الثالث هو سليم، احذر هذا
الرجل، ما يكتبه يتحقق، تأكد من حرق مفكرته، وقطع يديه،
وساقيه، واتركه يحيا فريسة لاكتئابه، الأخيرة تُدعى رودينا،
جميلة هي وجذابه، ستثير إعجابك حقًا، التهمها من أجلي،
تلك هي توصياتي إليك، ولك مطلق الحرية في اتباع طرق
أخرى لهلاكهم،

شكرًا لشغفك وخيالك يا جادو..

حافظ على بهجتك.

ملحوظة: هم يبحثون عن عنوان رجل آخر، يحيا بين
الأنفاق وحيدًا، ويعض التراب، لو انضم إليهم كن حذرًا، وأنا
أعني ما أقول، هذا رجل يختلف..

مع خالص أمنيّاتي لك بالتوفيق..

آدم.

الفصل الثاني عشر

سوف تجتمعون جميعًا مع ابن الظلام في قصر سليمان
وحينذاك، سيشيب هول الولدان وستمطر السماء دمًا،
سيصمت الأطفال وتجف الأنهار والمحيطات، فأمر الحواة
لن يستطيع أحدكم كشف اللثام عن وجهه، ولئن فعلتم
وأدرکتهم من هو، حينئذٍ سيفتح القصر بوابته، وشئتم
أم أبيتم ستدخلون ضيوف غير كرام، أفلا تنتشون؟ أفلا
تطربون؟ مرحبًا بكم في قصر سليمان.

«النبوءة»..

نهبت عجلات السيارة الأرض نهبًا، متجهة بهم إلى الفيوم
لمقابلة «عامر عمران»، جلس صلاح جوار رشدي في الأمام،
وفي المنتصف جلست ناردين جوار روديना، في حين جلس
سليم بمفرده في الخلف، لقد خرجوا من المصححة، عادوا
لشقة ناردين بناءً على طلبها لأنها أرادت إحضار بعض
أشياءها، ثم بدأوا رحلتهم إلى الفيوم في سيارة رشدي، يزيد
رشدي من سرعة السيارة وهو مقطب الجبين، وقد سادت
بينهم حالة من الصمت منذ رحيلهم من المصححة، وكأنما
تأثير «آدم» قد جثم على أرواحهم جميعًا، ناردين كانت
شاردة وتنظر من النافذة، وروديना تتبادل الرسائل النصية مع
صديقتها دارين من خلال الهاتف، صلاح صامت

ينظر إلى الطريق، وسليم يحاول أن يفكر في فكرة لرواية جديدة، قطعت ناردين الصمت في منتصف الطريق، وقالت: لا أستطيع الكف عن التفكير في تلك الطفلة، ابنة الغفير، لا أستطيع أن أحجم عن تخيل ما يفعله بها «جادو»، أتمنى أن نجدها بشكل أو بآخر.

لم يجبها أحد، فقط الصمت، فتابعت ناردين: هل أفادنا «آدم» في شيء مما قاله؟

هز صلاح كتفيه، فتابعت هي: «جادو» يحيا وحيدًا، أو مع فرد من أسرته، رجل في الثلاثينيات أو الأربعينيات، سليم الجسد، قوي البنية، يخاطر ولا يتميز بالحرص، تحركه شهوته، هذا هو دافعه للقتل، يحب النساء بشدة، نعم، من المذكرات أنه يحيا مع والدته المسنة، هناك الشيء الآخر الذي قاله آدم.

تركت رودينا الهاتف ورفعت رأسها، قبل أن تقول: قصر سليمان!

- هل سمع أحدكم عن هذا القصر؟

- لقد بحثت عنه على الشبكة العنكبوتية هو... قاطعها سليم في حين ظلت ناردين صامتة: هو قصر قديم أسسه سليمان باشا في الثلاثينيات، في محافظة ابن آوى النائبة، لقد

كنت أعتقد أنها لم تعد محافظة، معلوماتي تقول إنها بلدة مهجورة، نعم، تلك حقيقة، بلدة سليمان مهجورة بالفعل، لكن سكانها لم يتركوها، لقد تحولوا لتماثيل شمع-قالت ناردين العبارة ببطء:

- ماذا؟!

تنهدت ناردين، وغمغمت: تلك حكاية طويلة، كلنا آذان مصغية، تبادلنا ناردين نظرة طويلة مع صلاح شاحب الوجه، قبل أن تقول: نحن صلاح وأنا، لم نسمع فحسب عن القصر، لقد ذهبنا إليه.

رفع سليم حاجبيه وكذلك رشدي الذي تذكر كلمات عامر عن صلاح وناردين وامتلاكهم للخبرة بمثل تلك الأمور، في حين ظلت رودينا صامتة وهي تقاوم الدخول لعقل ناردين وتحاول الاستماع إليها، واصلت الأخيرة: ولذلك حكاية طويلة ومخيفة، لقد بدأ الأمر في إطار تحضير لرواية جديدة، فذهبت أنا وصلاح في رحلة من اثنتي عشرة ساعة لتلك البلدة النائبة والمهجورة، ولكن قبل رحيلنا تقصينا عن القصر، وقابلنا رجلاً عجوزاً، يبلغ من العمر مائة عام، وقد زودنا بالمعلومات الكافية عن القصر، أخذت ناردين نفساً عميقاً، وبدأ أنها قد تحولت لروائية الآن، وواصلت ناردين حكايتها:

قبل ثلاثة أعوام.

لقد تغير الكثير بعد زيارتنا أنا وصلاح لقصر سليمان باشا في الصعيد، لقد ذهبنا إلى هناك من أجل التحقيق في الإشاعات المحيطة بالقصر الذي تم تشييده عام ١٩٢٢، من أجل رواية كنت أنوي كتابتها، للدقة يجب أن أقول شيئاً ما بصلاح تغير بعد تلك الزيارة، قالتها ناردين وهي تنظر إلى صلاح الذي أوما لها برأسه أن تكمل، فأردفت: حكى لي أن الأحلام لم تتركه، أحلام مستمرة بالقصر كأنها تحاول -تلك الأحلام- إتلاف عقله، ومر بفترة ما غريبة بحق، في بدايتها كان يخاف تلك الأحلام، ثم اعتادها وأدمنها فيما بعد وأصبح لا يطيق الاستيقاظ، ينتظر لينام ويكمل أحلامه التي كانت قصةً طويلةً متقطعةً، يعود بالزمن ليجد أنه قاطن للقصر في العشرينيات، يحيا مع عائلة الإقطاعي التركي الشهير سليمان باشا، ويحب ابنته، ولا يقترب من القبو قط، كلما اقترب من القبو يستيقظ في هلع، تُرى ما الذي يوجد في قبو قصر سليمان؟! وما سبب تلك الهالات السوداء أسفل عيني صلاح وشحوبه؟ ما سبب التغيير في شكله؟ بقليل من الخيال يمكننا القول إن القصر كان يحاول الاستحواذ على صلاح، آه، أرى الحيرة على وجوهكم والتساؤل، نحن نحاول اقتناص جادو، فكيف تحول الأمر فجأة لقصر قديم شرير، دعوني آخذكم لنقطة البداية لعلكم تفهمون، ولا تحاولي

اختلاس أفكارى يا رودينا..

«حكاية قصر سليمان» تلك حكاية عن شعورنا القديم الخام النقي، الذي اختبره أجدادنا في الصحراء وداخل الكهوف، وهم يسمعون الصيحات والعواء الهادر القادم من المجهول، تلك حكاية عن الخوف..

دعوني آخذكم معي إلى دار المسنين عندما قابلنا العجوز، قبل زيارتي مع صلاح للقصر بيوم:

رفع العجوز رأسه ونظر إليّ، صلاح يجلس جوارى، كنا نجلس في غرفته المتواضعة المظلة على حديقة ذات أشجار ذابلة، وكأن تلك الحديقة هي التي ستبهج المسن العجوز البالغ من العمر مائة عام، ظل العجوز ينظر إليّ متجاهلاً صلاح، وسمعت صلاح يتمتم: الجميع سينظرون إلى الفتاة الجذابة حتى لو كانوا في العقد الأخير من عمرهم، نهرته كي يصمت، وتمنيت ألا يكون العجوز قد سمع ملاحظته، ولكن الأخير التفت بعينيه لصلاح ليجفله، ثم ابتلع ريقه وتحركت حنجرتة، مع كل هذا التأهب والانتظار وجدنا في تحرك بلعومه حدثاً عظيماً، تحدث الرجل بصوت أجش مبحوح:

لا أعلم من أين أبدأ كي أقص لكم ما الذي حدث لآل

سليمان، هل أبدأ من اللحظة التي استيقظ فيها سليمان باشا من نومه، مرتديًا منامته الحريرية، وسار داخل أورقة قصره الفاخر، ليقتل زوجته وأولاده؟ أم أبدأ في اللحظة التي شيّدوا بها قصر سليمان باشا عام ١٩٢٢ قبل أن تنتقل العائلة السعيدة للحياة؟ لقد تغيرت الحياة، عشت مائة عام، لم يعد هناك حناطير، والسيارات قد حلت محل الخيول، لقد صار هناك تلفاز ودور سينما وهواتف محمولة تستطيع مشاهدة الأفلام من عليها بدلًا من المسرح، أتذكر عندما أخذني والدي وأنا مبهوت الأنفاس لنشاهد اختراع السينما، وأشاهد بقلب يقفز الصور المتحركة والصامتة بدار العرض، لم تكن تعرف الأفلام حينذاك بل مجرد صور تبهرنا للمحيطات والجبال، فكرة الصور المتحركة ذاتها كانت خلاصة وساحرة، وقد كان يتظاهر ممثلو المسرح بعد إضرابهم ضد اختراع الصور المتحركة الذي سيسلبهم وظائفهم، لم يعد الناس في حالة من الانبهار بالمسرح، والآن لن يطيق أحد أن يذهب إلى السينما ليشاهد صور متحركة للمحيطات والشلالات التي كانت تبهر الجميع فيما سبق، وهذا خير دليل على تغيرات الحياة. لقد عاصرت الحروب، وجلاء الاحتلال، بكيت عندما رحل الملك، وبكيت عندما انتصرنا في أكتوبر، الأشياء تتبدل، وتبتسم لك في قسوة وهي تطلق الذكريات كالرصاص في صدرك، ولكن قصر سليمان باشا ظل شامخًا،

لم تتغير به تفصيلا واحدة طيلة تلك الأعوام.

لقد شيدوه، وهلك الكثير من العمال في أثناء تشييده إثر وقوع عدة حوادث، أتذكر أحدهم، الفتى الوسيم مفتول العضلات يغمز لخطيبته بائعة الخبز بالبلدة الصغيرة، وهو يتباهى أمامها بعمله في البناء، لقد اجتمع أهل البلدة ليشاهدوا الحدث العظيم، ألا وهو بناء القصر، ووقفت بائعة الخبز الفاتنة تراقب حبيبها وهو يعتلي السلم الخشبي، بالداخل مئات العمال، يحملون اللوح الخشبي، عندما تحركت رافعة الخشب الحديدية من أعلى رفعت الفتاة عينيها لأعلى في رعب وتحول هتافها الباسم لصراخ، لم يفهم حبيبها، ابتسم لها معتقداً أنها تشجعه في حماسة، وسقطت الرافعة بسرعة، شلت بائعة الخبز مكانها عاجزة عن النطق وهي ترمق جسد حبيبها، لا يزال جسده مفتول العضلات، فقد أصبح بلا رأس، ودماءؤه تفور بحرارة.

توقف الجميع عن الحركة وهم ينظرون إلى ما حدث في ذعر، ثم تحركوا عندما سقط جسد الفتى هناك حادثة أخرى عندما كانوا يحفرون أسفل الأرض، لأن سليمان باشا أراد بناء أنفاق تصله بالمدينة دون الحاجة إلى الخروج، ولأن الرجل يمتلك الكثير من المال لم يكن هناك من يستطيع رفض رغباته، ما دام يعطي المقابل، لنستنكر في صمت ونلبي له

ما يريد، وبالفعل حفروا الأنفاق، ليحدث سقوط غير مبرر لحائط متين، ويسد الأنفاق على من بداخلها، حاولوا كثيرًا الحفر لإنقاذ العمال البؤساء، بل أحضروا الديناميت وفجروا المدخل المنغلق لكن هذا أدى لتساقط المزيد من الأحجار، ونفق العمال تحت الأرض، نفقوا ظمًا وجوعًا، كان سليمان باشا صامت في أثناء كل هذا، متحدثًا قوى القدر التي تحاول منعه من تشييد القصر، لكنهم نجحوا وبنوا المكان في نهاية الأمر، بعدها بدأ عجائز البلدة في إطلاق الإشاعات، إشاعات عدة ومختلفة عن أرواح العمال التي سكنت القصر بعدما التحمت عظام جثثهم المتحللة بجدران القصر، وعن القوم الذين حُبسوا في الأنفاق وتحولوا لأكلة لحوم بشر.

لم يأبه سليمان باشا وأقام مع عائلته بالقصر، وسرعان ما كان القوم يتهامون حول الإقطاعي العثماني، يقولون إنه يمارس السحر الأسود، وإنه مخبول، البعض يقولون إنهم يرونه يتجول في المدافن ليلاً، وأقسم غفير المقابر إنه رأى سليمان باشا يسرق أجساد الموتى، سخر منه الجميع، لو أراد سليمان باشا سرقة الموتى لأرسل خادمه ولم يكن ليذهب بنفسه، هذا ما قالوه له لكنه ظل يؤكد أنه قد رأى الرجل بعينه، لكن كلام الغفير وإن كان غير واقعي، فإنه قد ترك أثرًا في عقول القوم، هذا زمن ما قبل السينما والإعلام، زمن استنكار الأفعال المشينة، مثل القتل ونبش المقابر قبل أن

نتعادها من الأخبار كما يحدث الآن.

توالت الأعوام، كان هناك حالات اختفاء غامضة في البلدة الصغيرة، البلدة النائبة عن كل المحافظات، والتي ينسى أهل مصر كلهم وجودها.

ثم أتت ليلة الواحد والثلاثين من أكتوبر لعام ١٩٣٢ استيقظ أهالي البلدة على نحيب، وصراخ إحدى خادمت القصر، التي كانت تصرخ وتجري في الشوارع ملطخة بالدماء، وهنا ولسبب ما فاض الكيل بأهل البلدة، بالأخص الشباب منهم، وتجاهلوا توصلات العجائز، وذهبوا إلى قصر سليمان لكي يحرقوه، وظلوا يصيحوا أنه وقت إنهاء الطغيان والظلم والبطش، وقت إنهاء الشر، ولم يتساءل أحد منهم حقاً عن سبب بكاء الخادمة وهروبها.

تسير الجموع الغاضبة رافعين مشاعلهم لأعلى في مشهد مهيب ويقفون أمام بوابة القصر، ويصيح كبيرهم: اخرج يا سليمان.

فيما سبق كان كبيرهم يرتجف عندما تمر عربة الإقطاعي المطلية من الذهب الأسود أمام عينيه، تلك العربة التي تجرها خيول جامحة مستعدة لدعس كل من يقف طريقها، ويخفق قلبه وهو يحاول أن يلمح وجه سيد الأسياد -سليمان باشا- داخل العربة، ولكن تمر بسرعة وتهدر لهفته،

الآن ولّى الاحترام والخوف بعدما استمد كبيرهم شجاعته من الجموع الواقفة وراءه، يكرر صائحًا: اخرج يا سليمان.

ينفتح باب القصر ببطء، ورغماً عنهم تتوقف أنفاسهم، متحجرين في أماكنهم للحظة، يقف سليمان باشا أمامهم، منامته الحريرية مصبغة بالدماء، عيناه زائغتان، كأنه يرى شيئاً لا يروونه هم، يرتعب القوم، متنظرين فعلته القادمة ورده فعله، لكنه يسقط على ركبتيه ويرفع يديه للسماء في صرخة، هنا -لاعتقاد خاطئ بأنه يرجوهم الرحمة- تعود الشجاعة، يقتحمون باب القصر، ظلوا يضربونها عدة مرات في جنون، من المخيف حقاً أن ترى كل هؤلاء القوم المسالمين الذين يرعوا الحقل، ويجلسون منهكين في النهاية لتناول الطعام مع أهلهم، وقد تحولوا لتلك الكائنات العنيفة المتعطشة للانتقام والدم من دون سبب واضح، لقد كانوا يهللون لسليمان باشا ويرتجفون خوفاً منه طيلة الأعوام السابقة، ويحسدونه ينبهرون بحياته ويحترمونه عليها، في الآن ذاته تشيح امرأة عجوز تراقب ما يحدث برأسها بعيداً في ألم وهم يقتحمون القصر.

تصيح: «رعاع لا تتناولوا على أسياذكم».

ولكن لا توجد قوى بشرية قادرة على إيقاف حشد غاضب، إنه الوعي الجمعي بعدما تحرر وخرج.. ها أنت ترى الجموع

التي تحاول اقتحام شقة بها إثم، أو امسكوا بلبص ويوسعونه ضربًا في الشارع، إنهم يُحررون طاقة العنف تحت أسباب ظاهرية لا تخصهم، هم يحبون ثوب الجلاد فحسب، على رغم أنهم جميعًا خطأؤون، ربما من يرى هذا المشهد قد يتعاطف مع سليمان، أعني.. لا بد أن للرجل أحلام ومشاعر.. لا بد أنه كان مراهقًا حساسًا يومًا.. لا داعي لاقتحام قصره وسلبه كل ما يملك.. لكني أقول ربما.. لأنني أنا دوتًا عن الجميع أعلم أن سليمان باشا كان يرتكب خطيئة كبرى في قصره.. يرفع الرجل يديه إلى السماء في صرخة صامتة، وتتهشم البوابة، تندفع أقدامهم وتُغرز في تربة الحديقة، هنا يصيح سليمان بشيء ما لا يتبينه أحدهم، لن يستمعوا لتوسلاته، ولسوف يمزقونه إربًا، ربما لو خرج لينهرهم بطريقة الأمر، ويتوعدهم على جرمهم؛ لكانوا قد عادوا لبيوتهم مرتجفين.. لكنهم تشجعوا عندما سقط، غير مدركين أنه لم يكن يراهم حقًا، ولم يهتم بهم.. حتى وهم يضربونه، ويهشّمون عظامه.. حتى وهم يجزّونه أرضًا.. لم يهتم ولم يبال.. هم أرحم مما كان داخل القصر.. وبدأوا يتذكرون بطش سليمان.. تذكر أحدهم الفتى الذي سحله سليمان باشا؛ لأنه نظر إلى زوجته، والآخر الذي جلده سليمان في حديقة القصر، لأنه نظر إلى النافذة التي تقطن وراءها الهانم.. تذكر الفتى واستشاط غضبًا، وبينما كبيرهم يهدئهم أو يحاول

أن يجعلهم يتركون الرجل: لقد أعطيناها درسًا وهذا يكفي يا رجل، لن نحرق القصر حقًا.. هناك أطفال بالداخل.. لقد بدأ كبيرهم في التعقل متأخرًا.

يمسك الفتى بالمنجل، ويهوي به على سليمان.. ويهتف الأخير قبل مماته بشيء.. يكرر ما قاله لهم من قبل ولم يتبينه أحد: إنه قادم..

هنا يتقدم الرجال نحو القصر ملوحين بمشاعلهم.. ويصيح كبيرهم وقد بدا أنه يفوق من حالة الغضب الجنونية التي تملكته: توقفوا بالله عليكم، هناك أطفال بالداخل.

- أطفال أبالسة مثل ذويهم.

كذا يجيبه أحدهم، وهو يهيم برمي المشعل، هنا تتعالى الصيحة.. ليست صرخة، بل صيحة أمرة (امرأة) أشبه بالعواء.. يتجمد الجميع أماكنهم.. وتسمع البلد كلها هذا العواء، ويرتجف الأطفال في حضن أمهاتهم.. ويقول العجوز الناظر من نافذته للمجهول: سيحل علينا الشؤم بعد تلك الليلة.

يتسمر القوم وهم ينظرون إلى القصر، وصيحة الأمرة (الامرأة) التي خرجت منه.. يبدأ الرجال في رحيل صامت.. ويغمغم أحدهم في رجفة: أعتقد.. أعتقد أن هذا يكفي..

يعتدل بعدها، ودون اتفاق مسبق يبتعد الجميع عن القصر..
من الذي صرخ؟ هل أطلق القصر عواءً كي يهيبهم
بالرحيل؟

هنا يتحرك الأمور وهو يمتطي خيله، وقد كان يقف بعيدًا
يشاهد ما يحدث، وهو لا يعتزم التدخل؛ فراتبه لا يعطيه
الدافع الكافي ليتدخل، على رغم الحوافز الإضافية التي
يقبضها من سليمان باشا بنفسه..

ينظر الأمور إلى جثة سليمان قبل أن يدخل إلى القصر،
ويرى زوجة الباشا وأطفاله جثث بلا أرواح، لقد صلبوهم
على حائط القصر..

ولأن الباشا كان بلا ورثة؛ ظل القصر مهجورًا لعقود في
البلدة الصغيرة.

أنا قد وُلدت عام ١٩٢١.. أبلغ من العمر مائة عام الآن، قليلون
هم من يبلغون هذا العمر.. ونادرون هم من يحتفظون بعقلهم
وذاكرتهم.. عليكم أن تتفهموا.. فمن الصعب تذكر كل تلك
التفاصيل.. لكن هذا كل ما أذكره..

لقد التحقت بالجهادية فيما بعد، وتركت البلدة، التي سمعت
أن أهلها قد هجروها، واحترقت بالكامل فيما بعد، هناك
حكاية شعبية وأساطير تحيط بالبلدة، مثل اللعنة

التي أصابت من بقي داخل البلدة، وكيف أن أهلها تحولوا إلى تماثيل شمع، أعتقدون أن هذا تخريف عجائز؟ أراكم تنظرون إليّ! أنا لست بعجوز مخرف..

ثم يتنهد العجوز في إرهاق ويضيف: أو ربما أنا كذلك.. ارحلوا الآن لقد أرهقني الكلام.. وصدقوني، هذا كل ما أذكره عن قصر سليمان وبلدتي الصغيرة..

نظر صلاح إلى العجوز بجسده الضئيل وعينه الزجاجية، إن بإمكانه أن يعد ثلاث شعرات على رأسه، لوهلة بدا العجوز كالطفل في عيني صلاح، الذي تبادل نظره معي ورأى أنني أراقب ردود أفعاله، أنا لا أقرأ الأفكار مثلك يا رودينا، لكن معرفتي بصلاح وأعوامنا سوية، تجعلني قادرة على فهم ما يدور بخلده، وفي الآن ذاته كنت أصغي باهتمام وشغف لحكاية العجوز.. وعندما خرجنا من دار المسنين ذهبت إلى موظفة المبيعات، وأشعل صلاح لفافة تبغ..

توقفت ناردين عن السرد ونظرت إليهم، وتبادلت نظرة طويلة مع صلاح.. كلهم صامتون يستمعون إليها..

ما لم تعرفه ناردين أن صلاح كان يفكر في طاقة الوحدة

المحيطة بالعجوز، وكيف أنه كان سيصبح مثله لو لم تدخل هي حياته..

.. وتواصل ناردين سرد حكايتها..

قال لي صلاح إبان خروجنا: لقد نقلناه لدار مسنين..
ونتكفل بمصاريفه الآن.. أعتقد أن هذا يكفي.

- صلاح! لقد وجدنا هذا الرجل ينام في غرفة بسطح بناية
آيلة للسقوط، لم أكن لأتركه هناك..

- حسناً، والآن بعد أن وجدته أخيراً بعد أشهر من البحث..
الناجي الوحيد من تلك البلدة الغامضة المهجورة..

والتفت لصلاح وقلت بعناد: روايتي القادمة عن قصر
سليمان ومتحف الشمع، سوف أذهب إلى تلك البلدة كما
أعتزم، وأقضي عدة ليالٍ في القصر.

- القصر ملك للحكومة ولن يسمحوا..

بتر صلاح كلامه وقال باستسلام: أن تقول لناردين إن أحداً
لن يسمح لها بفعل فتلك هي الطريقة السحرية لعقص شعرها
للخلف، وإعطائها المريول؛ لكي تصبح طفلة شديدة العناد
ذات صفائر، وترد عليك بأنها ستفعل ما تحاول منعه إياها..

ركبنا السيارة، وقلت له: حسناً أيها المحقق الخاص.. لننطلق
في رحلتنا

- لا يوجد شيء يُدعى محققًا خاصًا، أنا محقق تأمين
متقن..

- هيا صلاح!

هز رأسه وأضاف وهو يدير المقود: لماذا صديقتي المقربة
كاتبة رعب مخبولة لا تستطيع القيادة؟

- ستعطيني دروسًا في الطريق كما اتفقنا، ولا تتظاهر
بالتذمر.. كلانا عاشقان للمغامرة واستكشاف المجهول..
مدمنا أدرينالين هو التعبير المناسب.

وأضفت أنا في عقلي: وكلانا متوحد يحيان لوحدهم، ولو
لم يطاردوا السراب لفقدا عقليهما..

تحركت بنا السيارة، إلى تلك البلدة المهجورة.. حيث يقبع
قصر سليمان..

- تصل السيارة بنا ليلاً.. وأغمغم أنا بافتتان: بالطبع!

- ماذا؟

- لم نكن لنصل نهارًا، كان لا بد أن نصل في الليل.. كأننا في قصة رعب كلاسيكية.

- أو في قصة مبتذلة، كنت أعتقد أن الرحلة التي استغرقت اثنتي عشرة ساعة سترهقك.

- اصمت يا صلاح، وبالمناسبة سأجعل الرحلة تستغرق ثلاثة عشر ساعة في روايتي، الرقم ثلاثة عشر مناسب أكثر. يهز صلاح رأسه دون أن يعلق..

نظرت إلى اللآفتة: ادخلوها آمين.. وواصل صلاح القيادة.. قبل أن يقول: يا إلهي!

- المدينة صغيره للغاية، ومهجورة تمامًا.. الشوارع خالية.. هناك الكثير من الرماد.. المنازل محترقة، هناك مدرسة قديمة ضخمة وقد تآكلت بالكامل إثر النيران..

- العجوز كان محققًا.. لقد احترقت البلدة كلها.

تتحرك السيارة ببطء وسط الشوارع الخالية، وأضاف صلاح: لا أرى حتى قطًا، أو كلابًا في الشوارع..

- كأنه لا يوجد كائن حي واحد يجسر على الدخول.

- سوى اثنين شديدي الحماسة.

تتوقف السيارة وننظر أمامنا.. إلى شخص واقف من بعيد،
يولي ظهره لنا وقد غطته الظلال..

- هناك كائن حي بعد كل شيء.

- لماذا يقف متسمّرًا في مكانه هكذا؟ هناك شيء خاطئ.. لا
تخرج من السيارة.

- أستاذ..

صاح صلاح مُخرِجًا رأسه من السيارة، ولم يجبه سوى
الصمت..

- نحن عابِرًا سبيلٍ و...

- لم يجد ما يضيفه، ولم يردّ الرجل على أي حال.. تحرك
صلاح بالسيارة باتجاهه.. وداروا حوله ببطء.

- يا إلهي! هذا..

- تمثال شمع محترق، لم يكن رجلًا على الإطلاق!

- ما الذي حدث بتلك البلدة؟ أهلها تحولوا لتمثيل شمع
بحق؟ بلدة مهجورة نسي الجميع أمرها؟ هل نحن داخل
رواية رعب؟ حقًا ما الذي حدث هنا؟

- لا أعلم.. ولكننا هنا للإجابة عن هذا السؤال..

تتحرك بنا السيارة، قبل أن تقف أمام قصر سليمان..
تتسارع دقائق قلبي وأنا أنظر إلى القصر وأتمتم: قصر مهجور
في مدينة لا مكان لها على الخريطة، سكانها تماثيل شمع..
وأشعر كأن هناك مغامرة عظيمة تنتظرنا..

القصر كان شديد الارتفاع وهائل الاتساع، يطل على حديقة
خضراء كبيرة، ويحيط به سياج عملاق، في حين النهر يمر
من خلفه..

ارتكزت عينا صلاح على تلك الفتاة الفاتنة في النافذة
العلوية للقصر، وسمع صوتي يبتعد عنه تدريجيًا -هذا ما
وصفه لي لاحقًا؟- لقد كان ينظر كالمسحور صوب الفتاة
خلف النافذة، فتاة ذات شعر أسود طويل.. وعنق ممزق.. أنا
لم أرها، لكن هكذا وصفها هو لي..

يدخل صلاح وأنا خلفه لقصر سليمان..

القصر كان مهيبًا بحق، مظلمًا، شباك عناكب في كل صوب،
لوحة ضخمة تغطيها ملاءات عملاقة، أردت إزالة الأغشية
القماشية، ورؤية الوجوه على اللوحة، ولكني شعرت بأعينهم
تحقق إلي من خلالها، سرت إلى الأمام لسبب ما، وجدت
نفسي أمام أسفل لوحة زيت عملاقة لسليمان باشا، يا له من
رجل، مستطيل الوجه، عينان سوداوان، يرتدي زيًا فاخرًا
كالعثمانيين في أوج قوتهم، وله شارب وشعر طويل

منسدل.. يرتدي قبعة طويلة، قبعة عربية الشكل، إذا هذا هو سليمان باشا.. هنا لمحت وريقة أسفل اللوحة، وتلقائيًا امتدت يدي لتلتقطها، أتلك أو هام سراب؟ أم أني أسمع أنيئًا قادمًا من أرجاء القصر؟ فتحت الورية، غير مدركة للظلال المحيطة بصلاح.. الظلال التي تعانقه وترحب به.. طالعت عيناى -على ضوء هاتفى- الخط الحبرى القديم لمحتوى الورية، والمقصوصات الملحقة بها من جرائد قديمة:

جزء من شهادة سليمان باشا، الناجى الوحىء من طاقم الفرقاطة أرطغرل، التي غرقت فى البحر دون أسباب واضحة عام ١٩١٨:

«هل رأيت سفينة وهى تحترق وتغرق فى الآن ذاته؟ ترى النيران تلتهم الشراع، ونصف السفينة يختفى وسط مياه البحر الغاضبة! النيران تلتهم سطحها وهى تحترق ببطء ورويدا البحر؟ أنا قد رأيت هذا المشهد أمام عيناى الذاهلتين.. وجدفت بمركبى بعيدًا فى قلب العاصفة، دون أن أجرؤ على الالتفات للخلف.. لن يصدقنى خديوى ولا ملك.. لن يصدقنى العامة بجهلهم وقله تعليمهم.. سأجدف وأعود لليابسة، وليحدث ما يحدث بعد ذلك.. أنا الناجى الوحىء من تلك الرحلة المشؤومة، سأعود وأشىء القصر الذى كثيرًا ما رأيتة فى أحلامى، فى أثناء تلك الرحلة.. ولن أفكر بالبحر

مرة أخرى..».

مقتطف من رسالة نصية أرسلها أحد الإقطاعيين العثمانيين لعام ١٨٨٦ في مصر المحروسة:

«قبائل الفجر لا يبغون ترك الصعيد، وهم يبهرون الفلاحين بمهرجانهم المتنقل؛ حيث يقدمون عروض الحواة، علينا تطهير الأرض منهم، فهم يمارسون سحرهم الأسود على أرضنا الطاهرة، ولا أحد يعلم من أين أتوا، وجب علينا تطهير الأرض منهم.. لم أعد أحتمل تلك الإشاعات عن عرافة الفجر، ونبوءتها عن زائر القصر هذا، تدعي العرافة الخرفة أن زائر القصر اسمه مشتق من الجدي؛ لأنه يرمز للشيطان، وأن القصر سيثيد بعد أربعين عامًا من الآن.. دعني أنقل لك ما قالته العجوز بالضبط:

«بعد أربعين عامًا سيأتي البحار سليمان ويشيد قصره، وبعد قرن سيأتي الجدي للقصر، وحينئذ الويل لكل من كان قريبًا».

هل تذكر نبوءة عرافة الفجر؟

ولو سوف تجتمعون جميعًا مع ابن الظلام في قصر سليمان، وحينئذ.. سيثيب هول الولدان، وستمطر السماء

دَمًا، سيصمت الأطفال، وتجف الأنهار والمحيطات، فأمير
الحواة لن يستطيع أحدكم كشف اللثام عن وجهه، ولئن
فعلتم.. وأدرکتُم من هو، فحينئذ.. سيفتح القصر بوابته،
وشئتم أم أبيتم، ستدخلون ضيوفًا غير كرام.. أفلا تنتشون؟
أفلا تطربون؟ مرحبًا بكم في قصر سليمان..

صورة محمضة بالأبيض والأسود بتاريخ ١٩٣٠

وصف الصورة:

يقف الباحث المصري الشاب بجوار مجموعة من الأجانب،
ينظرون إلى رسم على جدران إحدى البيوت الطينية في
الريف، ويوضح هذا الرسم قصرًا مهيبًا يجتمع من حوله
قبائل العجر.. وقد كتب أحدهم أسفل الجدار: قصر سليمان..

انتهيت من القراءة وأنفاسي تتلاحق، يا للروعة، يا للخيال،
والسحر، والتاريخ، والغموض.. كنت أشعر بسعادة غامرة..
وقليل من الخوف.. وتذكرت كلمات الكاتبة شيرلي جاكسون
«بعض الأماكن تُولد شريرة، وأيًا كان الذي يهيم في طرقاتها
ليلاً، فهو يهيم وحيدًا»..

ما حدث بعد ذلك كان أمرًا يعصب وصفه قليلًا، لقد سمعت جلبة من خلفي، حفيقًا ماجنًا للظلال وهي تتحدث مع صلاح، لا مبالغة ها هنا، لقد ظل صلاح صامتًا، وحاولت الحديث معه دون جدوى.. كأنه يحدق في شيء لا أراه.. نظرت إليه بقلق، في حين هو يسير ببطء، ويجلس في أحد الأركان، وخبيل إلي أن الظلال في القصر تجتمع حول صلاح.. ثم التفت وحدّق بي في صمت.. صمت مخيف.. نظرة عينيه قالت لي إن هذا ليس بصلاح، شيء ما يمتلكه، هل أنا أتوهم؟ أم أن حدقتي عينيه صارتا بيضاوين لثوانٍ قبل أن تعودا لحالتهما الطبيعية؟ أخذته من ذراعه وأنا أهتف بتوتر: لنخرج من هذا المكان.

شعرت للحظة أنه سيهاجمني، لكنه لم يفعل.. ظل شاردًا وهو جالس في السيارة، وقال لي بعدما خرجنا من البلدة -وأنا أقود رغماً عني بطريقة خرقاء- وبدا أنه يفيق: لا يجب أن نعود أبدًا إلى هذا المكان.

- لماذا؟

- لقد كان يريدني أن أقتلك!

عدنا إلى القاهرة، ومر صلاح بفترة الأحلام تلك.. الكوابيس الخاصة بالقصر.. لكنه تعافى مع الوقت.. تلك هي حكاية قصر سليمان.. ما هو سر القصر؟ وما الذي حدث لسليمان باشا في

قلب البحر؟ وسبب غرق سفينته المحترقة؟ وما علاقة هذا
بقبائل العجر؟ والأهم.. ما علاقة كل هذا بجادو؟

انتهت ناردين من السرد، وغمغم سليم بعد أن تنحنح:
طريقتك في سرد التفاصيل رائعة..

هزت رودينا رأسها: هل ترون حقًا أن هذا هو التوقيت
المناسب للمجاملات الأدبية؟

غمز إدجار آلان بو لسليم وهمس: أترى؟ هي تغار عليك.

أردفت رودينا: أشعر كأن رأسي يدور.. كل تلك المعلومات..
إذًا هناك قصر أثري غامض، تحيط به الأساطير في مدينة
مهجورة، اختفى سكانها، وهذا القصر له علاقة بجادو؟

هنا تحدث رشدي: كيف يكون لهذا القصر علاقة بجادو؟

- وكيف يتحول أهل بلدة لتماثيل شمع؟ أين السلطات؟
وكيف لم يتحدث الإعلام عن الأمر؟

- لأنها مجرد أسطورة.

- أو لأن أحدًا لم يكلف نفسه عناء الذهاب وتفقد الأمر فعليًا.

- وماذا عن الشعب؟

- التشعب؟

- أعني أقارب أهل البلدة..

- لا أقارب لهم.. اسمعي يا رودينا أنا لا أعلم ما الذي حدث لتلك البلدة، كل ما أعرفه ان أهلها تحولوا إلى تماثيل شمع، المدينة كلها هلكت.. والسبب كان طاقة الشر الكامنة في قصر سليمان، يقولون إن طاقة الشر تلك قادرة على دعوة الشر الخارجي لتلك البلدة، وقد دعا قصر سليمان البعبع للمدينة، ليفتك بأهلها، ويحولهم جميعًا إلى تماثيل شمع.

- البعبع؟ ها ها.. يا للهراء!

- أنتِ ترفضين فكرة البعبع على رغم قدرتك على التحكم في عقول البشر؟ ألا ترين أن ردة فعلك مبتذلة قليلًا؟ أم أنك خائفة وتخفين هذا بتلك الردود الحمقاء؟

كادت رودينا أن ترد، فسارع سليم بالقول: هدنة.

صمتت ناردين ولم تعلق.. وتبادلت نظرة مع صلاح من طراز: هم لا يصدقونني، ليتني ما تحدثت، فأجابها صلاح بنظرة: أعطيتهم بعض الوقت ليهضموا ما سمعوه للتو، الأمر يتحول من مطاردة قاتل غامض، لحكاية مرعبة عن قصر ملعون..

هنا قال صلاح لرشدي: كيف علمت أنت عن تلك البلدة؟

- عامر بك حدثني عنها من قبل.

قال سليم: بحسب كلام آدم إذًا، جادو سيذهب، أو يحيا في قصر سليمان؟

- من المستحيل أن يحيا هناك، لا توجد طريقة لأن يستقر هناك، ثم يأتي إلى القاهرة كل حين وآخر؛ ليرتكب جرائمه.

- إذًا سيذهب إلى هناك؟

- لا أعتقد أن آدم يتنبأ بالمستقبل.

- إذًا آدم كان يتفوه بالهراء، لقد كان الأمر كله مضيعة للوقت، نخدعه نحن بموضوع انتقاله، ويقول لنا هو الهراء.

تمتم رشدي: آسف.

وأردف في عقله: عامر بك أيها الأحمق.

هز سليم رأسه، قبل أن يقول: هناك نقطة أغفلتموها جميعًا.

نظرت إليه ناردين باهتمام، أكمل سليم: النبوءة تلك، التي حدثتنا عنها ناردين.. نبوءة عرافة قبائل العجر، عن الجدي وذهابه إلى القصر.. كما تنبأت بتشيد سليمان للقصر..

- ماذا عنها؟

نظر سليم إليهم، وارتفع حاجبا ناردين قبل أن تقول
مبهوتة: تقصد أن الجدي هو جادو؟!

- أنتم تريدون القول إن عرافة من قبائل الفجر، إبان الحكم
العثماني منذ عام ألف وثمانية وشيء، تنبأت بما يحدث لنا
الآن في عام ٢٠٢٠؟ هل..

ثم تنهدت رودينا وتوقفت عن الحديث قبل أن تقول
معتذرة: يبدو كأني أتقمص دور الشخص العقلاني محدود
الخيال، سامحوني، أنا لست عقلانية صدقوني، أنا أحب
الفجر في الواقع.. وأنا ممثلة مسرح وكل شيء.. أعشق
عطيل، وماكبث، وتاجر البندقية، ورحيل رجل المبيعات،
وسيدتي الجميلة، وكل تلك الأعمال الرائعة، أعني.. آه.. أنا
أقرأ أفكار القوم، سليم يُغيّر أفعالهم، ناردين وصلاح قابلا
كائنات شيطانية، نعم.. لقد تقبلت حقيقة أن هناك أشياء.. غير
عادية منذ طفولتي، أنا فقط.. خائفة قليلاً كما قالت ناردين..

ثم نظرت إلى الأخيرة وكررت اعتذارها.

ابتسم لها سليم قبل أن يهمس: أنت شجاعة للغاية، لا أحد
يملك تلك القدرة من الصراحة ومواجهة الذات.

غمز آلان بو لسليم، واحمرت وجنتا رودينا..

قالت ناردين دون أن تغفل عن كون صلاح شاردًا منذ

ذكرها للقصر: لنرتب أفكارنا..

- كلا!

- ماذا؟

- هناك شيء آخر يجب الاعتراف به قبل ترتيب أية أفكار، أنا قد حلمت بقصر سليمان، وقابلت متشردة عجوز حذرتني منه.

- لا تقولي لي إن تلك المتشردة هي عرافة الفجر، وقد توصلت لسر الخلود، والفرق في الآن ذاته!

- لست مضحكًا.

- أنت محقة، كما أنني أنا أيضًا حلمت بالقصر.

- وأنا أيضًا.

- أنا أيضًا.

- يا إلهي الرحيم!

قالها رشدي وهو يقلب نظراته بينهم، كلهم حلموا بالقصر.. تابع رشدي: كأنه.. قدركم..

هزت رودينا رأسها؛ نافية أفكار رشدي قبل أن تقول: اسمعوني جيدًا، هناك شيء لقنت نفسي إياه، لا تفكر بهذا

الأمر لكيلا تُجَنِّ، لو أطلقنا العنان للهوس سنظل نفكر دون الوصول إلى إجابات، لنحاول أن نجيب عن الأسئلة التي نقدر على إجابتها الآن..

وإثر الموافقة الجماعية في أعينهم أردفت رودينا: يتبقى سؤالان غاية في الأهمية، وأعلم قبل أن أطرحهما أننا لن نجد لهما إجابة واضحة.. لكن.. آه.. الطرح مهم كذلك...

أكملت ناردين: كيف عرف آدم بأسمائنا ومقتطفات من حياتنا؟

أجاب صلاح مسرعًا محاولاً قطع حالة الانبهار بآدم وتأثيره السلبي: البحث.. لقد بحث عنا مثلما فعل عمار.

تنحنح رشدي: آه عامر.

- أيًا يكن، لقد بحث عنا، آدم قدم لنا حيلة حوالة على المسرح، الآن تراه.. الآن لا تراه.. فقط ليشتتنا ويبهرنا ويتولى هو السيطرة..

مطت ناردين شفيتها مفكرة، ودارت راحتها من عودة صلاح للحديث والاندماج معهم، فالتفت صلاح وقال لها: تلك الجملة التي تقولينها لي مرارًا وتكرارًا.. ماذا كانت؟

- أي جملة؟ أنا أقول الكثير من الأشياء.

- تلك حقيقة، جملة شرلوك هولمز.

- آه.. عندما تستبعد المستحيلات أيًا كان المتبقي، مهما كان مستبعدًا، فهو الحقيقة.

- ومن المستحيل أن يكون آدم ساحرًا حقيقيًا.

- ولماذا لا نفترض أنه يمتلك قدرات خارقة مثلي ومثل سليم؟ جملة هولمز لا تنطبق هنا، في حالتنا تلك المستحيلات ممكنة.. ربما آدم مثلنا.

هنا تحدث رشدي: كلا، كان عامر ليعرف..

- إذًا آدم باحث ذكي ومخادع، هذا هو إجابة سؤالكم الأول، ما هو الثاني؟

تبادلت ناردين نظرة مع رودينا قبل أن تقول لصاح: كيف لم تستطع رودينا قراءة أفكاره؟ وفشل سليم في التحكم بإرادته..

بدت الحيرة على وجه صلاح وظل صامتًا.. تنهد سليم مجيبًا: قوة الشخصية.. قوة الإرادة.. قوة العقل.. لقد استطاع آدم حجب أفكاره عن رودينا، ورفض الانصياع لي، لنفس السبب، هو يمتلك إرادة جهنمية، ومخيفة، آدم لا يمتلك قدرات خارقة مثلنا.. قدرته الخارقة هي قوة

شخصيته..

- شر مطلق!

قالتها ناردين بشرود..

- هذا كلام حالم لا منطق فيه.

- رشدي.. أما زلت تحاول التمسك بما تعتقده أنت كمنطق؟

- وجهة نظر سليمة.

- في الحقيقة هناك سؤال أخير...

قالتها رودينا بتردد ونظروا إليها وهي تكمل: ماذا لو كان جادو مثل آدم؟ ماذا لو لم نستطع التأثير فيه؟

.. لم يجيبها أحد..

تنهدت ناردين، ونظرت نظرة يعرفها صلاح جيدًا قبل أن تقول بشرود: هناك نظرية واقعية، أن كل هذا بمحض صدفة وآدم يشنتنا، وهناك نظرية أخرى.. بها قدر من الخيال..

- وما هي؟

- لكل فعل رد فعل، مساوٍ له في القوة.. بعضكم يمتلك قدرات خارقة، ونحن نتحالف ضد جادو، ربما رد الفعل هو تحالف جادو.. مع قوى خارقة مضادة لقواكم.. مع الشر

المكان: قصر عامر عمران - الفيوم.

أحيانًا تخطط لشيء ما جيدًا، لكنه لا يحدث، ويكون بداخلك الجزء المسؤول لئلا تندهش عند عدم حدوث هذا الشيء، الجزء المسؤول عن توقع فشل الخطط، عامر عمران لم يمتلك هذا الجزء، كونك ثريًا بشكل فاحش يلغي وجود هذا الجزء، ولذا بدا له طبيعيًا عندما وجد نفسه يجلس في مكتبه أمام رشدي والمجموعة..

همست رودينا لناردين بإرهاق: حياته طويلة بحق، الكثير من الأفكار.

- شيء متوقع.

صلاح كان ينظر إلى عامر، ويفكر: ثري آخر يرتدي روبًا باهظ الثمن ويحيا في قصر بعيدًا عن الحياة الحقيقية.. أو ربما بالنسبة إليه تلك هي الحياة الحقيقية.. آه أنا لا أحب الأثرياء.

ابتسمت رودينا لأفكار صلاح، في حين سليم جلس صامتًا.. وهو يقاوم أن يكتب في مفكرته أن يعطيه عامر

القصر وكل ممتلكاته..

شكرًا لمجيئكم، اسمي هو عامر.. وأنا أقدر صمتك يا أستاذة رودينا، أعني بالتأكيد أنك قد قرأت كل ما يجول في خاطري.. وأتمنى ألا تجبرني على فعل شيء لا أريده يا أستاذ سليم.. وألا تضعيني في إحدى رواياتك يا أستاذة ناردين، وأتمنى بالتأكيد ألا تظل بوجهك النظرة السلبية عني يا أستاذ صلاح.. كنت أتمنى أن يكون معكم الخامس، الرجل الذي عض التراب، الكثير من الإشاعات حول الرجل الذي فقد عائلته، وترك الحياة، وكّرّس نفسه للانتقام، يقولون إنه طوّر من جسده وعقله، بالرياضة ودراسة القتل، يقولون إنه يمتلك طاقة غضب عاتية، الحقيقية أنهم يقولون إنه هو من وضع آدم في المصحة النفسية، بعدما تركه للموت.. الحكاية تقول إن آدم قتل زوجة الرجل أمام عينيه، ودمر حياته، وتركه للظلام، وتحول الرجل بعدها، درّب نفسه وعقله؛ ليقتنص من هم مثل آدم، لكنني أعتقد أن كل هذا محض أساطير شعبية الآن، وأن هذا الرجل لا وجود له، ما دام لم تجدوا وسيلة للعثور عليه.

وصمت قليلاً وفي عينيه تساؤل خبيث: أم أنكم لم تبذلوا مجهودًا حقًا في إيجاده؟

رفعت ناردين حاجبها في استمتاع، فكرة رجل الأنفاق

تلك جذابة للغاية وتصلح كرواية، يواصل عامر: لعلكم تتساءلون لماذا أريد الكشف عن هوية جادو ووقف شره؟

- سأترك رودينا -اسمحي لي برفع الكلفة- تجيب.

هزت رودينا رأسها قبل أن تقول لهم: عامر مصاب بمرض عضال، ويريد أن يفعل شيئًا واحدًا ذا نفع قبل رحيله.

بدا الرضا في عيني عامر، وتفهمت ناردين لماذا ترك هو الجزء العاطفي، والذي قد يبدو زائفًا لتصدقه رودينا بالقول، يتابع عامر: لكم مطلق الحرية في المال، الأجر مقابل عملكم هذا، مال سيغير حياتكم، ولكم مطلق الحرية في استخدام مواردني.. أنا جمعتكم هنا لأنني أريد سماع خطتكم في الإتيان بجادو، وبعدها بإمكانكم البدء..

تبادلوا النظرات للحظة، قبل أن ينظروا جميعًا إلى ناردين، أومأت برأسها لهم، وقالت: استخدام آينور كطعم، التحقق إن كان أنور حمدان لا يزال حيًا، والوصول لمكان الطفلة المختفية.

- كيف؟

- سنتواصل مع آينور، سليم سيجعلها تفعل ما نريد..
وسنحاول تقصي أثر أنور..

- كيف؟

- لا نعلم بعد.

وصمتوا في حيرة، تنهدت رودينا في سواد قبل أن تقول:
هناك طريقة..

نظروا إليها، فقالت: لو كان أنور حمدان لا يزال حيًا، فلا بد
أنه ذهب إلى مكان خاص به لا يعرفه أحد، سوى المقربين له.

- لم يكن هناك مقربين لأنور سوى ابنتيه.

- بالضبط.

- إذًا؟

صمتت رودينا لوهلة، وابتلعت ريقها، ثم أردفت:

- بإمكانني قراءة أفكار الموتى، لم أجرب من قبل، لكني أعلم
أننا نقدر على هذا.

هز سليم رأسه غاضبًا، لكنها واصلت: ربما تخبرني ابنته أين
هو.

- هذا أمر خطير، ربما يُهدد سلامتك العقلية!

قالها سليم ونظر عامر إليها بتركيز، ظلت رودينا محتفظة
بوجهها الصلب قبل أن ترد: لو كان هذا سينقذ الطفلة

الصغيرة، فأنا مستعدة لفعله.

هز عامر رأسه قبل أن يقول: وماذا عن قصر سليمان؟ هل ستذهبون إليه؟

- لو فشلت كل الطرق الأخرى، سنتبع نصيحة آدم.. ربما نفهم شيئًا لو ذهبنا إلى هناك وربما لا، لن نضع الأمر كأولوية.
- حسنًا.. تناولوا الغداء وارتاحوا الليلة ها هنا.. وغدا تعودون إلى القاهرة.

كانت ناردين تنظر إلى لوحة ضخمة معلقة على الحائط وراء عامر، لوحة تُمثل باخرة عتيقة الطراز تبحر وسط الضباب في الليل.

وتذكرت ناردين عمل عامر السابق كقبطان، وما كتبه سليمان باشا عن باخرة مماثلة، وكأنما سليم هو من قرأ أفكارها فوجدته يسأل عامر: كيف عرفت كل تلك المعلومات عنا؟

أجابه عامر مبتسمًا: أنا رجل ثري يملك مصادر مختلفة.. ولا تكتب السؤال في مفكرتك، لن تتغير الإجابة.

منشور على صفحة التواصل الاجتماعي

«صلوا من أجل سلوى ابنة الغفير محمود؛ لعلها لا تزال حية».

ارتدت آينور فستانًا أسود لامعًا، يكشف عن كتفيها الجميلين، ووقفت أمام المرأة وهي تضع طلاء الوجه، ووضعت العطر، ثم خرجت من شقتها، وسارت وحيدة في الشارع بانتظار «أوبر».. فتحت هاتفها المحمول وأطلقت «فيديو» بثًا مباشرًا.. وقالت وهي تحدث الكاميرا: مرحبًا يا رفاق، أتمنى أن تكونوا جميعًا بخير، أنا ذاهبة اليوم لمقابلة شخص مهم للغاية.. انتظروا معي..

.. تنهال التعليقات بغزارة..

تُنهى آينور الفيديو، وبعد ساعة نراها تجلس في مقهى، تفتح الهاتف وتبدأ البث المباشر كاشفة عن ابتسامة واسعة، وتقول: مرحبًا مرة أخرى، سأعطيكم دقيقة لتخمين من معي..

.. تنهمر التعليقات..

تدير آينور شاشة الهاتف، كاشفة عن وجه ممثل كوميدي شهير، ثم تضحك آينور وتعلق: اليوم نحن ذاهبون لحفل موسيقي جميل، وأردت مشاركة تلك اللحظة معكم.

يدير أنور حمدان عجلات الكرسي المتحرك وينظر إلى نفسه في المرآة، وجه شاحب، ممتلئ بالسواد، الدموع في عينيه.. يقترب بالمقعد من المرآة.. وينظر إليها في صمت.. وفي يديه نرى صورة لعلا..

تفتح الطفلة سلوى عينيهما، لقد مرت بكابوس مرعب، فيه تحركت الجثة المتحللة داخل الكفن معها، وقضمت رقبتها، لم تكف سلوى عن البكاء قط، الرائحة العطبة للجسد المتحلل تصيبها بالدوار، الظلام يحيط بها، وهي ملفوفة داخل الكفن، في حين العظام والجلد المتحلل يحتك بجسدها، يمر الوقت بطيئًا، ثم تسمع سلوى خطوات تقترب، يرتج قلبها رعبًا، يأتي هو، مرتديًا قناعًا جلديًا آخر لأحدهم على وجهه، يزيح الكفن ويجلس داخل المقبرة مع سلوى والجثة، يعطي سلوى بعض المياه والطعام، ويجبرها على تناولهم، ويقول: أنتم أصدقائي وعائلي الآن..

يرحل بعدها جادو متجاهلاً توسلات الفتاة، ألا يتركها وحيدة في الظلام.

المكان: قصر عامر عمران.

الزمان: الثانية صباحًا.

وقفت رودينا في شرفة القصر الفاخرة تنظر إلى الحقل الأخضر، لم تستطع النوم، طيلة عمرها تعاني الأرق.. لا تعلم متى؟ لكنها وجدت ناردين تقف وراءها، قالت لها الأخيرة: أنا أيضًا أعاني من الأرق.

- وماذا تفعلين لمواجهته؟

- في المعتاد كنت لأقرأ رواية، أو أشاهد فيلمًا؛ لأهرب منه، أنا أتوق إليهم في تلك اللحظة.

وأكملت ناردين في عقلها: الأفلام والروايات والموسيقى هم عائلتي الحقيقية.

ابتسمت رودينا ولم تعلق..

- هناك شيء أردت سؤاله إياك.

نظرت رودينا إليها في صمت فتابعت ناردين: ما الذي رأيته في المصححة؟ وكيف يكون الأمر عندما تقرئين عقل أحدهم؟

تأفف سليم وهو جالس في فراشه، وصاح إدجار آلان بو:

اخرج من غرفتك اللعينة أيها البائس وتجول في المكان،
عامر أعطاك تلك الأريحية، ربما تجد رودينا مستيقظة هي
الأخرى.

نظر سليم إلى إدجار آلان بو بغيظ، وانقلب بعيدًا عنه؛
محاوّلًا النوم مرة أخرى دون فائدة.. أطلق سليم سبة ثم هبّ
واقفًا، صفق له آلان بو مبتسمًا..

ابتسم رشدي وهو جالس مع صلاح في فناء القصر، وقال
وهو يحرك رقعة الشطرنج: لقد مرت أعوام منذ أن لعبت.
ابتسم صلاح معلقًا: لقد مرت أعوام منذ أن لعبت الشطرنج
مع أحد.

لم يفهم رشدي مقصد صلاح، واكتفى بابتسامة، شعر
صلاح بالغبطة، لقد قضى ليلاليه وهو يلعب الشطرنج مع
نفسه في منزله.. تجديّد لا بأس به أن يلاعب رشدي...
.. يواصل الاثنان اللعب..

تتنهد رودينا وهي تنظر إلى الحقل الأخضر، قبل أن تقول
لناردين: كيف يكون الأمر عندما أقرأ افكار أحد؟

أشعر بنفسي أنساب بنعومة داخل عقلم، وكأنه لا إرادة له، وأسمعهم كأنهم يتكلمون، أول مرة لي كانت وأنا في المدرسة، كانت المعلمة تُحييني على شيء ما فعلته، وأنا أجلس في الفصل، ثم قالت هي فجأة: يا لك من طفلة قبيحة ومزعجة.. نظرت إليها مصعوقة وبعينين دامعتين، ثم صحت: أنا لست قبيحة ولا مزعجة.

بدا عدم الفهم على وجه المعلمة، لكنها عاقبتني، وسط ضحكات زملائي وسخريتهم مني، لم أفهم ما حدث، فقط ظللت متألّمة طيلة اليوم، وعندما عدت إلى المنزل هُرعَت إلى المرأة لأتأكد ما إن كنت قبيحة أم لا؟ تلك كانت أول مرة أقرأ عقل أحدهم، وظللت لشهور أعتقد أنني قبيحة ومزعجة وكريهة، كانت المعلمة تبتسم لي، لكن عقلها يقول شيئًا آخر، وهذا علمني الكثير عن خداع البشر.. ثم أتت تلك الليلة، كنت أجلس مع والدي ووالدتي وأخي، نتناول العشاء ونشاهد التلفاز ضاحكين، قبل أن يقول والدي فجأة: لا أطيق انتهاء تلك اللحظة، والذهاب إلى سمية.. نظرت إليه بعدم فهم، وكدت أن أسأله من هي سمية؟ لكن أفكاره وهو يسترجع لحظاته معها، جعلتني أفهم، لماذا يحتضن والدي أخرى بخلاف والدتي؟ هنا سمعت والدتي تقول بوضوح: ليتني لم أنجب، لقد أفسدوا حياتي.

جلست وأنا أشعر بغصة، ونظرت إلى أخي متسائلة إن كان سمعهم معي؟ أم أني مخبولة؟ لكني وجدته يفكر في نفسه فحسب..

قضيت الليل كله أبكي في غرفتي، وأنا أشعر بالجنون يداهم عقلي وجسدي.. لم أحب عائلتي بعد تلك اللحظة، هم مثل المعلمة، وأدركت أنهم هم القبيحون والمزعجون.. مرت الأعوام وأنا أعتقد أني مجرد مخبولة تهلوس، ثم قرأت وشاهدت الأفلام، وأدركت أن هناك احتمالية أخرى، أني أقرأ الأفكار.. ذات مرة كنت أقرأ ميكي جيب ووجدت نفسي أنسل داخل عقل بطوط، وأقرأ أفكار الرسام الذي رسمه، شخص آخر من عالم بعيد، انسلت لعقله لمجرد أني استمتعت بفنه، أحياناً عندما أركز، انسل كاملاً داخل عقل أحدهم، كأنني أسير بمصباح عتيق داخل دهاليز عقله، المصباح ينير لي الظلام، وهناك الكثير من الأبواب في عقله، أفتح باباً تلو الآخر، وأرى ما الذي يوجد بالداخل، أحياناً أجهد، وأنزف، وأفقد الوعي، لكني اعتدت الأمر وتمرن على التحكم في تلك القدرة مع الوقت، أحياناً أعتقد أني لو أتحكم بها ستدمرني..

ثم ابتسمت رودينا وأضافت لناردين: أفكارك نقية حقاً، أنت تشعرين بما أقول، تلك هي موهبتك يا ناردين، مقدرتك،

الخيال، أنتِ تملكين القدرة على تقمص وجهة النظر العاطفية للآخرين والشعور بما يشعرون، هذا يؤلمك حقًا أحيانًا، أنتِ شخص متعاطف بطبيعته، لم أقابل أحدًا مثلك من قبل.

ضحكت ناردين وقالت بصوت متهدج: وأنا لم أقابل أحدًا مثلك أيضًا.

لوهلة شعرت الفتاتان بأنهما تهمان باحتضان بعضهما بعضًا، ربما هي الوحدة الليلة، أو لحظة البوح، أو تأثير الليل، لكن طبيعتهم رفضت مثل هذا الاحتياج، وتنحنحت كلٌّ منهما، وابتسمت للأخرى.

هنا قالت رودينا: ما زلت تتساءلين عما أثار ذعري في المصححة؟ أنتِ حقًا فضولية..

ضحكت ناردين.. وتابعت رودينا: لقد فقدت التحكم في القدرة في تلك اللحظة، وجدت أنني فريسة لأفكارهم، لآلامهم.. كأني عارية وواهنة أمام قطيع من المفترسين، كنت حقًا عارية فوق أرض ملتهبة، وهم يرقصون من حولي، أشعر بالاختناق، غير قادرة على الحركة، وتمر أفكارهم في صورة أناس يتحركون أمامي، وهم يشعرون بظلمة لا مثيل لها؛ الكثير من المعاناة والألم، شعرت بأن الأمر سيفتك بي..

كانت رودينا تتنهد وتلهث، وهي تتحدث بدا الإعياء على

وجهاها، وضعت ناردين يدها على كتف الفتاة في رفق، هنا
احتضنت رودينا ناردين..

خلفهم وراء باب الشرفة، وقف سليم يسترق السمع، تنهد
واستدار مبتعدًا..

قالت رودينا بعد أن استعادت سيطرتها على نفسها: وماذا
عنك أنت؟ هل ما قاله آدم حقيقي؟

نظرت ناردين إلى رودينا وابتسمت في مرارة مجيبة: أنت
تعرفين الإجابة بالفعل.

- كلا، لم أقرأ أفكارك.. تلك خصوصيتك.

- بإمكانك قراءتها، لا أريد وصف ما حدث..

- إذا سمحي لي بالدخول إلى عقلك.

أومأت ناردين برأسها، ونظرت إليها رودينا بتركيز، قبل أن
تدلف إلى عقلها..

تسير رودينا ببطء داخل عقل ناردين، هي في ممر مظلم،
ينتهي بباب موارد، خلفه بصيص من الضوء، تفتح رودينا
الباب ببطء بعدما وصلت إليه، تشعر برجفة، هي داخل عقل
كاتبة قصص رعب بعد كل شيء، هي الآن تقف وسط أرض

خراب، وهناك لافتة مكتوب عليها: الأرض الخراب، قصيدة
الشاعرت. س إليوت.

تسير رودينا ببطء، هناك رياح خافتة، الكثير من البناءات
المحترقة، والسيارات المهشمة، خيول تمرح دون راكب، هنا
وجدت رودينا أنها تقف أمام مرآة، ابتسم لها انعكاسها، هناك
شيء غريب في انعكاسها، وجهها شاحب، عيناها منقلبتان
وتنزف دمًا، ولها أنياب، هي تقف أمام قرينتها، تراجعت
رودينا للخلف برعب، وجرت مبتعدة، فقط لتجد نفسها واقفة
تلهث أمام أم تحمل رضيعًا بين يديها، وتحاول الأم الهمس
بشيء لرودينا، تقترب منها الأخيرة وهي حالمة دون إرادة،
تصرخ الأم فجأة: الشيء قادم!

تصرخ رودينا، وترى مخلوقًا مخيفًا، له عيانان حمراوان،
يبدو كخفاش عملاق له تكوين بشري، الشيء يقترب منها،
تهرب رودينا، تواصل العدو، تريد الخروج من هذا العقل،
لكنها تواصل الرحلة، هنا تجد نفسها في لندن إبان العصر
الفيكتوري، وفتى مراهق يصيح وهو يحمل الجرائد: اقرؤوا
الخبر.. جاك السفاح يضرب من جديد.

هناك عدة لافتات تحمل عناوين مثل: «قصة مدينتين»،
«أوليفر تويست»، «البؤساء»، «الجريمة والعقاب»، «في ممر
الفران»، «قرية سالم»..

تلك الروايات التي تقرأها ناردين، هناك موسيقى صاحبة
ومرعبة قادمة من الخلفية، الموسيقى تتزايد، وتسير رودينا
مسرعة داخل الشوارع، تقابل بيتهوفن، يبدو شاردًا وحزينًا..
تواصل السير، هي الآن شهرزاد، تجلس أمام شهريار وتحكي
له عن مغامرات السندباد، ثم وجدت نفسها تجلس مع أجاثا
كريستي؛ يتبادلون حديثًا شاقًا دام لساعات، عن جرائم
القتل، وهم يرشفون الشاي، بعدما رحلت أجاثا، سارت رودينا
مرة أخرى في الممر المظلم، دهاليز عقل ناردين، وهناك
عدة أبواب مغلقة، لقد كان خيال ناردين يحاول حماية عقل
صاحبته، ويعيق وصول رودينا إلى هنا، تنظر رودينا إلى
المصباح في يدها وتسير بثقة، هي داخل منطقة الراحة الآن،
تستعيد خبرتها وتفتح إحدى الأبواب، تجد الشيء داخل
الغرفة، يعدو اتجاهها، تصرخ وتعود إلى الخلف، تفتح غرفة
أخرى، فتجد رجلًا غليظ الملامح، أجش الصوت، يرتدي
ملابس بيضاء كأنه في الحج، يقول لها بعربية قديمة، وهو
يبدو كالعمالقة: أنا الحاوي، أحيا منذ أيام الجاهلية لزمانكم
هذا، ساحر قبائل العرب الذي توصل لسر خلود.. أنا أمير
الظلام.

- يا إلهي!

تُغلق رودينا الباب وتذهب إلى الباب الثالث، تفتحه ويتمزق

قلبها، تجد ناردين الطفلة ابنة الأعوام العشرة تحتضن جسد أخيها المدمن وتبكي، الجرح في رسغ أخيها، لقد انتحر بالفعل، تبكي ناردين، تحاول احتضان والدها لكنه يزجرها بعيدًا ويذهب، والدتها تضربها، تتناول الكثير من الحبوب المهدئة -والدتها- وتلوم ناردين على أفعال كثيرة لم ترتكبها، تصرخ بها، تضربها، تنهرها، تجلس ناردين وحيدة تبكي، ثم تلتقط كتاب بعنوان «دراكولا».. وتبدأ القراءة، ويعتلي التركيز وجهها، وتضحك وهي تقرأ -كانت تلك لحظتها الأولى إذًا- تفكر رودينا- هنا رفضت ناردين واقعها غير المنطقي، ورحلت مع عالم الخيال حيث القلاع والخيول.. هناك ذكرى غير واضحة عن رجل ذئب وسيرك.. تفتح رودينا الباب الأخير لتجد صلاح جالسًا مبتسمًا، وتشعر بهدوء ناردين النفسي إزاء وجوده..

.. تبتسم رودينا له وتغلق الباب..

تلتف رودينا للخلف فتشبهق؛ عندما تجد آدم يقف أمامها، ويقول: أنت لي.

.. تتراجع للخلف..

تفتح رودينا عينيها وهي تنظر إلى ناردين، كلاهما تقف في الشرفة، تنظر رودينا إلى ناردين كثيرًا قبل أن تقول: أنت تملكين عقلًا غير اعتيادي حقًا.

- مثقفة وواسعة الخيال تقصدين؟ بالطبع بالطبع..

تضحك رودينا، وبعد وهلة تضحك معها ناردين..

عادت آينور لشقتها في نهاية اليوم، استلقت فوق فراشها، وجوارها قطتها روزيتا.. قبلت آينور روزيتا، وقالت لها: الحلم يتحقق، لقد أنهيت تعاقد البطولة في الفيلم..

يجلس جادو أمام الحاسب الآلي، وعيناه تطالع البريد الإلكتروني الخاص بآدم، ويعيد قراءته..

لن أنتظرهم في قصر سليمان، سأبادر يا آدم، لسوف أبهر الجميع..

ينظر جادو إلى هاتفه المحمول، إلى صورة سلوى في القبر، يبتسم، ثم يضع الهاتف في جيبه، يشعر بالفخر، إزاء بحثه عن ناردين الصباغ في الأيام السابقة، وتوصله لمكانها عن طريق السكرتيرة الحمقاء في المكتبة، التي تعقد بها ناردين ندواتها الأدبية، انتظاره لساعات أسفل بنايتها، ورؤيته لها أخيرًا مع فتاة أخرى، لا بد أن تلك رودينا التي تحدث عنها آدم، هي حقًا جميلة، ومعهم ثلاث رجال.. يركبون سيارة دفع

رباعية..

أبهرهم يا جادو، يعتقدون أنك الفريسة، أرهم أنك الصياد..
يغلق جادو الحاسوب، ويترجّل من سيارته، التي ركنها في
الحقل، وينظر إلى قصر عامر عمران ويكرر: أنا الصياد.

الفصل الثالث عشر

- نحن بحاجة إلى النوم.

قالها رشدي ضاحكًا وهو يبدأ مباراة شطرنج جديدة مع صلاح، نظر الأخير في ساعته وصفر قائلاً: الرابعة فجرًا! حقًا؟

ثم تبادل نظرة مع رشدي قبل أن يقول: حسنا مباراة أخيرة..

.. يضحك كلاهما ويبدؤون اللعب..

إدجار آلان بو ينام بهدوء جوار سليم، الذي استطاع بمعجزة التخلص من أرقه، الحقيقة أنه ظل يفكر في رودينا بتفاصيلها وصوتها، حتى عم الهدوء عقله ونام، جوار سليم يقف جادو بهدوء، ينظر إليه وهو نائم، ثم يمد يده، ويلتقط مفكرة سليم..

- علينا أن ننام قليلاً، نحن بحاجة إلى بعض الطاقة غدًا.

أومات ناردين برأسها لكلام رودينا، ضحكت الأخيرة مضيئة:

- حتى لو تعتقدين أنك لن تنامي؛ لأنك تظلين مستيقظة،
فعندما يكون لديك يوم حافل فعليك المحاولة..

ابتسمت ناردين.. حيثها رودينا مودعة، وسارت في القصر
وحيدة متجهة لغرفتها في الطابق الثاني..

عندما سمعت أحدهم يقول في عقلها: أنتِ حقا جميلة،
لسوف ألتهمك حية يا قارئة الأفكار..

تتجمد رودينا في مكانها، وهي وحيدة في ظلام القصر،
وفكرة واحدة تسيطر عليها: جادو هنا.

تقف ناردين في الشرفة وحيدة، قبل أن تغمغم لنفسها: أنا
بحاجة إلى بعض الطعام، أنا حقا أحب طعام منتصف الليل،
فقط لو كان بإمكانني مشاهدة فيلم الآن..

تلتفت ناردين وتدخل القصر متجهة إلى المطبخ.. ولم تدر أن
جادو يقف وراء الستار..

- أنا بحاجة إلى الذهاب إلى دورة المياه.

- كلا يا رشدي، أنت تريد الهروب فحسب لأنك تخسر.

- سوف أقضي حاجتي وأعود لأسحقك.

يترك رشدي صلاح جالسًا في فناء القصر الخارجي، وسط الأشجار، ويدخل القصر..

يقف صلاح ويتمطى، ثم يسير رويدًا صوب سيارة رشدي، يفتح الباب، ويجلس في الأريكة الخلفية، يغمغم وهو ينظر إلى القصر: لا أحب الأثرياء..

ثم يستلقي على ظهره مفكرًا، لا يعلم لماذا لم يرد أن ينام في القصر؟ ربما لأنه اعتاد دومًا الطرق الصعبة؟ قال لنفسه: كلا! لأنني أحب لعب الشطرنج..

ثم أضاف ساخرًا: أيقظني عندما تجيء يا رشدي.

وأغمض عينيه بهدوء، كان مرهقًا حقًا، وسرعان ما غرق في النوم.

وقف رشدي بهدوء داخل دورة المياه، عليه أن يعترف لنفسه بشيء ما، لقد مرت عقود منذ رحيل زوجته قبل أن يستمتع بصحبة آدمية، لقد كانت الأيام السابقة ممتلئة بالأحداث حقًا، صحبتته الوحيدة كانت عامر فيما سبق، لن ينكر أنه استمتع برفقة صلاح ورودينا بالأخص، هم الأقرب

إليه، يشعر أنهما مثله، كادحين في الحياة و...

- اغغغغغ.

أصدر رشدي هذا الصوت عندما انغرز السكين في عنقه، لقد أحاط به جادو فجأةً وكبّله من الخلف وأغرز السكين في عنقه، وهمس في أذنه: أنت في حضرة جادو العظيم.

اتسعت عينا رشدي عندما سمع الاسم، وحاول الانتفاض بغضب لكن جسده خانه وسقط أرضًا، وهو يبصق الدماء ويرتجف، وأمام عينيه ترحل خطوات جادو مبتعدة.

يرتجف جسد الكهل، يتشنج جسده، فكرة واحده تهيمن على عقله المُحتَضِر «عليّ تحذيرهم».

الدماء تنهمر بغزارة من عنقه كأنها كانت تتوق للحظة الخروج، يبصق دمًا مرة أخرى، ألم لا يطاق يسري من عنقه لظهره، تنميلة غير عادلة تعوق حركة ساقيه، لكن رشدي لا يكف عن الارتجاف ومحاولة الحركة، يزحف، يحاول، يفشل «هيا أيها الكهل ازحف» يصيح لنفسه، ويزحف رشدي بصعوبة بالغة تاركًا الكثير من الدماء خلفه، يخرج من دورة المياه، هو يزحف في ردهة القصر الآن.

«عليّ تحذيرهم» يواصل الزحف "أتلك ناردين في المطبخ؟" يحاول منادتها، لكن أوردة عنقه المقطوعة تمنعه، يواصل

الزحف..

هنا يرى رودينا تقف في الطابق الثاني بجوار السلم وهي في حالة ذعر، تلتقط رودينا أفكاره دون أن تراه في الظلام، فتهرع إليه، يراها تبحث عنها.

“لا حاجة لأحبال صوتية كي تسمعيني يا ابنتي، هيا، أنا هنا، على يسارك”

تصل إليه رودينا، تنحني بسرعة وتحتضنه، ينظر إليها رشدي والدماء تغرق فمه، يحاول قول شيء ما، هنا تقرأ رودينا ما يريد قوله

«أردت بشدة أن أعب معكم لعبة الصراحة».

من وسط دموعها تقول رودينا: بالتأكيد، لا تخف ستكون على ما يرام.

- اس.. اسأليني سؤال.

- هل أحببت من قبل؟

يبتسم رشدي على رغم آلامه وهو يتذكر زوجته، ثم تهمد حركته وتشخص عيناه. تبكي رودينا وهي تحتضنه، ثم تترك جسده، وتنحني وهي تتلقت حولها، تريد أن تصرخ، لكنها تخاف من رد فعل جادو، تبحث عن أفكاره فلا تجدها.

بيد مرتجفة تمسك بهاتفها المحمول وتتصل بسليم مرة
أخرى دون جدوى. تتراجع للخلف ويلتصق ظهرها بالحائط
لدقائق، وهي تهمس لنفسها «تمالكي نفسك، كوني قوية،
كوني قوية»

لم تر رودينا ظل جادو وهو يتحرك على مقربة منها صوب
جسد رشدي.

تكرر الفتاة لنفسها "كوني قوية".

تمتد يدها المرتجفة للاتصال بالشرطة، وهي تعلم أنهم
سيصلون متأخرين. هنا تلمح ناردين في المطبخ موليًا إياها
ظهرها.

تقف رودينا وتعدو اتجاه ناردين وهي تتلفت حولها، تصل
إليها فتهمس: ناردين.

يلتفت جادو إليها ويقول: خدعتك.

كان يرتدي وجه رشدي على وجهه بعدما سلخه، ويرتدي
أيضًا فروة رأس إحدى ضحاياه بعدما سلخ شعرها، فبدا
كامرأة تقف في المطبخ. تتسع عينا رودينا في رعب،
وينعكس على مقلتيها جادو، ثم تلمح ناردين ساقطة على
الأرض وسط دمائها.

-لقد تحكمت في أفكاري جيدًا، أليس كذلك؟

هنا تصرخ رودينا، وينقضُّ عليها جادو.

صرخة منتصف الليل:

يفتح سليم عينيه ويهب واقفًا، وتمتد يده تلقائيًا لمفكرته فلا يجدها، يقف بحرص ويتلفت حوله ويدرك للمرة الأولى أنه كان عليهم إحضار سلاح معهم.

يسير إلى الأمام متجهًا لباب الغرفة، يهمس له آلان بو: شيء ما ليس على ما يرام، كن حذرًا، وعليك إيجاد ورقة وقلم سريعًا.

يومئ سليم برأسه، ويقترّب من الباب، ينفّث الباب بقوة في وجهه ليرتطم بأنفه، يصرخ آلان بو، ويسقط سليم للخلف؛ الهول مائل أمام عينيه، يقفز جادو فوق سليم وهو يصرخ بجنون ويغرز السكين في جسد الأخير، يشهق سليم ألمًا، وتنهال عليه طعنات جادو، واحدة تلو الأخرى.

الألم يعتصر جسد سليم، يبحث بيأس عن ورقة وقلم، يرفع جادو السكين لأعلى ويهوى بطعنة أخيرة يُنهي بها كل شيء.

يقف جادو منتشيًا، صدره يعلو ويهبط من الانفعال قائلاً:
أنت في حضرة جادو العظيم.

ثم يرحل تاركًا سليم غارقًا في دمائه.

يسير جادو وسط القصر في خيلاء، ثم يعود إلى الطابق
السفلي.

- عار عليك.

يقولها عامر عمران بكبرياء وشجاعة، وهو يستند إلى
عكازه ويسير صوب جادو، يلتفت إليه الأخير، ويتسم:

- أنت القائد الذي جمعتهم ليدمروني أنا، والحقيقة أنك
جمعتهم ليموتوا.

- يقولها جادو وهو يسير صوب عامر، وعلى انعكاس عيني
الأخير نرى ذكرياته تمر داخل عقله، قبل أن يقوم في شمم:
سينتصرون عليك.

يقف جادو أمام عامر بينيته الضئيلة، ويصيح بعينين
تبرقان: أنت الآن في حضرة جادو العظيم.

يغمض عامر عينيه، ويكرر في هدوء نفسي: لقد حاولت
فعل شيء جيد قبل رحيلي.

ويرفع جادو يديه ليغطي ظلّه عامر بالكامل.

يسير جادو بعدما انتهى من عامر، ويقف أمام ناردين
ورودينا بعد أن أفقدهن الوعي، يقترب منهن في حنان
ويهمس: يا آلهي، أنا أحبكن حبًّا جمًّا، وأنتن أيضًا تحبونني،
أنتن فقط لا تعرفن هذا بعد.

ثم يحضر القيود ليقيدهن ويحملهن لسيارته، ويدير المقود
راحلاً.

يفتح صلاح عينيه من ضوء الشمس الذي باغت وجهه،
يعتدل ببطء من رقدته بالأريكة الخلفية بالسيارة، مؤخرة
عنقه تألمه.

يفتح باب السيارة وينظر إلى الحقل المترامي أمامه
ويتثائب قبل أن يقول: يا له من صباح مختلف!

يقف ويتمطأ ويشعل لفافة تبغ وهو يغمغم: أنا بحاجة إلى
الكثير من القهوة.

ثم يدخل القصر.

يقف صلاح وهو ينظر إلى جسد بلا رأس معلق على الجدار
الداخلي لردهة القصر، وهناك بطاقة أسفل الجسد مكتوب

عليها" جادو فعلها"

- كلا، كلا، مستحيل.

يقولها صلاح ومشاعر شتى تبدأ بداخله، يُميز الروب الخاص بعامر للجسد الذي فقد رأسه.

يعدو إلى الأمام ويصرخ: ناردين.

يتعثر في شيء ما فيسقط أرضًا، ينظر إلى جثة رشدي، وبركة الدماء من حوله، يعتلي الغضب وجه صلاح ويصيح: ناردين.

يجول في أنحاء القصر باحثًا عنها، يُهرع للطابق الثاني وهو يصيح: ناردين، رودينا، سليم.

يبحث في الغرف، لا أحد، يجد سليم غارقًا في دمائه فوق الأرض في غرفته.

- يا إلهي الرحيم.

ينحني صلاح جوار سليم ويصيح بغضب.

هنا يئن سليم بوهن، يلتفت إليه صلاح ويصيح: اصمد يا صديقي اصمد.

ويُهرع لطلب الإسعاف ثم يعود جوار سليم.

عندما يسمع صلاح سرينة الإسعاف تقترب، ينحني صوب سليم ويهمس في أذنه: الآن ستكون على ما يرام، اصمد، قاتل من أجل النجاة، سأرحل الآن، الشرطة تبحث بالفعل عن جادو، سيعرقلونني فحسب، سوف أجده يا سليم، وسوف أجد ناردين ورودينا والطفلة، لسوف أجدهم جميعًا بمفردي، دون قدرات خارقة، وسوف تكون أنت بخير، فقط اصمد.

يُرَبِّت صلاح على كتف سليم ويستدير راحلاً بسرعة.

يأخذ مفاتيح السيارة من جيب رشدي، وينظر إلى جسد الكهل، قبل أن يقول: يومًا ما سنكمل المباراة.

يقفز صلاح داخل السيارة ويدير المقود منطلقًا بها وسط الحقل، في حين تصل سيارتا الإسعاف والشرطة.

تفتح رودينا عينيها، ظلام يحيط بها، وكفن يلف جسدها، جوارها ناردين نائمة أو فاقدة الوعي، هناك شموع عدة، وجثث عدة متحللة، هياكل عظمية تكشف عن ضحكتها الماجنة، تئن ناردين وتفتح عينيها.

وتنظر كلتا الفتاتين إلى الرجل المرتدي جلد الموتى الواقف أمامهما، تقرأ رودينا عقله، ترى ما فعله بسليم وتصرخ باكية.

تهز ناردين رأسها غير مصدقة، هما مع جادو، لقد تغير كل شيء في لحظات، أين صلاح؟ ما الذي حدث للباقي؟

يبدو أن رودينا لديها الإجابة، تواصل الأخيرة البكاء، ويجتاح الرعب قلب ناردين.

ثم ينتابها ألم حارق.

- أين هما؟

وجه رودينا شاحب للغاية، جادو يقف وينظر إليهن في صمت.

هنا تدرك ناردين كم الأذى الذي لحق بها..

فور إدراكها لتلك الحقيقة تنتاب ناردين نوبة ألم حارقة في قدمها وعظام ساقها.

تصرخ رودينا، ومن وسط صراخها تسمع ناردين جادو، يقول: يا إلهي، أنا حقًا أحبك.

يصل صلاح إلى القاهرة في نصف ساعة، ينظر إلى انعكاس وجهه في المرآة. يغمغم: عليك الإتيان بجادو وإنقاذهم جميعًا، بمفردك، ستفعلها، فقط فكر، وتصرف بسرعة، الوقت ليس في صالحك، هيا، فكر أيها الأحمق، أين جادو؟ في قصر

سليمان؟ ماذا لو لم يكن هناك؟ الطريق لتلك البلدة اللعينة حيثما يوجد القصر يستغرق ثلاث عشرة ساعة.

لوهلة توقع صلاح ما الذي كانت لتقوله ناردين في تلك اللحظة: آه، ثلاثة عشر، يبدو رقمًا ملائمًا.

يُغلق صلاح عينيه في ألم، قبل أن يزوم ويهتف بغضب: ركن، ستنصب لجادو فخًا في القاهرة عن طريق آينور، وتذهب إلى قصر سليمان، لكن الوقت للعين.

تنهد صلاح، فكر أن يذهب إلى آدم مرة أخرى، لكن كيف سيدخل له المصححة؟ ربما يحاول، كلا، كلا.

هنا أخرج صلاح هاتفه، ودخل على "البروفایل" الخاص بآينور وأرسل إليها الرسالة التالية:

"أعلم أنك تعتقد أن تلك رسالة ممثلة بالهراء، وفي الأغلب يصلك آلاف الرسائل مثلها يوميًا، لكن لو كنت حقيقية، لو لم يكن هناك زيف فيما تفعلينه، لعلك تساعديني في هزيمة جادو، اسمي صلاح، و..."

رمى صلاح الهاتف جانبًا دون أن يكمل الرسالة أو يرسلها، تَبًّا، تَبًّا، تَبًّا. بالطبع ستتجاهله وتعتبره مخبولًا ما. فكر في اقتحام شقتها وإجبارها على مساعدته، لكنها ليست ناردين، كما أنه لا يعرف عنوانها.

استعاد صلاح هاتفه وأرسل الرسالة الآتية لآينور " جادو اختطف عائلتي، أنتِ السبيل الوحيد للمساعدة، لن أذهب للإعلام ولن أبلغ الشرطة، كل ما أريده هو إجراء مكالمة هاتفية معك».

تأفف صلاح ولم يرسل تلك الرسالة أيضًا، أغمض عينيه وهو يفكر، كيف سيقنع آينور أن تساعد له لنصب فخ لجادو؟ تَبًّا لآينور.

ما هي الخيوط الأخرى التي يمتلكها؟ كيف توصل جادو إليهم؟ أين الطفلة سلوى؟ أنور حمدان؟ كيف يتوصل إليه؟ لو كان لا يزال حيًّا. هز صلاح رأسه، لا يوجد أي سبيل أمامه سوى الذهاب إلى قصر سليمان واتباع نصيحة آدم، تلك مراهنة، يذهب ويجد جادو وناردين ورودينا هناك، أو يذهب ويكون أضع الوقت كله، وهو متأكد أن جادو لن يبقوهم أحياء لمدة طويلة.

غمغم صلاح "قصر سليمان إذا، لا يوجد حل آخر"

وأدار مقود السيارة، ثم يتوقف وقد مضت فكرة أخيرة في عقله.

يترجل صلاح أمام محطة مترو المنيب، ويسير إلى الأسفل، بالاتجاه المعاكس حيث محطة الأنفاق المهجورة، ما قاله عامر ورشدي، والأقاويل التي سمعها من قبل، أتت أغلبها من سكان الجيزة، والهرم، والدقي، ويقولون إن أول شاهد تحدّث كان من المرج، ربما تكون خرافات محلية، لكن تلك الخرافات تقوده لمحطة مترو المنيب، هو يتبع خيطًا واهيًا، أملًا زائفًا، لكنها محاولة لن تستغرق وقتًا.

يقف صلاح منتظرًا لحظة قدوم القطار، وانشغال المارة، ويقفز جانبًا يعدو في الممرات المظلمة المجاورة لطريق القطار، وينسل لمحطة الأنفاق القديمة التي كف القطار عن المرور بها وهو يدعو ألا يسمع صراخ امرأة فضولية ما تعتقد أنه يبغى الانتحار، لكنّ أحدًا - والحمد لله- لم يره، مثلما حدث مع جادو، القوم ينظرون في هواتفهم فحسب، يصل إلى فتحة على اليمين مجاورة لغرفة الكهرباء، يدخلها بحرص.

هو الآن في البنية التحتية للأنفاق.

يعدو صلاح وسط الممرات، وبين مجاري الصرف الصحي، وسط عائلات من الفئران، وهو يردد «كن حقيقيًا، كن حقيقيًا، كن حقيقيًا»

يواصل العدو مدة من الوقت، لا يعلم إن كانت طويلة أم

قصيرة، يشعر أنه قد فقد إحساسه بالوقت، يعدو صلاح
وسط الأنفاق القديمة المهجورة، في النهاية يصرخ يأسًا
والدوار يكتنف رأسه، في حين عرقه يتصبب وعيناه تزوغان
لكنه يواصل العدو، يسقط، يقف مترنحًا، ثم يجثو على
ركبتيه، من المستحيل أن يحيا أحد هنا، ولو قطن أحدهم
هنا بالفعل فمن المستحيل أن يكون عاقلًا أو ذا فائدة، يصرخ
بعلو صوته «أين أنت؟ أين أنت؟ سيقتلهم جميعًا».

ثم يقول لنفسه «حسنًا، حسنًا، الحل الأول فشل، الحل
الثاني، سوف أذهب إلى قصر سليمان وأراسل آينور، سأقنعها
بشكل ما، وربما أجد أنور حمدان، ولسوف أفعل هذا في
أقرب وقت، سيبقيهم أحياء، نعم سيبقيهم الوغد المريض
أحياء».

- يبقي من أحياء؟

أتاه الصوت من خلفه، فهب صلاح واقفًا، وهو ينظر إلى
الرجل الذي عض التراب.

الفصل الرابع عشر

هناك رجل يحيا بين الأنفاق، أسفل الأرض، هو رجل غاضب، ويعرف الحقيقة كاملة، حاول أن تتجنب أن تقابله، فهذا الرجل ليس كباقي البشر، إنه الرجل الذي عض التراب.

ينظر إلى صلاح رجل فارع القامة، يبدو كالمشردين، شعر طويل ولحية ضخمة تُخفي وجهه، مثل آدم، لكنه لا يبدو حقًا كالمشردين، كان يمتلك جسدًا رياضيًا ممشوقًا، عريض المنكبين، هذا الرجل يمارس الرياضة باستمرار ولا يبدو من صوته وطريقة حديثه أنه مخبول، بدا أنه مكتئب، وغير مبالي، لكن لا خيال هنا، قد طور من جسده وعقله لاقتناص القتلى.

ينظر صلاح إلى رجل الأنفاق، قبل أن يقول: أنت حقيقي.

- من أنت؟

صوته كان سقيمًا وعميقًا ومرهقًا كصوت رجل رأى كل شيء، أدرك صلاح أنه يقيمه بشكل ما، ليعرف إن كان خطرًا أم لا، مسرعًا يرد صلاح: هناك سفاح، يوشك على ارتكاب شيء بشع، أنا بحاجة لمساعدتك.

لم يَرِ صلاح عيني الرجل، من وسط الظلام، تنهد صلاح قبل أن يصيح: أنا لا أحاول خداعك.

مرت ثوانٍ قبل أن يأتيه صوت الرجل وهو يقول: احك لي كل شيء منذ البداية.

التقطت عينا صلاح قصاصة من جريدة إخبارية بها صورة، والخبر يتحدث عن القاتل الذي كبل الضحية وحرق زوجته أمامه بعد أن جعله يلعب التراب أمامها، إذًا هذا ما تعرض له رجل الأنفاق وحوله لهذا الكيان الحالي، تنهد صلاح.

في خلال خمس دقائق لخص صلاح للرجل كل شيء وهما جالسان، فيما بدا له صلاح أنها غرفة صغيرة، صنعها الرجل لنفسه في الأنفاق المهجورة، هناك ضوء قادم من مصباح، ومرتبة صغيرة، وآلة لصنع القهوة متصلة بالكهرباء القديمة، وشيء ما بدا لصلاح إنها ثلاجة لحفظ الطعام، إذًا هو يحيا حقًا بين الأنفاق، ويمارس رياضته هنا! يعدو هنا بالأسفل! هناك كتب، كلها تحمل عناوين عن التحليل والجريمة وعلم النفس، هو يحاول فهمهم فيما يبدو أيضًا، لقد كرّس حياته بالفعل لاقتناص أمثال جادو، لم يكن هناك فضول داخل صلاح صوب الرجل، بحاجة لتقييم إن كان سيستطيع مساعدته حقًا أم لا.

لاحظ صلاح أنه عندما ذكر آدم تصلب وجه الرجل تمامًا، انتهى صلاح من السرد ثم أضاف: أنا بحاجة إليك، لكي تحاول الوصول لأنور حمدان، وربما جعل آينور تستفز جادو

بشكل ما ليخرج لها، سوف أذهب أنا إلى قصر سليمان، في حين تقوم أنت بالعمل هنا، الوقت ليس في صالحنا تمامًا.

ظل الرجل ينظر إلى صلاح كثيرًا، الحقيقة أن صلاح قد استثنى الجزء الخاص بقراءة الأفكار وقدرة سليم على تغيير الواقع، لم يرد للرجل أن يعتقد أنه مخبول، فقط قال له إنهم كانوا مهتمين بالإيقاع بجادو.

في النهاية تحدث الرجل وهو ينظر إلى عيني صلاح دون أن يطرف له جفن: أنتم حمقى، وقمتم بكل الخطوات الخاطئة، ذهبتم إلى الشيطان لطلب مساعدته! اعتقدتم حقًا أن آدم سوف يساعدكم؟! ألم تسأل نفسك كيف توصل هذا الـ "جادو" إليكم؟ لقد ساعده آدم، وأوشى بكم، لقد كان يعرف معلومات عنكم بالفعل، ولذا لم يكن من الصعب على جادو تعقبكم، اذهب أنت إلى هذا القصر.

- وما الذي ستفعله أنت؟

- سوف أجد أنور حمدان لو كان حيًا، وسوف أقتل جادو.

ثم صمت الرجل قليلاً قبل أن يضيف: كنت أعتقد أن آدم يتعذب في سجنه، لكنه لا يزال قادرًا على الشر، ولذا بعد أن ينتهي الأمر كله، سأقتل آدم أيضًا.

ثم وقف وقال لصلاح: اذهب.

وقف صلاح وهو ينظر إلى الرجل بتردد لثوانٍ قبل أن يقول: ما اسمك؟

- حاتم.

ورحل صلاح بعدها.

جلس حاتم في غرفته أسفل الأرض دقائق بعد رحيل صلاح، وأخرج حافظته، ونظر إلى الصورة بداخلها، صورته مع زوجته يوم زفافهما، لقد كان رجلاً عادياً يومًا ما، يمتلك حياة طبيعية، لشدة ما كان يحبها، ثم أتى آدم، ودمر كل شيء، هؤلاء الذين يؤذون الغير، ويسببون الألم مثل آدم ومثل جادو. وضع حاتم حافظته في جيبه، ووقف أمام قطعة زجاج يستخدمها كمرآة، ونظر إلى حلتة القديمة، وأمسك بالمقص ونظر إلى أعلى؛ لقد حان وقت العودة للعالم الخارجي.

تنطلق عجلات سيارة رشدي وصلاح يقودها بسرعة مخيفة وهو يتبع الخريطة الإلكترونية، بلدة مهجورة وقصر قديم، ما علاقة هذا بجادو؟! ما الذي يحدث هنا حقًا؟!!

يغمغم صلاح للطريق الخالي أمامه والسيارة تمر به
مسرعة: لن تموتي ناردين، لن يقتلك هذا المختل، لن يموت
أحد.

يزيد صلاح من سرعة السيارة، طيلة عمره لم يعرف
مكانه في هذا العالم، لم يعرف لمن ينتمي، كان يحاول
دومًا الاندماج، أن يحيا كالآخرين، ويتظاهر أن كل شيء
على ما يرام، وعندما تركته خطيبته لأنه ممل ولأنها كفت
عن حبه، قال لنفسه " إن كل شيء سيكون على ما يرام
"وحاول التغلب على آلامه، لقد أحبها بصدق، ثم توفيت
أخته، أقرب الناس إليه، بمرض لعين وخبث، وشعر بعدها
أن الحياة تبتسم في وجهه مخبرة إياه إنه سيظل إلى الأبد
لا يعرف مكانه، الوحدة اللعينة التي لم تفارقه قط منذ وفاة
أخته، ثم دخلت ناردين حياته، أو دخل هو حياتها، وتغير
شيء بداخله، لقد كان هناك صديق مقرب له، أصبح ينتمي
بشكل، ومع الوقت أصبحت تُمثّل له العائلة، تُمثّل له المغامرة
والمرح بشكل ما، ربما لو رآته خطيبته السابقة الآن لما اتهمته
بالملل، طيلة عمره كان من النوع الصامت، لكنه كان يتحدث
بأريحية مع ناردين، يكون على طبيعته.

يزيد صلاح من سرعة السيارة أكثر، مخاطرًا بحادثة
مروعة، ويقول: لن يأخذك جادو يا ناردين، لن يأخذك، فقط

اصمدي يا فتاة، أنا قادم.

نكزت الفتاة زميلتها وهن جالسات في «الميكروباص» مشيرة لحاتم الجالس أمامهما، ينظر إلى صورته مع زوجته وهي ترتدي فستان الزفاف، في حين هو يرتدي سترة أنيقة وبتسم محتضناً إياها، وهمست الفتاة لصديقتها: يحب زوجته حقًا، أهنك رجال كهذا لا يزالون موجودين؟

يمد حاتم أصبعه ويحركه على وجه زوجته القابع خلف الشاشة، خمسة أعوام من الزواج، الفتاة التي غيرت حياته، لم يكن يدرك أنه بإمكان الحب أن يكون بتلك القوة قبل أن يقابلها، خمسة أعوام من البهجة الكاملة، قبل أن يأخذها منه من هو مثل جادو، يسلبها منه هذا الرجل في المصحة، الذي ذهب إليه صلاح ورفاقه طلبًا للنصح، آدم.

ينظر حاتم إلى الصورة ويتذكر، انعدام الرغبة في الحياة بعد رحيلها، هذا الشعور الذي ينتاب الكثيرون في نهاية يوم مرهق، المنزل بعيد، الطريق طويل وهم مرهقون، يريد فحسب التخلص من ملابسهم الرسمية والارتقاء فوق الرصيف، دون التفكير بما سيحدث، راحة أبدية، وقد ارتدى حاتم بين الأنفاق ونام كثيرًا، ولم يتركه غضبه قط، يترجل حاتم من «الميكروباص» وينظر إلى هاتفه، الذي كان يشحنه

كل حين وآخر، ليحصل على وسيلة اتصال وبقاقة تصفح تبقية على علم بما يدور في المدينة عند الحاجة، ونظر إلى الرسائل التي أرسلها إليه صلاح.

هنا كل الدلائل التي نمتلكها من "الإنترنت".

يشاهد حاتم مقطع الفيديو الخاص بآينور مرة أخرى وهي تروج لمطعم الشواء، قبل أن يدخل المطعم.

لقد جربوا أصدقاء صلاح طرقهم المتحضرة لمواجهة جادو وفشلوا، لا يفل الحديد سوى الحديد، وكور حاتم قبضتيه.

ينتهي مدير النوبتجية من العمل، ويغير ملابسه قبل أن يخرج من المطعم، هنا يجد حاتم واقفًا أمامه، ينظر إليه الرجل قليلاً، يقول له الأول: مائتا جنية مقابل رقم هاتف تلك «الإنفلونسرز» آينور.

-ها؟

- خمسمائة جنية.

-ارحل أيها المخبول.

يقترب حاتم من الرجل، وسط الزحام، وتتسع عينا المدير عندما يشعر بنصل حاد بين ساقيه، وحاتم يقول: تعتقد أنك في أمان لأننا في الشارع وهناك بشر حولنا؟ لا أحد في مأمن

في هذا العالم المجنون، ربما تستغيث، لكن ثق أنني سأقطعك
وأنت تفعل هذا، أعطني كل ما تعرفه عنها.

- أرجوك.

-أعطني الرقم.

-لا أملكه، لقد كان يتعامل معها مسؤول المبيعات.

ينظر حاتم إلى الرجل الذي يبتلع ريقه، ويقول: حسناً.

ثم يُخرج هاتفه بيد مرتجفة ويتصل بشخص ما، يحاول
تصنع اللطف: آه، حسناً، كيف الحال؟ نعم، نعم، سنتحدث
فيما بعد بهذا الصدد، أنا بحاجة إلى رقم تلك الفتاة، آينور من
صفقة الإعلان.

يقول حسن مزحةً ما عن كون المدير متزوجاً، فيقول
الأخير بتوتر: ها ها، الأمر عاجل، لا ترسل إليّ الرقم، فقط
قوله.

ثم ينظر إلى حاتم ويكرر الرقم بصوت عالٍ.

يتراجع حاتم للخلف مسرعاً، هنا يستعيد المدير عافيته،
ويصيح بغضب: أيها الوغد سوف أسحقك.

ويبدأ القوم في التجمع، في حين المدير يسب ويصيح
ليجمع من حوله بصوت عالٍ دون محاولة الاقتراب من

الغريب ذي السلاح الذي ظل يتراجع للخلف، اقترب أحد المارة من حاتم، ووضع يده على كتفه هاتفاً: ما الذي حدث؟ يلکم حاتم الرجل في وجهه بقوة، فيرتد الأخير للخلف ويسقط أرضاً، كانت لكمة عاتية بحق وشديدة القوة، وكادت أن تفقده الوعي، هنا ينقض بعض الشباب على حاتم وأوسعوه ضرباً لكنه يتخلص منهم أخيراً، بمساعدة المتجمهرين المسؤولين عن فض المشاجرات، وينجح أخيراً في الرحيل.

يبصق حاتم دمًا من فمه أثر لكمة تلقاها وهو جالس فوق رصيف في زفاف خلفي، ويهز رأسه، ليس الأمر سهلاً أبدًا كما في الأفلام، في حياته السابقة كان يرتبك ويتلعثم ويتوتر ويتجنب المشاجرات في خوف، حتى عندما كانوا يعاكسون زوجته وهي معه ويقضي ليالي يؤنب نفسه بعدها لسلبيته، ثم تغير كل شيء بعد عبوره للظلام، بعد أن تحول للرجل الذي عض التراب، بعدما ظهر آدم في حياته وجعله يلحق التراب، بعد اكتشافه للحقيقة.

يتصل حاتم بآينور، لا ترد الفتاة، يتصل مرة أخرى، هي شخص مشهور لن يرد على أرقام غريبة، لكنها تعلم أن هذا ليس رقمًا للعامة، وربما تكون مكالمة عمل ولذا سترد في النهاية، وبالفعل ردت في المرة الثالثة.

كان قد انتظر ساعة قبل إجراء المكالمة، ساعة كافية لكي يتصل المدير بها ويحذرها من الغريب الخطير الذي أخذ رقمها، فتتصل هي بالشرطة بعد أن يصيبها الذعر من كون هذا جادو، هو يعلم جيدًا كيف يتصرف البشر وبإمكانه توقعهم.

يأتيه صوت آينور:

- اسمي هو حاتم، أنا أعلم أن جادو في أثرك، لقد ذهب اليوم وأخذ رقمك بالتهديد من شخص يعرفك، أنا أحاول تحذيرك فحسب.

ثم أنهى المكالمة قبل أن تقول هي شيء، وبعد نصف ساعة أخرى بدأ في إرسال -من رقم آخر- رسائل تهديد لها بتوقيع جادو، وقال لنفسه «ستنصحها الشرطة بعدم الاتصال، لكنها لن تقاوم، ستتصل في خلال ساعتين» يضع حاتم الهاتف في جيبه، ويقف على الرصيف وينظر إلى البناية المقابلة له، حيثما كان يقطن أنور حمدان مع ابنتيه.

يهز حارس البناية رأسه وهو يدس المائتي جنيه التي نقدها إياها حاتم قبل أن يقول: كان رجلًا مسالمًا أنور بيه، وابنتيه بنات ناس حقًا، ليسوا من هؤلاء الفتيات اللاتي

يخرجن مع الصبية ويعودن متأخرات.

يستمر الحارس في حديثه ثم يسأله حاتم عن صديقات
علا أو علياء، فينظر إليه الحارس بشك قبل أن يقول: لماذا
تهتم الصحافة بأصدقائهن؟

- نحن بحاجة إلى التواصل مع المعارف.

يستمر الحديث، ويدرك حاتم أن حارس العقار لا يعرف
شيئًا، كان يتوقع أن يتم طرده واستبداله بآخر بعد الجريمة
لكنه كان في إجازة « للبلد » عند وقوعها عند الجيران
المقربين للعائلة فيفكر الحارس قليلاً، وينظر إليه حاتم بأمل،
لو لم يعطه إجابة؛ فالأمر كله مضيعة للوقت.

- مدام حسنية.

تفتح مدام حسنية الباب وتنظر إلى حاتم بريئة وتساؤل،
امرأة خمسينية تحيي مع أولادها بعد وفاة زوجها، فضولية،
لا بد أن تمتلك معلومة.

يعرّف حاتم نفسه إلى الصحفي وتطلب بطاقته، فيخبرها
أنها ليست معه لتغلق الباب في وجهه ويطرقة مرة أخرى
فيفتحه أحد أبنائها بوجه متحفز، يتكفل بابتسامة يا إلهي

لقد مر وقت طويل منذ أن ابتسم. يشعر كأن وجهه يقاوم
تلك الفعلة غير المعتادة!

- الصحفي حر، على «السوشيال ميديا» ومستعد للدفع
مقابل وقتكم

يزور التردد وجه الفتى ليستقر جوار التحف، ويفلق الباب
قليلاً، يغمغم حاتم: وقت المداولات، يفتح الباب للمرة
الثالثة ويتمنى حاتم أن تكون الأخيرة، وتقول له المرأة
العديد من الأشياء بعد أن يعطي ابنها خمسمائة جنيه، وهو
يفكر أنه لا يمتلك سوى ربعمائة في جيبه.

لقد باع كل شيء قبل نزوحه أسفل الأرض وأمواله
محدودة أسفل الأرض، يشعر كأنه شخصية قادمة من
مجالات الستريس، تتحدث مدام حسنية كثيرًا، يسألها حاتم
عن المكان الذي قد يذهب إليه أنور عن كونه يمتلك مكانًا
آخر، تؤكد له أنه لم يمتلك مكانًا آخر، ثم تتحدث عن الأرواح
التي تقطن الشقة والجلبة التي تسمعها ليلاً، لا إجابة، يتنهد
حاتم ويرحل مغمغماً: مضيعة للوقت.

يُخرج هاتفه، ويبحث على «الفيس بوك» وبعد عناء يصل
لملفات علا وعلياء ويتجاهل التعليقات، الأصدقاء المقربون
الذين يشعرون بحزنٍ حقيقي لن يعلقوا، ليظهروا تعاطفهم،
ربما يبدو ردًا عاطفيًا صامتًا، فيتفحص التفاعل والردود

ويخرج بقائمة من خمس فتيات، يرسل إليهن جميعًا، الشباب بحاجة إلى طريقة مختلفة، الصحفي الذي سيدفع مالًا في الأغلب لن يجدي..

«أنا بحاجة إلى الحديث عن علا».

«أنا بحاجة إلى الحديث عن علياء».

ذلك هو نص الرسالة، يجلس منتظرًا، في مقهى قريب من البناية، تأتيه بعض الردود ويحظره البعض.

وفي الساعات الثلاث المقابلة ينجح حاتم في إقناع فتاتين في مقابله بصعوبة، لن تفيده الأولى بشيء..
الثانية تدعى سارة..

تسير سارة وحدها في الشارع وتعدّل من حجابها تتجاهل تعليق من أحد الشباب، وتقف أمام بنايتها تهم بالصعود ثم تتردد وتقف مكانها، وتنتظر دقيقتين..

ينظر حاتم في ساعته وهو يترجل من سيارة الأجرة مسرعًا، العاشرة، عليه اللحاق بها.. آه ها هي ذي..

تنظر سارة إلى الرجل حليق الوجه ذي الشعر القصير مرتديًا قميصًا أسود، وسروالًا بنفس اللون لم تمسهم مكواة

منذ عقود، يقف حاتم أمامها ويقول: شكرًا لموافقتك على مقابلي.

تنظر إليه سارة بشك وبوجه ضلب، ثم تمد يدها وتقول: أرني.

يعطيها حاتم خبرًا من جريدة قديمة - كثيرًا ما احتفظ به معه - فتطالعه عين الفتاة الخبر يتحدث عن القاتل الذي كبل حاتم، وجعله يلحق التراب وهو يحرق زوجته أمام عينيه، القصة التي تم تصديرها للعامة عن كون آدم القاتل فحسب وزوجة حاتم هي الضحية..

غمغمت سارة: الرجل الذي عض التراب.

ثم رفعت عينها لحاتم مقارنه شكله بصورته في الجريدة، قبل أن تهز رأسها وتقول: قصتك بدت مجنونة، تريد التوصل لجادو لأنك تكره أمثاله وتريد الانتقام لعلا على رغم عدم معرفتك بها، لكنني أصدقك الآن على رغم أن هذا يبدو ضربًا من الخبال، ولكننا نحى في عالم مخبول، فما الذي تريد معرفته؟

- هل كان هناك مكان آخر يمتلكه والد علا، مكان يختبئ به لو كان لا يزال حيًا؟

- بالطبع لا.. شقتهم فحسب.

- لا يوجد شاليه أو عذبة أو شيء من هذا القبيل.

- كلا.

- هل كان هناك أحد في حياة علا أو علياء محل للشك؟

- الصداقات والعلاقات المعتادة فحسب..

ثم توقفت سارة للحظة وبدأ التردد عليها، قبل أن تقول:
هناك فتى.. يُدعى سامر؟! كان على علاقة بعلا وقد صفعها
ذات يوم، كان أمرًا غير متوقع تمامًا، علا كانت شخصية
قوية ومستقلة.

شعر حاتم بالتهديج في صوت سارة، وهي تقول: كانت

الفتاة تأكل شيئًا، لكن الوغد كان ثملًا هي أنهت العلاقة معه
فورًا، وقد هددها عدة مرات بعد ذلك لقد أخبرت الشرطة
بكل هذا.

- معك عنوانه؟

- نعم.

يهز حاتم رأسه.. وترحل سارة بعدما أعطته العنوان.. ثم
تتوقف وتستدير للخلف: لم أعلم أن هناك أناس مثلك.

- ينظر إليها حاتم ولا يرد.

- تضيف الفتاة: هل أنت حقيقي؟

كان هناك سؤال آخر ضمنيًا في عينيها، هل هناك عدالة؟ ونظرت عيناها إلى المدينة قبل أن تستقر على عيني حاتم. قال الأخير: الحياة لا تمتلك منطقتًا، أحدهم يسرق أحدهم، أو يعتدي عليه حوادث لا معنى لها، وعنف، قتل، مشاجرات على أتفه الأسباب تتحول لمعارك دموية في الشوارع، لا يوجد منطق هؤلاء الذين يؤذون الغير.. بالخداع باللا مبالاة والانانية بالعنف أنا رد فعل لهم ولسوف أقضي حياتي أفعل شيئًا واحدًا.



- وهو؟

- سأقتلهم جميعًا.

ارتجفت سارة، وهي تنظر إليه يلتفت راحلاً بعيدًا وسط الزحام..

يركب حاتم «ميكروباص» ويترجّل منه ليصعد على متن حافلة نقل عام ذاهبًا إلى عنوان سامر، ينطلق عقله مفكرًا ومحاولًا استرجاع كل التفاصيل.. الحافلة مزدحمة بشدة هناك رجل أربعيني متين البنية يجلس ويتفقد جسد مراهقة

واقفة، تمر متسولة ابنة الاثني عشر عامًا جواره وسط زحام الحافلة، كلا هي ليست متسولة يفكر حاتم هي تبيع المناديل. تضحك الطفلة لعينين الرجل المحدقتين بجسد المراهقة الواقفة؛ فيحمر وجهه غضبًا ويصفع الطفلة لتسقط أرضًا يعترض البعض بالكلام.

تهدرع المراهقة لتساعد المتسولة على الوقوف وسط ضحكات بعض الشباب الذين اصطدموا بها عمدًا وهي تفعل هذا، في حين اعترض شباب آخرون وحاولوا دفعهم بعيدًا، ثم تراجعوا بعد أن أدركوا أنهم غير مؤهلين للشجار، في الآن ذاته التفت الرجل الأربعيني ليتفقد المراهقة المنحنية، ظل حاتم جالسًا في صمت ورفع هاتفه المحمول ونظر إلى صورة زوجته في الخلفية.

تحتضن المراهقة الطفلة وتصرخ في الرجل: ألا تمتلك قلبًا؟ يتجاهلها الرجل.

تهوى لكمة حاتم فوق أنفه لتكسرهما، يصرخ الرجل في ألم شديد، ويرفع الشاب الذي تحرش بالفتاة حاجبيه وهو يراقب الموقف مع صديقه، لكن حاتم يقترب منهم بسرعة، ويمر جوار الاثنيين. ثم يتجه مسرعًا إلى مخرج الحافلة في حين السائق يوقفها ليطردهم. تنظر المراهقة للرجل

الأربعيني بوجهه الغارق في الدماء وهو يصرخ في ألم، ثم يتعالى صراخ من جانبها، تلفت بسرعة وهي تحتضن بائعة المناديل؛ لتجد أن الشابين إياهما يتألمان بشدة.. يصرخان وينزفان.. فتفهم الفتاة ما فعله حاتم بهما..

وتنظر من النافذة إلى الغريب الذي رحل مبتعدًا بسرعة. يضع حاتم المدينة الملوثة بالدماء في جيبه ويعدو مبتعدًا، لا بد أنهم فهموا ما حدث الآن ولسوف يبحث «أولاد الحلال» عنه..

يتوقف حاتم عن ويجتو فوق ركبتيه وهو يتنفس بسرعة قبل أن يرفع كلتا يديه للسماء ويصيح بغضب ثم يقف، ويسير إلى الأمام وهو يردد: عالم بلا منطق، عالم بلا منطق، عالم مجنون.

يركب حاتم سيارة أجرة عنوانًا طريقه لعنوان سامر..

متى أصبح هكذا؟

يستند حاتم برأسه إلى زجاج النافذة، وتنعكس الشوارع بالمارة على عينيه، لم يكن صلبًا، كان حقًا رجلًا عاديًا يقلق ويتفادى العنف، كان مثل هؤلاء الذي تراههم عيناه، أناس يفكرون في ديونهم وحياتهم وأعبائهم، ثم تحرر هل حرره آدم؟ أم زوجته؟ أم كلاهما؟.. لا يعلم.

لقد تحول لشخص آخر، تعلم الملاكمة وظل يتمرن لم يمرن جسده فحسب، بل عقله أيضًا، قرأ كثيرًا في علم النفس والجريمة ليفهم كيف يفكر هؤلاء الأوغاد وما هي أنواعهم؟

لكن كل تلك التدريبات الجسدية لم تؤهله لما أصبح عليه الآن، لقد ساعدته فحسب.. لقد حوله غضبه، وشعور أنه لا شيء يعني شيئًا، لا يوجد لديه ما يخسره، ذهب التوتر، واعتاد تدفق الأدرينالين داخل جسده، وأصبح صلب الروح وليس الجسد فحسب.

غضبه ولا مبالاته أصبحت قدراته الخاصة.

كان سائق الأجرة يتحدث مع زوجته في الهاتف وينهال عليها بالسباب، واجتاحت طاقة الغضب جسد حاتم وشد قبضته، لكنه تمالك نفسه..

تصل السيارة بحاتم ويترجّل الأخير..

ويدخل البناية:

- إلى أين أنت ذاهب يا أستاذ؟

يقولها حارس العقار حاتم.

- الطابق الرابع أستاذ سامر.

- تفضل.

وفكر حاتم وهو يصعد الأدراج أن لأسباب كتلك قام هذا الرجل الراحل، ما كان اسمه؟

عامر باللجوء إلى حاتم وأمثاله هم قادرون على تحقيق نتائج مختلفة، ليسوا هم، هو، الباقون قد هلكوا دون أي فرصة.. واصل حاتم طريقه لشقة سامر، حبيب علا السابق الذي صفعها.. والمشتبه به رقم واحد.

للحظتنا تلك لم تفهم عائلة سامر ما حدث حقًا وكيف حدث. لقد تحدثوا عن الأمر كثيرًا بعد ذلك مع الشرطة والصحافة، وكتب عنهم في وسائل التواصل الاجتماعي لكن أحدًا لم يفهم حقًا ما حدث.

أخت سامر ترقد فوق فراشها، يرن جرس الباب، يذهب والدها ليفتحه.

هناك صوت جلبه صياح ما.. شيء يسقط.. والدتها تصرخ تستغيث.

تقف الأخت في حالة ذعر داخل الغرفة، تسمع صوت أخيها يسب ويتشاجر صوته متغير وهو يصيح، الرعب يجتاح

جسدها؛ يسقط أخيها غارقًا في دمائه. تصرخ الفتاة وهي ترى والديها مقيدين في الصالة، حاتم يندفع داخل الغرفة كالإعصار يركل سامر في فكه ليحطمه، ثم ينظر إلى الأخت، بينما الجيران يكادون يهشمون باب الشقة إثر استغاثة والدتها، لم يبد لها أن هذا يشئت حاتم الذي قال بصوت هادر لأخيها: هل أنت جادو؟ هل أنت من قتلها؟

يبكي سامر ويهز رأسه في ألم وينظر إليه متفحصًا قبل أن يضيف: هذا سيعلمك ألا تصفع فتاة بعد الآن.

ثم يقف حاتم تنظر إليه الأخت صدرها يعلو ويهبط من الخوف، قبل أن تتمتم وهي تعلم جيدًا ما يفعله أخوها المدلل وهو ثمل: أرجوك اغفر له!

ثم أضافت بعينين دامعتين: ما الفارق بينك وبين جادو إذا؟

لم يجبها حاتم، فقط اتجه نحو الشرفة..

ينكسر باب الشقة ويتدافع الجيران للداخل وتتعالى صيحاتهم وهم يرون أهل البيت المقيدين.

يهرع حاتم إلى الشرفة ويقفز على الماسورة الحديدية التي تفحصها جيدًا قبل دلوفه للبناية.. خطته كانت بسيطة، ينسل على الماسورة للأسفل، لكن لا شيء يسير وفق الخطة

أبدًا، ولا تحدث الأمور ببساطة كما في الأفلام، تنزلق يداه ويسقط، يحتضن الماسورة وهو يسقط مسرعًا للأسفل ثم تتعثر قدماه بها وهو في الطابق الأول، فيسقط للخلف، ويصيح في ألم وهو على الأرض، ألم غير طبيعي في كتفه الذي انخلع، يكتنف الدوار حاتم، لكنه يجبر نفسه على الوقوف، حارس العقار يصيح: ها هو!

ويعدو نحوه، ومن بعيد يأتي أهل البناية.. يقبض حاتم على كتفه في ألم شديد، وهو يدفع بنفسه للأمام عدوًا يجرون خلفه هيا يا رجل سيفتكون بك، يتذكر حاتم عدوه المستمر ساعة يوميًا، تمارين الملاكمة التي لم يتوقف عنها قط.. يقتربون منه.. ألم كتفه يتزايد.. سيعدو بسرعة.. عليه فقط أن يتخلص من الدوار.. أن يعدو بشكل مستقيم.. ساقاه تترنحان من أثر السقطة، يكاد يسقط مرة أخرى.. هم يقتربون بشدة.. يتذكر لحظة سقوطه.. العالم يدور من حوله.. الوقت يمر بسرعة جنونية.. لا توجد جاذبيه هو يسقط، ويرقص وهو يسقط ويضحك ويغني: عالم غير منطقي عالم مجنون.

يهب حاتم واقفًا متجاهلاً ألم كتفه.. تستقر ساقاه ويعدو بكل سرعة..

الجميع يعدو خلفه، يزيد من سرعته أن اعتاد الجري

ساعاتٍ يوميًا وهم لم يعتادوا هذا.

يواصل حاتم العدو يقفز إلى الأمام عدة مرات، ويزيد من سرعته بالحد الأقصى.. المدينة كلها تدور من حوله.. بعض الكلاب تنبح عن خلفه، يلحق به كلب سريع ويعض ساقه.. يقفز حاتم مستديرًا ويركله قبل أن يعاود الجري.. يعدو ويعدو.. الأنوار تدور من حوله.. العرق يتصبب.. الناس ينظرون إليه بتعجب.

بعد نصف ساعة يتوقف حاتم ويستند إلى حافة سيارة شاغرة.. يأخذ نفسًا عميقًا قبل أن يلتفت حوله.. لقد تخلص منهم.

هنا يضحك حاتم، يضحك بلا توقف ويتأوه من كتفه في الآن ذاته، ثم ينظر إلى الدماء القادمة من ساقه إثر عضه الكلب، ويواصل الضحك ويروع الآمنين يحيا أسفل الأرض يبحث عن قاتل، يضحك وهو يتذكر نفسه في الكلية يخطط لمستقبله، ويسقط أرضًا من الضحك ويتجمع بعض الناس من حوله، كان أحدهم يحاول تبين هل يبكي هذا الرجل وهو يضحك في نفس الوقت.

يستند حاتم إلى حائط، ويمسك كتفه الساعة الحادية

عشرة والنصف، وهو لم يصل إلى شيء مفيد بعد، يُغمض عينيه مفكرًا ثم يفتحهما مرة أخرى، كان يسترجع أحاديث حارس العقار ومدام سميحة وسارة، وتذكر ما قالت مدام سميحة عن الأرواح والجلبة في شقة أنور ليلاً.

غمغم حاتم: أنور حمدان لم يمتلك مكانًا آخر وتلك الشقة ملكه وليست إيجارًا، لا أقارب له، ولم يحدد الحي كيف سيتصرف في الشقة بعد، تبًا!

أحيانًا يكون أعقد الحلول هو أبسطها.

يعود حاتم إلى البناية التي عاشت بها علا وعلياء مع والدهما.. ينسل ليلاً دون أن يراه أحد، يقف أمام باب الشقة يتلفت حوله متمنيًا ألا تكون مدام سميحة مستيقظة، وتنظر من العين السحرية يخرج المدينة، ويعالج قفل الباب في هدوء وهو يتمتم: لا شيء بسيط كما في الأفلام أمام سميحة، أو سيخرج أحد الجيران الفضولين، لم ير أحد منهم جادو وهو ينسل إلى الشقة لكن كلهم سيرونك الآن.

ينفتح الباب.. يدخل حاتم الشقة ويغلق الباب خلفه بهدوء..
يرن هاتفه المحمول، أينور..

يضع الهاتف على أذنه يأتيه صوتها المتردد: كيف أعلم أنك لست جادو؟ وتلك خدعة ما؟

- أنا لست جادو لكني على وشك الوصول إليه لنتقابل غدًا في أي مكان عام تحددينه.. أعلم أنك اتصلت بالشرطة، كان يتحدث وعيناه ترتكزان أمامه، يتابع حاتم: لو أحضرتهم معك غدًا سأختفي تمامًا، اختاري مكانًا تشعرين فيه بالاطمئنان، نحن دومًا بأمان في الأماكن العامة.

- وما الذي تعرضه عليّ؟

- أن تكوني أول شخص في مصر يكشف عن هوية جادو. تصمت أينور..

والآن سأنهي المكالمة أرسلني إليّ رسالة نصية بالمكان والعنوان، ولا تطلبي من الشرطة تقفي رقم الهاتف، هذا الرقم ليس باسمي.

يُنهي حاتم المكالمة يظل واقفًا ناظرًا أمامه، قبل أن يقول للرجل داخل الشقة الجالس فوق مقعد متحرك: أنور حمدان لقد بحثت عنك كثيرًا.

الفصل الخامس عشر

ينظر أنور إلى الجريدة الورقية قبل أن يهز رأسه ويعيدها إلى حاتم، وظل صامتًا دون أن ينطق بحرف حاتم أيضًا جلس في صمت وهو ينظر إلى أنور. لعشر دقائق كاملة ظل كلُّ منهم صامتًا ينظر إلى الآخر..

لقد قرأ حاتم مذكرات جادو التي تسربت على يد أنور.. كم الألم والمهانة التي تعرض لها أنور والعجز الذي شعر به بعد مقتل ابنتيه أمامه، والتعذيب الجسدي الذي تعرض له على يد جادو والنفسي، لقد تحول الطبيب النفسي الناجح لرجل قعيد كئيب منزوٍ عن الحياة يُحتَضِر في صمت وألم، هو -حاتم- يعرف جيدًا ما يشعر به أنور؛ لذا أراه قصاصة الجريدة الورقة في صمت؛ لكي يعرف أنور أن حاتم يفهم الجنون اللا منطق والألم الذي يسري بداخله..

ويفهم حاتم أيضًا لماذا لم ينتحر أنور، لأن شيئًا ما بداخله يبقيه حيًّا ما دام جادو لا يزال حيًّا لقد ارتبط الاثنان بعضهم ببعض إلى الأبد.. أنور وجادو.. مثلما ارتبط حاتم بآدم بشكل ما.. يتحدث حاتم ببطء: سوف أجد جادو..

يظل أنور محتفظًا بصمته فيردف حاتم: ما سأقوله لك الآن لم أقله لأحد من قبل، ولكنني كنت مثلك يومًا، وفقدت كل

شيء بسبب شخص شبيه بجادو، أحيانًا يمر البعض بحادثة تفقدهم كل شيء فيلومون الحياة، ولكن عندما يتسبب شخص في فقدانك كل شيء، عندما يوجد شخص نلومه حقًا ونستطيع توجه له طاقة الغضب، يختلف الأمر اليس كذلك؟

يصبح لدينا هدف ويصبح الانتقام حلًا جميلًا ونعتقد أنه مريح.. لقد أخذ جادو.

يأخذ حاتم نفسًا ثم يكمل: البهجة منك.. لكنك ما زلت قادرًا على الانتقام، حقيقة أنه لن يغير من شيء، ستظل غاضبًا.. لكن ستفعل شيئًا ما، هذا أفضل من فعل اللا شيء، للحقيقة تمن باهظ، للمعرفة، وأنت قد عرفت، وفهمت، أن الحياة بإمكانها أن تكون شديدة القسوة والظلام.. ساعدني كي أصل إلى جادو، هو يحتفظ بضحايا آخرين يوشك على الفتك بهم، أنا بحاجة إلى مواصفاته، ولمواصفات بيته، أنا بحاجة إلى معرفة كيف يبدو، وكيف يفكر وكيف يتحرك، أنا بحاجة إلى معرفة كل شيء.. ساعدني كي نسحق هذا الوغد.. أنت تعرضت لأمر مظلم.. العنف دومًا ابن الظلام.. هذا فعل ينتمي إلى العالم السفلي.. عالم الظلام.. حيث لا يوجد منطق.. حيث يسود الألم والجنون.

ثم يضيف حاتم ما قاله له أحدهم يومًا ما: المذلة أمر قوي،

ولكي تصل إليه عليك أن تكون حذرًا، عليك التخلص من ألمك
والتركيز على غضبك..

ينتهي حاتم من الكلام، وينظر في صمت إلى أنور حمدان..
منتظرًا الأخير أن يتحدث..

الشقة كانت مظلمة، وكان جادو ترك بها جزءًا من شخصيته
بعد زيارته، يدير أنور المقعد المتحرك ويتحدث بصوت
واهن: أحيانًا في وقت متأخر من الليل أسمع صوته وهو
يضحك الشيء الذي أخذ علا.. الذي سلبنى علياء.. وطيلة
اليوم أسمع ضحكاتهن، ذكرياتي مع ابنتي، تلاحقني أينما
كنت، أتعلم هذا الشعور؟ أن تقتلك ذكرياتك..

يصمت حاتم ويكمل أنور: لقد فشلت في إنقاذهن.. وقد
كانت مسؤوليتي هي حمايتهن.. لقد زحفت فجرًا في
الشارع الخالي، أنا أوقن أنني أحتضر، كنت أرحب بالموت، لا
يوجد سبب يبقيني حيًا، لكنني لم أمت، وجدت نفسي أحيًا
في الأزقة مع المتشردين، لقد رحبوا بي كأني واحد منهم
وأطعموني، قاسية الحياة، لكنهم لم يكونوا قساة، أو ربما
مرأى حالي أخبرهم أنه لا نفع مني ولا ضرر، بعد أيام عدت
إلى الشقة ليلاً، بعدما طلبت منهم العون فحملوني

وتركوني على الرصيف، كنت -صدق أو لا تصدق- ما زلت أملك المفاتيح، زحفت إلى المصعد، وعدت إلى بيتي، كانت الشرطة قد انتهت من المعاينة، ولم يعد هناك أحد، هذا المقعد..

يشير أنور حيث يجلس ويتابع: كان ينتمي لزوجتي رحمها الله، كانت تجلس عليه في آخر أيامها..

ينظر حاتم إلى أنور وهو يتحدث، مدركاً أن الأخير يتجنب الحديث عن جادو، ويسرد باقي التفاصيل، يواصل أنور: أرسلت رسالتي إلى الشرطة، وظلت هنا.. ومرة الأيام بطيئة وأليمة، انتظر لحظة الموت في صمت مرحباً به..

ثم تنهد أنور، كانت تنهيدة طويلة وعميقة، كأنه على خشبة المسرح، وشعر حاتم بكل أوجاعه في تلك اللحظة، يردف أنور: أنا لم أقرأ الأوراق التي سرقتها منه، لم أستطع، تقول إنها مذكراته وإنك قرأتها وإنه وصف كل شيء، هل وصف سعادته وهو يعذب ويقتل بناتي؟

هل تحدث عن رقصته وهو يقيدني ويهمس في أذني تفاصيل ما فعله بهن.. هذا الرجل شريبر.. وقاس.. غليظ القلب..

يبكي أنور.. ويقترب منه حاتم في تردد، ومن وسط بكائه

تخرج كلمات متناثرة منه حاول حاتم أن يرتبها ويفهمها: أنت تفهم معنى أن يلتهمك الظلام.

يومئ حاتم برأسه ولا يقوى على الرد.. هنا يكرر أنور وهو يبكي: لقد أحببتهن، علا وعلياء، كانوا كل شيء بالنسبة إليّ، كانوا الحياة كلها.. لقد عذبهن قبل أن يقتلهن.. لقد أخذ حياتي..

يقول أنور الجملة الأخيرة وهو يلوح بغضب فيسقط بالمقعد أرضًا، يهرع حاتم إليه ويساعده على الاعتدال، يحاول أن يحمله لكن آلاف كتفه تمنعه، في حين أنور يئن بالألم، وبدا للحظة أنهم قد احتضن بعضهم بعضًا والألم ثالثهم، يعيد حاتم أنور إلى المقعد هو يحاول التغلب على إصاباته، يمسح أنور دموعه ويقول شيئًا لم يسمعه حاتم، لأن الأخير يسقط أرضًا فاقد الوعي بوجه شاحب..

بعد ساعتين يفيق حاتم وجواره أنور، يجد نفسه مستلقيًا فوق فراش في غرفة نوم، وهناك حمالة كتف يرتديها، وضامادات حول ساقه حيث عضه الكلب، يقول أنور بتركيز: مرحبًا.. لم تقل لي إنك تعرضت لكل تلك الإصابات قبل مجيئك، لا تنس أنني طبيب، حقيقي أنني طبيب نفسي، لكنني ما زلت طبيبًا.. لقد ضمدت جراح ساقك وطهرت جراحك، وأعطيتك المصل الخاص بالعضة، علا كانت تخاف الكلاب

وأصرت على أن نحضر هذا المصل، بإمكانك القول إن ابنتي أنقذتك.

يبتسم أنور وهو يتحدث فيبادله حاتم ابتسامة صامتة:

- أما كتفك فلقد خُلعت تمامًا، لقد أعدته مكانه لكنك بحاجة إلى أن تظل مرتديًا تلك الحمالة، لقد أعطيتك مسكنات للألم، وأعددت لك طعامًا ساخنًا، أنت بحاجة إلى أن تأكل وتنام قليلًا..

- لقد جئت أنا هنا لمساعدتك وليس العكس.

- أنت سوف تساعدني.

ينظر حاتم إلى أنور متسائلًا فيجيبه الأخير: سوف آتي معك، وسوف أقتله معك..

لوهلة يريد حاتم أن يرفض، هو يعمل وحيدًا، يحيا وحيدًا، لم يكن مستعدًا لرفقة، كما أن الرجل قعيد، ثم أدرك أن الرفض ليس من حقه، ليس بعد ما مر به أنور، ما قرأه في المذكرات، وهناك شيء آخر لم يفت على حاتم.. حقيقة أن أنور قد اعتنى به قد ساعدت بشكل ما في تغيير الحالة النفسية للرجل، لم تحسنها لكنها غيرتها.. وهو يعلم أن أنور كان ينوي الانتحار على رغم أنه لم يقدر على تلك الفعلة حتى الآن..

- حسنًا.. سوف تأتي معه.. ونقتله معًا.

- اتفقنا.

يمد أنور يده، ويشد حاتم عليها..

- والآن صفه لي.

- خذ هذا الدواء أولاً وانتظر كي أحضر لك الطعام..

يدير أنور المقعد ويخرج من الغرفة، يلتفت حاتم يمينًا، وينظر إلى صورة في إطار بجوار الفراش بها علا وعلياء.. يتنهد وينظر إلى السقف.. يعود أنور حاملاً صينية طعام فوق ركبتيه ويدير عجلات المقعد إلى الأمام..

يلوك حاتم الطعام ببطء، وأنور يقول: هو شاب في أواخر العشرينيات، شديد النحافة، متوسط الطول، لم أر وجهه، لقد كان يرتدي.. آه.. في البدء اعتقدت أنه قناع قبل أن أدرك أنه كان يرتدي..

يتمتم حاتم: فهمت.

- ولكن رغماً عن هذا أنا قادر على تمييزه فور أن أراه..

انتظرا!

يختفي أنور ثم يعود حاملاً ورقة ويعطيها لحاتم، قائلاً: لقد

ينظر حاتم إلى الرسمة، وصوت أنور في الخلفية يواصل:
لقد اعتدت دومًا الرسم وأنا طفل.. يسأله حاتم: أنت متأكد
من كونه رجلًا وليس امرأة؟

يظهر القليل من التردد على وجه أنور، ويصمت قليلًا، ثم
يقول: تقصد امرأة متنكرة؟ ك.. كلا..

يحدق حاتم باللامح إلى هذا الوجه الشيطاني ثم ينحّي
الورقة جانبًا، ويقول لأنور: أنت طبيب نفسي؟.. هل الطفلة
سلوى على قيد الحياة؟

- تريد مني تحليل شخصية هذا الشيطان؟

- أريد استخدام كل الموارد المتاحة.

يقول أنور بازدراء ومقت:

- هذا المسخ يحب فعل ما هو غير متوقع، يحب الدراما..
قتل الركاب.. مجزرة الإنفاق.. والرّضع.. هو لن يتورع عن
قتل أي شيء في طريقه، أعتقد أنه قد قتل بالفعل تلك
الكاتبة وممثلة المسرح الذي حدثتني عنهن.. لكني أعتقد أنه
سيُبقَى سلوى حية، وسيُعذبها طويلًا، وأعتقد أنه سيسجل
هذا فيديو، لأنه مولع بـ «السوشيل ميديا» والشهرة..

- ما الذي تريد قوله؟

- ألم تفهم بعد؟.. جادو ليس سوى «إنفلونسرز» متطرف.. هو يريد أن يصبح مشهورًا ويحصل على أكبر قدر من المتابعين، دون الاهتمام أو اللامبالاة لأي شيء سوى نفسه، جادو نرجسي.. لا يرى سوى نفسه، السؤال الأهم هو لماذا اختار هذا الاسم لنفسه، جادو؟.. هل هناك سبب؟ جاد في اللغة تعني الخيل السريع، هل هذا مقصده؟ أم أنه يذهب إلى الفارسية القديمة، الجدي ذو القرون.. أعتقد أنه تعرض لطفولة سيئة، اضطهاد وتنمر من قبل والده، أعتقد أنه قتل والده، ليحمي نفسه ووالدته من بطش أبيه، تلك نظرية ليس أكثر، معتمدة على حقيقة أن الفتى قاتل، وأن الضحية الأولى في الأغلب ستكون شخصًا يعرفه.

- أنت تتحدث عن منطق القتلة المتسلسلين وجادو لا يتبعه، ومن ثمّ ليس بالضرورة حتمية وجود معرفة شخصية بالضحية الأولى.

- تلك نظرية أخرى، لكن الغالب أنه سيقوم بما هو غير متوقع، سيُبقِي سلوى حية، وفي آخر مكان نتوقع، ليشعر السلطات بمدى ضعفهم وقلة حيلتهم أمامه..

- آخر مكان نتوقعه.

رددها حاتم وهو يفكر، مسترجعًا التفاصيل التي قرأها من رسائل صلاح، قبل أن يهب واقفًا ليجلس في ألم إثر اعتراض جسده وهو يهتف: أعتقد أنني أعلم أين هي..

أمي.. أبي..

تبكي سلوى، وتحاول التحرك بعيدًا عن الجثة النائمة جوارها، لكن الكفن يعيق حركتها، هناك طبق من الطعام وزجاجة مياه بجوارها، أما عن قضاء الحاجة فكان حيثما كانت، لقد قيدها بشكل يسمح لها بتناول الطعام فحسب، لكن لا مجال للحركة، تلك ليلتها الرابعة في المقبرة، وهناك عدسة كاميرا تدور بيث مباشر بدأ منذ ساعة..

تجلس آينور أمام الحاسوب وهي تشاهد الضجة الحادثة وسط المواقع، والتلفاز يذيع ذات الخبر في نفس الآونة..

تلتقط هاتفها وتتصل بأحد.. هذا هو المقدم يوسف، أحد الضباط المسؤولين عن قضية جادو تحت إدارة عقيد شرطة ولواء جيش بعدما استعانت الشرطة بالجيش في الأمر لتكثيف الجهود؛ من أجل الإيقاع بجادو الذي تحول ملفه من قاتل لإرهابي يرؤع الأمن العام- وكانت آينور تعلم جيدًا أن

يوسف معجب بها، قال لها: هل رأيت الخبر؟

- نعم.

- الوغد يبت بثًا مباشرًا للطفلة سلوى، أنت لا تتخيلين كم الاجتماعات اليومية من كل أجهزة الأمن للإيقاع به، الأمن الوطني لم يفلح بعد في تعقب الإرسال.

- هو يبتثه من موقع أجنبي، هذا ما أراه أمامي، لقد اشترى حساب على الموقع ويبت من هناك، لا شرطة الإنترنت ولا الأمن سيستطيعون التعقب دون تصريح من الموقع.

- وهذا سيتسغرق وقتًا.

- يا إلهي ستموت الطفلة يا يوسف!

- كلا كلا.. اهدئي.

كان يطمئنها وليس الطفلة، فكرت آينور، وتابع يوسف: كل موقع، كل إعلامي، كل رجل شارع، يشاهدون الفيديو، لقد عاد جادو مرة أخرى، لقد عاد الذعر من جديد.. هناك فريق تحليل كامل يحاولون تحليل المقطع، تفاصيل الغرفة غير واضحة، كل ما نراه هو ما يراه الجميع، الطفلة تنزف وهي نائمة داخل كفن في حزن جثة متحللة.. نحن نحاول الوصول إليه.

لم تعلم آينور لماذا يعطيها يوسف كل تلك المعلومات..
الضابط الشاب معجب بها بحق، ويتباهى دون داعٍ بشكل
تقليدي متناسيًا حقيقة أنه متزوج، تقول آينور: أرجوك يا
يوسف أنقذها..

تُنهى آينور المكالمة، وتواصل النظر إلى الحاسوب..
ثم يرن هاتفها مرة أخرى.

يقود حاتم سيارة أنور مسرعًا، والأخير يجلس جواره،
يتمتم حاتم: لقد قتل الغفير وزوجته في المقابر.. لن يتوقع
أحد أنه احتفظ بسلوى، هناك

يرن هاتف حاتم، ينظر إلى الشاشة ويجيب صلاح، يقول له
الأخير: هل رأيت مقطع الفيديو؟ إنه يبث بث مباشر لسلوى.

- سأفقده.. هذا يفسر حالة الذعر في الشوارع.

- هذا يعني أنه في القاهرة أليس كذلك؟

- لا شيء واضح بعد يا صلاح، ألم تصل إلى البلدة بعد؟

- ما زلت في الطريق اللعين.

- حسنا، قل لي ما الذي يوجد عندك عندما تصل؟

- هل توصلت إلى جديد؟

ينظر حاتم إلى أنور، ثم يقول لصلاح: سوف أحدثك مرة أخرى وأعلمك.

ينهي حاتم المكالمة، ويزيد من سرعة السيارة، يقول أنور: أتمنى أن يجد صلاح هذا أصدقاءه.. يصمت حاتم..

- الحكاية معقدة للغاية أليس كذلك؟

- ما الذي تقصده؟

- ما علاقة قصر سليمان هذا بجادو؟

يتنهد حاتم ويقول: لا أعرف.

هنا يضحك أنور فجأة، ينظر إليه حاتم بتعجب، فيقول الأخير: سامحني، فقط تذكرت صرخة سميحة عندما خرجنا من الشقة ورأتني..

- من الجيد أنك جعلتها تقسم إنها لن تخبر أحدًا برؤيتك.

- تلك الشمطاء الفضولية مثال للجارة الثرثارة، ستخبر الجميع.

- رائع.

تشهق سلوى.. وعدسة الكاميرا تدور..

مشاهدات الفيديو تتعدى المليون..

يتصل حاتم بأينور، ويقول لها: إنه أنا.. سنغير الميعاد
سنتقابل الآن.

- ماذا؟

- افتحي الفيديو.

تتحول المكالمة من صوتية إلى فيديو، وتنظر آينور إلى
وجه حاتم من خلف عجلة القيادة، يقول الأخير: أنتِ بحاجة
إلى أن تثقي بي.. أنا لست مختلاً ولست جادو، خطتي
بسيطة، أريد منك استفزاز جادو واستخدامه كطعم، أنتِ
بدأتِ في فعل هذا بالفعل عندما تحديته على «السوشيال
ميديا».. أريد منك إكمال ما بدأتِ..

- كلامك غير منطقي و..

- اصمتي.

- أنا غير مضطرة إلى الاستماع لوقاحتك تلك ويدير حاتم الهاتف، وتشهق آينور وهي ترى وجه أنور حمدان، الذي نظر إلى الشاشة قليلاً قبل أن يقول: مرحبًا.

يعيد حاتم الهاتف للمكالمة الصوتية، ويقول: أنور حمدان لا يزال حيًا، وأنا في طريقي إلى سلوى، أنا أعرف أين هي.. أريد منك أن تقابليني هناك، أريدك أن تدخلني أنتِ أمام عدسة الكاميرا وتنقذينيها، أمام الجميع، وسنقول إنك أنت من وجدتِ أنور، هذا ما تريدينه أليس كذلك؟ أنتِ تكونين البطلة أمام الجميع.. سأقدم لك هذا..

- ولماذا لا تستفزه أنت؟

- لأنك طعم، وأنا عنصر المفاجأة بالنسبة إليه.

تصمت آينور قليلاً، ويبدو الاقتناع عليها قبل أن تقول:
أعطني العنوان

ينهي حاتم المكالمة، ويقول له أنور: أنت تراهن عليها.

تلك الفتاة ارتدت فستان زفاف مثير، وسارت به وحيدة في قلب المدينة، ستأتي.

بعد أربعين دقيقة..

المقابر..

يزفر يوسف في ضيق قبل أن يهتف في السيارة، وهو يجلس جوار آينور: أنا شرطي، هناك قواعد، سألقن هذا الرجل درسًا.

- يوسف، لو كان محققًا، ونجحنا في إنقاذ سلوى، سأصبح بطلاً، وأنت كذلك، ولو كان كاذبًا لقنه درسك..

ينظر إليها يوسف، كانت تعلم جيدًا أنه سيسمع كلامها، تقترب منهم سيارة، ينظر إليها الاثنان في ترقب ويتحسس يوسف سلاحه، يترجل حاتم من السيارة.. وكذلك تفعل آينور، وينظر كلٌّ منهم إلى الآخر، قبل أن يقول حاتم: من هذا؟

- من أنت أيها الصعلوك؟ أرني بطاقتك!

يقولها يوسف وهو يستل سلاحه ويصوبه لحاتم، يغمغم حاتم لآينور: لم يكن هذا اتفاقنا.

- أنا أتوخى الحذر فحسب.

يتنهد حاتم قبل أن يقول ليوسف: بطاقتي ليست معي، لكن أنور حمدان يجلس في تلك السيارة، وسلوى هنا.. علينا البحث عن شاهد قبر نشب حديثًا، الأرض لن تكون مجمدة

بل رطبة وطينية، وسيكون هناك سم كلاب لإبقائهم بعيدًا
كي لا ينبشوا سلك الإشارة والتصوير.. علينا تتبع جثث
الكلاب لنصل إليها.

- أنت تعتقد أنك ذكي وبارع حقًا.. ربما أنت جادو وتخدعنا.
- أنا ذكي وبارع فعلاً.. لو كنت أنا جادو فهل سيتأمر أنور
حمدان معي؟

يحمر وجه يوسف غضبًا، وترفع آينور حاجبيها مفكرة..
قبل أن تقول هامسة: لنبحث معهم يا يوسف..

يذهبون للبحث، ويقول أنور لآينور: هلا ساعدتني في
إخراج المقعد من صندوق السيارة؟

- بالطبع.

بعد ربع ساعة يصلون لشاهد قبر نبش حديثًا حوله جثث
كلبين وجرو، يحمل حاتم ويوسف الشاهد، خلفهم أنور في
مقعده..

يهم يوسف بالنزول فيقول حاتم: كلا..

ثم ينظر إلى آينور ويقول: لو نزل هو، ستلتقطه الكاميرا،
نحن بحاجة لأن تكوني أنتِ البطلة.

- لن نستخدمها كطعم يا رجل، ستقضي ليلتك في الزنزانة.

قاوم حاتم رغبة في تحطيم عنق يوسف، وظل ينظر إلى
آينور التي قالت وصدورها يعلو ويهبط من الحماس: سوف
أنزل وحدي يا يوسف..
أوما لها حاتم برأسه..

كانوا عشرات جالسين في المقهى الذي قام صاحبه
بتوصيل «الإنترنت» بالشاشة، وكانوا جميعًا جالسين
يشاهدون البث لسلوى، كأنه مباراة القدم الأهم، فجأة ظهرت
آينور وهي تدخل المقبرة، وتُهرع لتفك الكفن وتحتضن
سلوى، وهلل القوم بحماسة وسعادة لا توصف، وهم يرون
الفتاة تدخل المشهد كرمز النور والبطولة، كملاك قادم من
السماء..

جزء من مقطع فيديو لأحد الإعلاميين:

أنقذت آينور سلوى، بعقلها التحليلي وذكائها المفرط،
واستطاعت تخمين مكان سلوى من نمط شخصية جادو،
وفجرت المفاجأة التالية، عندما قامت في اليوم التالي ببث
مباشر لتعلن أن أنور حمدان لا يزال حيًا، وأنه سيساعدها في

الإيقاع بجادو.. ووعدتنا أنها ستجري معه -أنور حمدان- لقاء
بعد ساعة من الآن.

حاول حاتم الاتصال بصلاح مرة أخرى لكن هاتف الأخير
كان مغلقًا.. نظر إلى أنور، كان هناك الكثير من الاعتراض في
وجه الأخير، قال له حاتم: اعلم أن كل جارحة بداخلك ترفض
فكرة اللقاء الإعلامي مع آينور عما حدث، لكن عليك أن تثق
بخطتي.

بامتعاض يهتف أنور: تريد مني أن أكون كهؤلاء الزائفين،
وأحدث عن مأساتي أمام الكاميرا طلبًا للشهرة؟
- كلا.. أريد منك القصص من جادو.

يصمت أنور، ويحتفظ بتعبير الاعتراض الغاضب..

جزء من اللقاء بين آينور وأنور..

آينور كانت ترتدي فستان أسود قصير يكشف عن كتفيها
ساقبها الرائعتين.. ولمعت رقبتها الطويلة، وقد عقصت
شعرها للخلف بشكل جذاب..

- أستاذ أنور.. لا أعلم ما يجب قوله لك.. حمدًا لله أنك

بأمان.. وأجارك الله في مصيبتك.. هلا وصفت لنا ما حدث؟

«يبدو لحاتم وهو يشاهد الفيديو أن أنور يقاوم رغبة في تحطيم رأسها، يبتسم حاتم ويقول لأنور: فقط كن زائفاً تلك المرة يا صديقي.

يقول أنور بشرود مصطنع «طبقاً لما طلبه منه حاتم»: الأمر كان عسيراً، هذا السفاح مختل حقيقي، لكنني نجوت منه، وأريد أن أقول لكم ألا تخافوا، هو خائف، وجبان، ونهايته قريبة.

يستمر اللقاء.

يهز حاتم رأسه ويغمغم: لقد فعلت ما أردته يا صلاح، آينور أصبحت الطعم وتعمل معنا، وأنور حمدان خرج للنور، لقد استفزنا جادو وعرقنا خططه.. وأفسدنا كل شيء بالنسبة إليه، الخطوة القادمة خطوة جادو.. أين أنت يا رجل؟ هل وصلت إلى هذا القصر؟

يتنهد حاتم ويحاول الاتصال بصلاح مرة أخرى دون فائدة..

كان يجلس في شقة آينور-على رغم اعتراض يوسف الذي

كان ينتظر معه- في حين الأخيرة تجري اللقاء في شرفتها مع أنور..

كان الأمر يثير امتعاض يوسف بالكامل، حمدًا لله أن زوجته ليست مثل آينور، وأنها تحترم العادات والتقاليد، ليست مستقلة وعنيدة، بالطريقة التي أصرت بها آينور على إجراء اللقاء في منزلها.. ينتهي اللقاء وتعود آينور وهي تدفع أنور أمامها، يذهب غضب يوسف عندما يتذكر كم هي فاتنة، تجلس آينور، وتنظر إلى حاتم، وفي عينيها تساؤل: من أنت حقًا؟

لكنها قالت: ما هي الخطوة التالية؟

قال يوسف بتلقائية: ننتظر كي يأتيك هذا السفاح ونفتك به، شهادة الطفلة لم تسفر عن شيء بعد، وستذهب إلى الحياة مع أقاربها قريبًا، لكنني أتمنى أن تفيدنا بشيء.

هز حاتم رأسه مضيئًا: لن يأتي.. جادو يحب الأماكن العامة، الأنفاق، المستشفى، المقابر، آينور بالنسبة إليه عمل درامي وليست جريمة شهوة، لن يفضل اقتحام منزلها، عليك بالإعلان عن حدث ما.. تجمع.. خطبة ستعطيها.. شيء من هذا القبيل، واجعليه يوم الجمعة، سيحب هو يوم الجمعة، فكرة إرعاب الناس في يوم الإجازة ستعجبه، واجعلي الحدث ليلاً، شيء يتحمس له الناس، وسيسعى هو لإفساده

كما أفسدت خطته.

كانت آينور تهز رأسها وحاتم، ثم قالت: خطة رائعة.

احتقن وجه يوسف وهم بالاعتراض.. إلا أن آينور سارعت بالقول: سأقيم حفل عزاء خيري بمكان مفتوح في التجمع، حديقة تمثل الطبيعة، وسيكون هناك تصوير لتوثيق لحظة القبض..

لمعت عيناها، وبدا الاهتمام على وجه يوسف، سيفيده هذا، القبض على جادو في العلن..

قال أنور لحاتم:

- أنا بحاجة إلى الحديث معك.

ثم نظر إلى آينور فأشارت للشرفة، ذهب كل من حاتم وأنور إلى الشرفة، وسمع حاتم يوسف وهو يهتف بغضب: دعيني أخذه اشتباهاً وأتحقق من هويته على الأقل..

هز حاتم رأسه، وفي الشرفة قال له أنور: يوسف مصدر خطر بالنسبة إليك.

- أعلم.

هنا نظر حاتم إلى أنور، وقال: هناك شيء أخير أنا بحاجة إلى فعله.. قبل حدث يوم الجمعة.. شيء يجب أن تحقق

منه.. وأريدك أن تنتظر هنا مع آينور لحين أعود.. حيث توجد
حراسة الشرطة.

- وما هو؟

- لقد حذر آدم جادو، وأرسله في إثر ناردين ورودينا وسليم
وصلاح.. وصلاح قد اختفى.. ويوم الجمعة بعيد، أنا بحاجة
إلى المحاولة لإنقاذ ناردين ورودينا على الأقل..

- ما الذي تنوي فعله؟

التفت حاتم ونظر إلى يوسف في الخارج، غير مصدق أنه
سيطلب خدمة منه، ويفكر في كيفية إقناعه، قبل أن يرد
على أنور: سأقابل آدم..

الفصل السادس عشر

لقد التهمت بهجتك..

المكان: مصحة الأفق النفسية.

الزمان: الثامنة مساءً.

أوقف يوسف السيارة، بدا له أنه أكثر عقلانية وأقل عدوانية وهو بعيد عن آينور، تحدث مع أي فتى أو رجل أمام امرأة أو فتاة.. وجرب بعدها أنت تتحدث معه وهو بمفرده ولسوف تجد أنك كنت تتحدث مع شخصيتين مختلفتين تمامًا.. حب التباهي.. دخل الاثنان المصحة، ورحب بهم د. أردن.. بعدما رأى هوية يوسف وقال بحماس: أي شيء سيفيد في الإيقاع بجادو طبعًا.. طبعًا.. اسمي هو أردن لو كنت تنوي الحديث مع الإعلام.. أردن.. ربما لقاء مع آينور هانم..

- أوما يوسف برأسه، وقال لحاتم: سأنتظرك هنا..

- حسنًا..

ذهب حاتم مع د. أردن.. فقال له يوسف: حاتم.

التفت الأخير إليه:

- أنا ممتنٌ على رغم كل شيء أنك أنقذت تلك الطفلة.

أوماً حاتم برأسه، وتابع يوسف مبتسمًا: سوف أرى بطاقتك
يومًا ما.

ابتسم له حاتم متكلفًا وهو شارد الذهن بشكل اللقاء
المنتظر، ثم تنهد والتفت.. ووقف مع آردن أمام الغرفة ٦ في
الطابق الثالث.. غمغم حاتم: أريد مقابلته وحدي.

- بالطبع..

فتح آردن الباب وانزوى جانبًا..

ودخل حاتم الغرفة ليقف وجهًا لوجه أمام آدم.

الفصل السابع عشر

قبل ثلاثين ساعة من الأحداث السابقة..

- سيقتلنا.. سيقتلنا.

كانت تُصَبَّب عرقًا، والدماء تنزف من رأسها، وهي جالسة مختلطة بالتراب، يداها تنزفان بشدة من القيود الخشبية الغليظة، وبدا لناردين أن رودينا -أيضًا- فقدت الكثير من الدماء، وجهها الشاحب يقول هذا بوضوح، ناردين لم تكن أفضل حالًا، ذراعها اليمنى أصابتها تنميلة تامة ولم تعد تشعر بها، أصابع يدها المقطوعة لم يضمدها أحد، الجرح قد تلوّث بالفعل، بإمكانها رؤية الدماء النخرة تنصب منه، فقدت وعيها كثيرًا، كما إنه هناك شعور مصاحب لها وهو رأسها قد تم شجه لنصفين، هي تعلم أن جادو قد داهمها وهي تقف في المطبخ وضربها على رأسها، لكن فيما يبدو أنه استخدم أداة حادة وغليظة وهو يفعل ذلك، لقد آذى رأسها حقًا، رددت رودينا بإرهاقٍ: سيقتلنا...

كانوا مقيدين بعضهم جوار بعض، في غرفة غريبة نوعًا ما، كأنها غرفة كوخ، الأرض ترابية، والجدران، كلا ليست غرفة كوخ، كأنهم في كهف، لأن الجدران من صخور أم إنهم في مقبرة؟ هل دفنهم أحياء؟ هناك الكثير من الشموع، وجثث

عديدة من حولهم تفترش المكان. كلا. فكرت ناردين: هو
يستخدم الجثث زينةً، الوغد يستخدم الجثث زينةً!

تهمس رودينا بإعياء: سيقتلنا.

أمامهم هناك رأس لهيكل عظمي، ينظر إليهم بابتسامة
واسعة.

رودينا حاولي -آه- حاولي أن تتماسكي.

ثم أدركت ناردين أن رودينا متماسكة، وأنها لا تتحدث عن
فزع، بل عن كونها قرأت ما بداخل عقل جادو.

يدخل جادو الغرفة، عاري الجذع مرتديًا وجه الموتى،
نظرت إليه رودينا برعبٍ، وزاغت عيناها وهي تدخل داخل
عقله دون إرادة منها لتقرأ أفكاره.

مرحبًا بك يا رودينا داخل عقل جادو، اخطي خطواتك
الأولى بحرص، كعروس جديد تسير بخجل ممسكة يد
زوجها، احذري تلك الجثة، واخفزي قليلًا من دقات قلبك
كي لا نزعجه، نحن الآن في حضرة جادو العظيم أنتِ
تقفين وسط حديقة واسعة، الدماء في كل مكان، تلك هي
أرض جادو -سيد الرعب- دعي الشمس تبكي، هنا يقتل
القمر الشمس، ويحل الليل آه، لنقف معًا أمام تلك البحيرة
الصغيرة، انظري يا رودينا.. انظري.. لأننا في أرض جادو

لندخل إحدى الغرف لندير المقبض الذهبي لهذا الباب الجميل، آه، يا للروعة! ليسطع الضوء وتعم الألحان بالداخل نرى جادو وهو طفل صغير مع والدته وأخته، ووالده عائلة سعيدة وجميلة لا ظلام هناك ولا مكان للألم، ابتسمي يا رودينا فحياة جادو كانت سعيدة بحق، ها هو ذا يشب أمام عينيك، يعدو نحوك وهو طفل صغير ليحتضنك، لكي يرتمي في حضنك وهو رجل بالغ، لا تخافي، جادو في حفلة التخرج الآن، مرتديًا الروب الأبيض، أتشعرين بسعادته؟ ها هو ذا يتزوج، لا شيء مخيف ها هنا، لا شيء خاطئ ها هنا تستدير رودينا وتخرج من غرفة ذكريات جادو، هناك رائحة عطر جميلة، تسير رودينا متتبعة رائحة العطر.

تهمس ناردين: رودينا.

كانت الفتاة في حالة انتقال تمامًا، عيناها بيضاوان، وتشنج، تهمس ناردين مرة أخرى دون فائدة: رودينا قاومي. تسير رودينا كالمسحورة متتبعة رائحة العطر، وتدخل غرفة أخرى تسقط جثة معلقة من قدميها بالسقف، وتجد رأس طفل مقطوع يحاول قول شيء ما، تصرخ رودينا وتخرج من الغرفة، في حين هناك ضحكات مخبولة تردد في الأرجاء، إنها في الجحيم، فور أن تفكر في هذا يعم الظلام وتختفي الحديقة، وتجد سلاسل حديدية مزينة

بالدماء تتطاير في كل صوب ، تضع رودينا يديها على أذنيها،
وتصرخ: كفى كفى!

تتناثر دماء على فستانها الأبيض، وهنا ينفتح باب غرفة
أخرى فتهرع رودينا إليها، تدخل الغرفة وهي تلهث، أمامها
تجد جادو وهو طفل، والده يعتدي عليه ضربًا، ووالدته
تضربه بالحزام، الجميع يتنمر ويسخر منه في المدرسة،
تراه مرتبًا وهو مرتد الروب الأبيض في حفل تخرجه، تراه
يتزوج وزوجته تسخر منه، وهو يجلس ليبيكي وحيدًا..

تخرج رودينا من الغرفة وتدخل أخرى، لتجد نسخة أخرى
من جادو؛ طفل يحيا حياة عادية لكنه يكره الحيوانات ويقرأ
عن السفاحين والقتلة.

تدمع عينا رودينا وتخرج شاعرة بدوار عنيف لتجد نفسها
في غرفة واسعة، يتدلى من سقفها رؤوس مقطوعة داخل
أفواهها وعيونها شموع تضيء المكان.

أمامها يجلس جادو كشاب عادي عديم الشخصية
والهوية، بلا ملامح حرفيًا، يجلس أمام الحاسوب، ثم
يكشف «الإنترنت» والـ «سو شيال ميديا» ويحلم بكونه
«إنفلونسرز» مثل هؤلاء الذين يتابعهم ويبدأ الهوس بعدها.

يقتل كي يصبح مشهورًا وله متابعون.

تخرج رودينا من آخر غرفة، فترى وجهًا أبيض مقابلًا لوجهها، وجه عجوز سقيم لرجلٍ يحيا منذ مئات الأعوام، يكشف الوجه عن أنياب ولسان مشقوق كالثعابين، ويضحك صاحب الوجه.

تراجع رودينا في حين الأبواب في عقل جادو تسخر منها، جادو يسخر منها، يربها ذكرياته الزائفة، أمير الحواة، لا يوجد شيء حقيقي بشأنه، تكاد تسقط فاقدة الوعي لكنها تتماسك، لا تزال هناك غرفة لم تدخلها بعد، غرفة عنوانها الحقيقة، تسير رودينا بوهن اتجاه الغرفة، ستعلم. ستري ما الذي جعل جادو على حاله؟ ما الذي يحول بشر لمسوخ؟ تمد يدها وتدير مقبض الباب قبل أن تدخل لغرفة الحقيقة.

في البدء عمّ الهدوء الغرفة، اللون الأحمر يضيء المكان كله وينعكس على النوافذ وبشكل ما يتخلله اللون الأزرق، هناك كوب لبن أمامها على كومود جوار فراش، فوق الفراش ينام طفل صغير جوار والدته، جادو الصغير. شعرت رودينا بهدوء نفسي في الغرفة، ومن علبة موسيقى انبعثت نغمة حالمة وهادئة، يستيقظ الصغير ليجد أمه تنظر إليه بحب، يهمس لها: أنا خائف يا أمي.

أمه كانت جميلة بحق، تبدو كإحدى ممثلات السينما، شقراء، رقيقة، لها عينان حالمتان وصوت قادم من عالم آخر،

تبدو كالملائكة.. همست له بحنان: لا تخف يا حبيبي. سأكون
دومًا معك.

كانت أفكار الصغير تنساب لعقل رودينا بنعومة، أبوه
يختفي عن عالمه، وهناك جملة -رحمه الله وغفر له- تُردّد
عند ذكر اسم أبيه، لكن الطفل لا يفهم أين رحل والده؟
هو لا يتذكره، فقط كان يشعر بوجوده، والدته هي عالمة
بأمره، ولا توجد علاقة أقوى من رابطة طفل وحيد بوالدته،
احتضنته الأم وبدأت تقص له حكاية السندباد في رحلته
السابعة، وكانت قد وصلت إلى الجزء الذي قابل فيه السندباد
السلطان الشرير، الذي كان يردد للسندباد مهددًا: أنت الآن في
حضرة السلطان العظيم.

وكان الصبي يُصغي إليها مفتونًا.

وهو يداعب القلادة على عنقها، القلادة التي حكّت له أمه
أن جده التركي قد أعطها إياها في عيد ميلادها، وكيف أنها
كانت تحيا مع جده في مكان آخر جميل، قبل أن تتزوج أباه،
وتأتي معه إلى تلك المنطقة المتواضعة التي يعيشون بها. ما
لم تعترف به الأم للصبي أنها تزوجت حبيبها المصري على
رغم أنف أبيها.

تقول الأم بدراما تمثيلية مقلدة السلطان: أنت الآن في
حضرة السلطان العظيم.

يضحك الصبي ويحتضن أمه بحب، قبل أن تتعالى
الطرقات في المكان، كأن شياطين العالم كلها تهاجم بيتهم
الآمن، تشهق الأم، ويبكي الصبي، في حين القوم الغاضبون
يقتحمون شقتهم، يبكي الصبي وهو يحتمي بصدر أمه
ويحاول أن يحميها في الآن ذاته. يرى الرجال والنساء أهل
الحارة. يصيح أحدهم مشيرًا إليها: ها هي ذي الساقطة التي
ثلّوث سمعة منطقتنا. الأرملة النجسة.

يتعرف الصبي إلى الرجل المتحدث، إنه هذا الفظّ الذي
كثيرًا ما حاول التودد لأمه وظلت هي ترفضه.

تبصق إحدى النسوة على أم الصبي، وتدفع به بعيدًا
صائحة: لقيط!

يسقط الصبي باكيًا وأمّه تندفع نحوه محاولة حمايته، لكنّ
أيديهن تلتقطها، وأمام عينيه تنهال عليها ضرباتهن. يصرخ
الصبي وهو يرى الشرفة، وأمّه تطير منها أمام عينيه. ثم
يسمع صوت ارتطام جسدها وسط صرخات المارة، يقف
القوم قبل أن يصيح أحدهم: سنقول إن الآثمة انتحرت.

ثم يلتفتون وينظرون إلى الصبي: لن يصدق أحد اللقيط
الصغير.

تبكي رودينا وهي ترى ما يحدث لجادو الطفل.

وتشعر كأنها متسمة مكانها، ومحيطات الغرفة تتغير من حولها، هي الآن ترى الصبي يحيا مع جده، الأخير يشرب الخمر باستمرار، يتهمك على الصغير ويزجره، الصغير يصبح مراهقًا، ينام جوار قلادة والدته، يتخيل أنها لا تزال على قيد الحياة، وأنه يجلس معها يشاهد الأفلام ويتحدثون عن السندباد البحري.

ترى المراهق يصبح رجلًا.

قلادة والدته في يده وهو يقف ممسكًا بسكين، وأمامه الرجل الفظ الذي قتل أمه وقد أصبح كهلاً واهنًا، يقترب جادو من الكهل ويريه كل أنواع العذاب.

تراه يقتل عائلة الرجل الفظ في قلب الليل، ويحرق بنايتهم، ويقف في ركن ما يراقب أهل الحارة، وألسنة اللهب تلحق بهم. يذهب جادو إلى قبر والدته، وينام جوارها. وعندما يستيقظ تشعر رودينا بقوته وغضبه وبجنونه.

يقف ينظر إلى القاهرة بأكملها، وهو يتذكر البناية المحترقة وهم يخرجون منها عدوًا في حين النيران تلتهم أجسادهم.

ويتخيل القاهرة كلها على نفس الحال.

تراه جالسًا أمام حاسوب، ينظر إلى صورة فتاة جميلة،

تذكره بوالدته، ويتذكر وجه والدته الملطخ بالدماء قبل مصرعها فيقبض يده بغضب.

ينظر إلى «إنفلونسرز» جميلة على إحدى المواقع تتحدث في حين الكل يبدي إعجابه بها ويسترجع فعلته في الحارة، هو يريد تلك الشهرة، ويستحقها، يتخيل جمهور الفتاة يصفق له لما فعله في الحارة والبناية، وتسمعه يقول: شكرًا لتصفيقكم. شكرًا لتقديركم لجادو العظيم.

ثم ينتبه لوجودها فيلتفت برأسه إليها غاضبًا تشهق رودينا، وتتعالى صرخات في المكان في حين يخرج ضحايا جادو من خلفها ليمدوا أيديهم صوب عنقها.. تصرخ رودينا بلا توقف.

تنتفض رودينا وهي تخرج من عقل جادو وتسقط أرضًا مغشيًا عليها.

تنظر إليها ناردين، ثم تنظر إلى جادو في صمت، يقول الأخير: لقد رأيت الحقيقة، ولم تستطع استيعابها لمحت ناردين نبرة متهدجة في صوته ثرى أي حقيقة تلك التي اكتشفتها رودينا؟ ينحني جادو ويُرَبَّت على رأس ناردين قبل أن يمسح على شعرها، ويقول في حنان: ناردين الصباغ كاتبة قصص الرعب الشهيرة ذات الخيال المتقد أين خيالك وذكائك الآن؟ أنتِ تنتمين إليّ، قولي لي: أنكِ تحبينني.

يضع جادو السكين على عنق ناردين، ويكرر: قولي لي أحبك.

تغمض ناردين عينيها، لن تستسلم، خيالها سيعمل الآن، لا للهروب، بل لإيقاظ رودينا، خيالها يقول لها إنه ما دام رودينا تمتلك المقدرة على قراءة الأفكار، فإن الأفكار قادرة على الطرق على رأسها، وإيقاظها وأفكار ناردين الصباغ تختلف عن أية أفكار.

يخرج الشيء والروطاش والقرين من عقل ناردين ويدهمون عقل رودينا تخرج كل رواياتها، كل ما كتبتة، يرقص تشارلز ديكنز مع نجيب محفوظ، ويتواثق تشارلي تشابلن مع إسماعيل يس صلاح، يحتضن ناردين جادو طفلًا صغيرًا لا شأن له أفيقي يا رودينا أفيقي.

تفتح رودينا عينيها ببطء وتسمع أفكار ناردين تنسل لعقلها: آسف لإيقاظك بتلك الأفكار أرجوك ركزي معي لو كنتِ تقرئي هزي رأسك. حسنا حسنا. فتاة جيدة ثقة هذا الوغد بنفسه هو نقطة ضعفه، هو يعتقد أنه دائمًا مسيطر سوف أشتته سوف أشغله، وعليك أنتِ بالهروب انظري إلى تلك العظمة الآدمية، التقطها وبطرفها اقطعي جيدك، ببطء وحنكة كي لا تنزلق من يدك، وبسرعة كي لا يلتفت إليك، هو ينوي قتلنا الآن، لكنه يركز معي لأنه يعتقد أنك فاقدة الوعي.

يقترّب جادو بقناعه كريبه الرائحة من وجه ناردين، ويكرر:
اعترفي بحبك لجادو العظيم.

ترتجف ناردين وتهمس لجادو برقّة: أنتَ أعظم الرجال!
يجفل هو، لم يسمعها من ضحاياه سابقًا.

تتواصل أفكار ناردين: رودينا، نعم هكذا والآن حُكي طرف
العظمة بالحبل، مرارًا وتكرارًا لا تبكي. لا تبكي سيقتلني أنا
في كل الأحوال، عليك أنت بالهروب. نعم نعم فتاة رائعة.

تصرخ أفكار ناردين: فتاة رائعة أنتِ على وشك فك القيد.

تنزلق العظمة من يد رودينا، ويشحب وجهها ومعه وجه
ناردين التي تماسكت، كانت تحاول ألا تنظر بطرف عينها
لجادو لكي لا يلاحظ، وهمست له: أنا ملكك يا جادو، يا
سيدي.

انتشى جادو وأن في متعة ثم اقترب بالنصل من عين
ناردين، وهمس بحب: وأنا أيضًا بحبك، لسوف أحتفظ
بعينيك كثيرًا، أريدك أن تصرخي باسمي وأنا أقتلعهم.

تبكي ناردين، وتعطيه ابتسامة وتهمس: بالطبع.

رودينا تسمع كلامه مشدوهة، فتصرخ بها أفكار ناردين:
التقطي العظمة اللعينة وواصلني أرجوك.

تنتفض رودينا وتحاول التقاط العظمة مرة أخرى، لكنها كانت بعيدة للغاية، يتواثب قلبها، ثم تلوي رودينا ذراعها بكل قوة لتكسره، وتعض على شفيتها لتدميهم كي لا تصرخ، وتُخرج يدها من القيد وتفك الأخرى.

تقول لها ناردين بتعاطف: فتاة شجاعة.. فتاة شجاعة. باب الغرفة على اليمين، أقصى اليمين، بجوار تلك الرأس المعلقة، لقد دخل هو من هناك.

تنتهي رودينا من فك قدميها وتشعر بقبضة تجتاح صدرها، مع انهيار دموعها وهي تنظر إلى ناردين التي أغمضت عينيها وجادو يحتضنها، وانسابت أفكار ناردين إليها: فتاة رائعة، لقد اتبعت نصائح الكاتبة، اقرئي رواياتي، ها. وتأكدي من أنهم سيقتلون هذا الوغد، لا بد أنك دخلت داخل عقله وعرفت من هو والآن، سوف أحدثه كثيرًا، وأشغله تمامًا، عليك أنت بالقفز فجأة والعدو نحو الباب دون النظر إلى الورا، لا تخافي، لا تتعثري.. كوني واثقة.. كوني شجاعة. وداعًا يا رودينا كان من اللطيف معرفتك.

كانت ناردين تتحدث لرودينا من عقلها وجادو يحتضنها في حين هي مغمضة العينين، نظرت إليها رودينا باكية، ثم أخذت نفسًا عميقًا ونظرت إلى الباب ذراعها يؤلمها لكن هذا أمر ثانوي الآن، ستعدو صوب الباب وهنا نظرت رودينا إلى

العظمة وقبضت عليها.

كلا يا رودينا، لو هاجمته سيقته، هو أقوى منك ومني وأنت واهنة. عليك بالهروب يا فتاة عليك بالهروب سأحدثه الآن

تهمس ناردين لجادو: ملمسك رائع، أنت حقاً عظيم.

يبتسم جادو في نشوة من خلف السكين.

تهب رودينا واقفة وتعدو نحو الباب بكل سرعتها، يصرخ جادو ويقفز للحاق بها فتمد ناردين ساقها معرقة إياه ليسقط أرضاً.

تصل رودينا إلى الباب ماذا لو كان أحكم إغلاقه؟

يقفز جادو واقفاً وهو يصرخ ويعدو صوب رودينا تفتح هي الباب. وينفتح معها.

توترها فكرة أخيرة من ناردين قبل خروجها: قولي لصاح إنني أحبه.

تغمض رودينا عينها وهي تجري وتفتحهم، تسمع خطواته، يعدو وراءها بسرعة شيطانية.

يعدو بسرعة قصوى.

وتجري رودينا في ممر طويل، في نهايته باب آخر!

يا إلهي لا تدعه يكن موصلًا...

ينفتح الباب وتكاد رودينا أن تسقط معه، وتستدير لتفلقه لكن جادو يصطدم به ويُسقطها أرضًا، تنزلق بعيدًا عنه ثم تهب واقفة وتواصل العدو قبل حتى أن تستعيد اتزانها، هي داخل جدران مكان شاهق، وهناك نافذة زجاجية ضخمة، تقفز رودينا من النافذة دون تردد، وهي تحمي وجهها من الزجاج، وتسقط بالخارج، تعتدل واقفة وتواصل العدو وجادو يصرخ، مطارداً إياها، كانت تعدو وسط حديقة ممتلئة بالأشجار، وهناك نيل قريب، تعدو صوب النيل، السماء مظلمة والقمر يتوسطها، وعلى انعكاسه نرى جادو بقناع وجهه يجري وراءها، تشعر به يقترب وتكاد تشم رائحته، تصرخ وتقفز للأمام وتكاد أن تتعثر، تتذكر صوت ناردين: لا تتعثري أفكار جادو تتوالب داخل عقلها: سوف أسلخك حية، سوف أقطعك أربًا أيتها القذرة.

وهي تعلم أنه ينوي فعل هذا حقًا عندما يمسكها، تلتوي ساقتها وتسقط أرضًا، ألم بشع في قدمها، تصرخ، يقفز فوقها، تتدحرج بعيدًا عنه وتلتقط حجرًا وتضربه في وجهه، ثم تهب واقفة وتواصل العدو وسط صيحات قدمها المتألمة، يعتدل جادو واقفًا، ويمسك السكين من مقبضه، ويرجع ذراعه

إلى الخلف، تصل رودينا إلى حافة السور الحديدي، يرمي جادو السكين بقوة مصوبًا إياه لظهر رودينا، تقفز الفتاة بقوة، رافعة كلتا يديها استعدادًا للسقوط في النيل، وتشعر بالحرية، ينغرز السكين في ظهرها، وتصيح رودينا متألمة وهي تسقط في النهر يضحك جادو، ويصرخ، قبل أن يرقص يمينًا ويسارًا في الحديقة على قدم وساق، وهو يتخيل جسدها المتحلل داخل النيل، ربما تلتهمه التماسيح، تتعالى ضحكاته.

تتلقت ناردين حولها باحثة باستماتة عن أي شيء قريب تفك به قيدها دون جدوى، يدخل جادو وهو في حالة انتشاء، فتدرك ناردين أن رودينا لم تنج، تغمض عينيها في ألم قبل أن تنظر إليه في عينيه، وتهتف: تَبَّأ لك أيها المختل الكريه، أيها الوغد، تعتقد أنك رائع أنت لا شيء، وأنا لا أحبك، لقد كنت أخدعك أيها الغبي الأحمق.

ينحني جادو أمامها، ويضع يديه على وجهها، متحسبًا إياه، قبل أن يقبض على عنقها، ويهمس: أعلم وداعًا يا ناردين الصباغ..

ويبدأ الخنق.

ينغرز السكين أعلى ظهر رودينا وهي تسقط في النيل، وينافس ألم كتفها ما يحدث في قدمها وذراعها المكسور، تَبًا مياه النيل ثقيلة بحق، هي لن تستطيع السباحة، تشعر بتخشب في ذراعها، وتفقد القدرة على تحريكها، ستغرق، تحاول مقاومة الفكرة، لكنها منهكة، كلا عليها إنقاذ ناردين، ألم حارق في ظهرها، وجفناها يثقلان، مياه النيل راكدة ومظلمة، تحاول رودينا السباحة، هناك تيار، لو وصلت إليه سيدفعها للبر، تحاول الدفع بنفسها للأمام، تسعل وتبصق المياه، ترفع ذراعها للسباحة فتصرخ من آلام ظهرها، ثم تكتم فمها فورًا، لربما يسمع جادو الصرخة، عليها إنقاذ نارين، التيار، تدفع بجسدها اتجاهه، من هو جادو؟ تلك كانت آخر أسئلة تنساب لعقلها قبل أن تفقد الوعي وهي في قلب المياه.

لكنها لم تغرق، لقد حملها التيار للبر، وفتحت عينيها بعد ساعتين لتجد أنها كانت نائمة فوق أرض طينية، تعتدل رودينا واقفة وتئن وتعض شفثيها من آلام ظهرها، تمد يدها مرتجفة وتشهق عندما تلمس مقبض السكين، هل سئشل؟ هل ستموت؟ تُبعد يدها عن مقبض السكين خوفًا من أن تنساب إليها أفكار جادو من خلاله، وتبدأ في الزحف، وهي مرعوبة من محاولة تحريك ساقها، ماذا لو لم يستجيبوا

لها؟ لكنهم يتحركون. أمامها الطريق الزراعي لقد كانوا في
عزبة. عزبة بجوار الطريق الزراعي. أهم قرييون من الفيوم؟
هل عامر عمران هو جادو؟ ولكن كيف؟ لقد كان مسنًا بحق،
كما أنها قرأت أفكاره، لقد أثبت جادو أنه سيد الخداع فعلاً،
لقد وجدت حكايات مختلفة داخل رأسه عن شخصيته
وذكرياته وطفولته ولا تعرف أيهم حقيقي، ثرى هل ابتعدت
عن تلك العزبة؟ أم أنها سوف تستطيع العودة؟ هل قتل
ناردين؟ لقد رأيت داخل عقله ما فعله بسليم، والآن ناردين
ورشدي من قبلهما يتهدج صوتها وهي تبكي شاعرة بالآف
السكاكين تمزق صدرها، قبل أن تصرخ بغضب: تَبَّا لك يا
جادو، تَبَّا لك.

ينتابها الإعياء، وتقف بصعوبة، لم تنغرز السكين بالكامل
داخل جسدها، لهذا هي لا تزال حية، لا يوجد تفسير آخر،
لكن الإعياء سيقتلها قريبًا، تسير مترنحة بجوار الطريق
الزراعي، لقد سحبها التيار بعيدًا، وقد سارت كثيرًا كأنها في
متاهة، تريد أن تحضر الشرطة كلها في تلك المنطقة الآن
ليمشطوها، لكنها تعلم أنها بعيدة جدًا، تتوقف لها سيارة بها
راكب فضولي، تقرأ أفكاره، يعتقد أنها فتاة ليل ويبغي قضاء
الليلة، سيغيّر رأيه لو رأى السكين في ظهرها، تبتعد عنه
وتواصل السير بإرهاق، هناك سيارة أخرى تمر جوارها، تقرأ
أفكار السائق، يعتقد أنها النداهة ويسرع مبتعدًا، تحاول

رودينا مواصلة السير، أين القاهرة؟ أين هي؟ في النهاية تمر
سيارة بها رجل وفتاة، وبعد أن تقرأ أفكارهما تتركب معهما.

- أنتِ بحاجة إلى مستشفى يا إلهي ما الذي حدث لك هناك
سكين في ظهرك؟

- أنا بحاجة إلى الذهاب إلى المنزل، سأعتني بنفسي.

- أنتِ بحاجة إلى مستشفى وحالاً، هناك مشفى طوارئ
قريب.

تقضي بعدها رودينا ساعتين في المشفى، السكين انغرز
بطرفه أسفل كتفها، جراح وكدمات عدة، أخبرها الطبيب أن
الشرطة في الطريق وتركها مع ممرضة صامته، قرأت رودينا
افكار الممرضة، كلا لن تصلح، رحلت بعد وهلة ودخلت
أخرى، انسابت رودينا لعقلها، نعم، تلك ستصلح، قالت لها
رودينا من وسط ضماداتها الطبية واللفافة الطبية المكبلة
ذراعها وظهرها: أنا بحاجة إلى الرحيل عن هنا، وحالاً؛ أهلي
سيقتلونني لو أدركوا ما حدث، لقد أحببته ولم أتوقع أنه
سيفعل بي كل هذا لأني رفضت.

وجدت التعاطف التي بحثت عنه يظهر على وجه الممرضة
والتردد كذلك.

وبعد ربع ساعة عندما دخل الطبيب مع الشرطة وجدوا

أصرت الممرضة على إعطاء رودينا بعض المال قبل رحيلها،
احتضنتها الفتاة وقبّلتها ثم رحلت في صمت مفكّرة: لم
يفسد الجميع، لم يفسد الجميع..

ركبت سيارة أجرة بما تحمل من مال بعدما قرأت أفكار
السائق وتأكدت من أنه لن يختطفها.

تسير رودينا ببطء وتطرق باب شقتها، تفتح لها شريكها
في السكن الباب، وتحضنها وهي تصرخ: يا إلهي لقد كدت
أموت من القلق.

تستحم رودينا وتشرب الكثير من القهوة، وتضمّد ساقها
وتطهر الجرح في كتفها وتطلب من رفيقتها تخبيطه.

- أرجوكِ. أنتِ بحاجة إلى الذهاب للمستشفى.

- لا يوجد وقت، وأنا قد عدت للتوّ من واحدة.

تلف بعدها ذراعها المكسور بالقماش، وتتغلب على دموعها،
وتقول: هل نجى أحد من مذبحة قصر عامر عمران؟ هل ذكر
الإعلام أن أحدًا قد نجى؟

- واحد فحسب.

يختلج قلب رودينا وتهتف: من؟

- لا أعلم اسمه، يقولون إنه كاتب، هو في مستشفى (الأمل) ولكنه في حالة خطيرة.

- الحمقى ذكروا اسم المستشفى على الملأ آمليين في استخدام سليم كطعم.

- ماذا؟ من؟

- لا عليك.

ترحل رودينا على رغم اعتراض صديقتها، متجهة إلى مستشفى الأمل.

بعد ساعة كانت رودينا تسير في المستشفى جوار الممرضة التي قالت في تردد: الزيارات حقًا ممنوعة، لكنَّ أحدًا لم يزره منذ أن أحضروه هنا، اعتقدت أنه حقًا «بلا شجرة» أنا سعيدة أن أحدًا قد أتى من أجله

تتنهد رودينا، وتدخل عنبر به عدة أفرشة، لم ترَ في حياتها ممرضات يتعاطفن بشغف من قبل والليلة رأت اثنتين، تتجه إلى سليم وتقف جواره. أنابيب عدة تخرج من أنفه وذراعيه، وشاش كثيف يحيط بمعدته، همست لها الممرضة: لقد نجى

بأعجوبة.

- هل ... هل هو في غيبوبة؟

- كلا؛ تحت تأثير المخدر فحسب أثر العملية، سوف تلتئم جروحها في خلال شهر، ويستعيد قدرته على الحركة حينئذ لو لم تحدث مضاعفات. ادع من أجله.

رحلت الممرضة بعدما تقاضت مبلغًا آخر من رودينا، التي انحنى جوار سليم، وقالت: هل تسمعني؟

فتح عينيه ببطء، ونظر إليها، كان هناك أنبوب في فمه يعيق الكلام، وإن بدا لها أنه لن يكون قادرًا على الحديث حتى لو لم يكن به هذا الأنبوب.

نظر إليها بامتنان، وعلى رغم أنه حجب أفكاره عنها، ميزت في عينيه سعادة أنها قد نجت. ابتسمت وقالت وهي تدمع: لقد أحضرت لك شيئًا؛

ثم أعطته ورقة وقلم. حاول أن يمسكها بيده، دون جدوى، فساعدته هي وأمسكت بيده، وهولة تلاقت عيناها، ثم كتب سليم شيئًا ما في المفكرة.

وفجأة وجدت رودينا نفسها داخل عقله، شهقت وابتسمت، وهي تجلس معه في حديقة خضراء جميلة، فوق أريكة

متأرجحة، كان يحيط كتفها بذراعه، يحتضنها برفق، وقال:
أنتِ في رأسي فلا تلوميني على أفكاري.

- سألوك فيما بعد.

- إذا لقد سمحت لي بالدخول أخيرًا.

- نعم.

- هل نجا آخرون؟

حكّت له رودينا ما حدث، ودمعت عيناها هي تذكر ناردين،
فتنهد قائلاً: لقد ضحت من أجلك. كانت سيدة عظيمة.

- تلك حقيقة.

- أنا لم أر وجهه.

- ماذا؟

- عندما هاجمني جادو، لم أر وجهه لكي أتحمم فيه لا بد أن
أرى ملامح الشخص، أن أعرف من هو كي يصبح وعيه ملكاً
لي، لو عرفنا من هو جادو، سيصبح طوع يدي.

- حسناً؛ سأرحل الآن.

- كلاً.

- لا أريد.

اقتربت بوجهها من وجهه، وأردفت: ثق أنني لا أريد الرحيل لكن لا بد. من أجل ناردين. من أجل الجميع. جادو يجب أن يموت.

كرر سليم: لا بد أن يموت.

وقفت رودينا، وقالت لسليم قبل أن ترحل من عقله: كن يقظًا، لقد أحضرت لك هاتفًا، أبقه جوارك، لو عرفت.. كلا عندما أعرف من هو جادو، سأتصل بك لأخبرك، وحينئذ...

- حينئذ سأسحقه.

خرجت رودينا من عقل سليم، كانت تقف أمامه الآن في المستشفى. وضعت الهاتف جواره، واستدارت راحلة.

خرج إدجار آلان بو من وراء الأريكة الجالس فوقها سليم، وقال الآخر دون أن ينظر إليه: أنا ممتن أنك اختبأت لحين رحيلها.

قال آلان بو في ضيق: لم يكن هذا تصرفًا لائقًا منك، عليك تقديمي بطريقة رسمية المرة القادمة.

- أنت واثق من أنه ستكون هناك مرة القادمة.

- بالطبع.

- آمل ذلك يا صديقي. آمل ذلك.

وصلت رودينا إلى المقابر التي دفنت بها علا وعلياء، كانت ترتدي كالرجال وتغطي رأسها، وسارت بثقة نحو شاهد القبر، ستقرأ أفكار علا، ستقاوم الانقباض بداخلها، ستنبش الجثة، وستصل إلى مكان أنور، وسيخبرها من هو جادو، لو لم يقبض عليها غفير المقابر لتتحدث الأخبار عن نابشة القبور المخبولة التي تدّعي قراءة الأفكار.

أخرجت الهاتف الذي ابتاعته بعدما جرّدها جادو من هاتفها السابق، وتفقدت الأخبار لترى إن كان هناك جديد، لا شيء بعد انحنت رودينا، وانتابتها فكرة جعلتها تنقبض، لقد كانوا فريقًا، معًا، ثم تشتتوا وحل الظلام وها هي ذي وحدها في هذا المكان المخيف، أو ليست تلك هي الحياة؟ نفضت رودينا أفكارها وقالت: أنا أختار ألا أفكر بتلك الطريقة، لن أترك نفسي لتلك الأفكار.

جلست رودينا وحيدة بالمقابر في الثانية صباحًا، بعدما مشطت المكان بأفكارها، للتأكد من أحد الفضوليين لن يكتشفها، مسحت المقبرة بعقلها، وقالت: لا بأس، لا أحياء هنا

أفكار الموتى فحسب، وهؤلاء لن يؤذوك، على ما آمل.

الفصل الثامن عشر

يقبض جادو على عنق ناردين ويبدأ عملية خنق بطيئة وممتعة بالنسبة إليه، وبيتسم باستمتاع، تجحظ عيناها، وتحقق في وجهه، بيتسم لها بنشوة شاعرًا بالسيطرة وهي ترتجف، يصفّر وجهها، ثم يزرق قبل أن تهمد حركتها تمامًا، يتركها تسقط أرضًا، ويرفع كلتا يديه لأعلى ويعوي، ثم يلتقط لها عدة صور ومقاطع فيديو، يضع الهاتف في جيبه، ويحمل ناردين بين ذراعيه، ويسير بها خارجًا من العزبة، يبدو كمشخ فرانكشتاين وهو يحمل عروسته، ويُلقي بها في النيل، ويشاهد جسدها يطفو بعيدًا، يستدير جادو ويعود إلى العزبة، لقد جرب القتل بالسكين، والخنق، والذبح، هناك شيء حميمي للغاية في الخنق أشعره بسعادة غامرة. أو ربما حقيقة هزيمته لشخصية ناردين الكاسحة، ونظرة التوسل في عينيها، وهو يُزهق روحها قبل أن يرميها جثة هامدة، خفق قلبه في سعادة عندما تحسس ساعدها ليجد أنه لا يوجد نبض، جادو العظيم قد قتل ناردين الصباغ، وقتل هذا الكاتب الآخر سليم، وقتل قارئة الأفكار رودينا، عاد للقاهرة، كان يريد أن يتباهى أمام العالم بقتلهم، وأمام آدم، لكن كلٌّ في حينه، لديه جدول زمني يتبعه -كأي «إنفلونسر» مخضرم- بخصوص مواعيد منشوراته، بعد ساعات سيبدأ

البت المباشر لسلوى. وفي اليوم التالي ينشر صورًا ناردين، ويحتفظ ببعضهم للذكرى.

غمغم لنفسه: أنا رقم الآن، الكل يتحدث عني.

كان يقود سيارته ونظر إلى مجموعة فتيات يقفن جوار الرصيف، مراهقات؟ كلاً. يبدون كطالبات جامعة، ثلاث فتيات، بأجسادهن الناعمة المثيرة وشعرهن الجميل، وتفصيلهن الساحرة التي تفقده عقله وتثير غضبه، أدار جادو المقود وأصدرت الإطارات نبيحًا مزعجًا وهو يزيد السرعة، وفي أقل من ثوانٍ تحولت سيارته إلى وحش كاشر يقفز على الرصيف ويدهم الفتيات، إحداهن قفزت يمينًا، داهم الأخرين، الناس يصرخون برعب يعود بالسيارة إلى الخلف، ويدهمهن مرة أخرى، صوت عظامهن وهي تنهشم أسفل إطارات السيارة يثير جنونه، يئن في نشوة، ثم يدير المقود، ويطارد الفتاة التي هربت، ينظر في المرآة الخلفية إلى كوم العظام واللحم المكوم ويضحك، وينطلق خلف، يا لخصرها الجذاب وجسدها المتناسق وهي تعدو، تعدو الفتاة تصرخ وتستغيث يضحك جادو بجنون، وينتظر ليرى إن كان أحد سيساعدها أم أن الخوف سيمنعهم، ثم يهز رأسه ويواصل الضحك، تقف الفتاة في منتصف الشارع وتصرخ: ألن يساعدي أحدكم؟ ما خطبكم؟ إنه يقتلنا.

يبتعد عنها الجميع كأنها وباء، البعض الآخر يصورها بهواتفهم. تلهث الفتاة وتلتفت حولها بعد أن تتوقف عن العدو، تندفع نحو سيدة وتصرخ: ساعديني! تدفعها السيدة للخلف وتراجع في خوف، تسقط الفتاة قبل أن تقف وتلتفت ببطء، وتنظر من خلف دموعها إلى سيارة جادو يسطع ضوء مصابيح السيارة في وجهها، فتنتفض هي وتهمس: أرجوكم ساعدوني سيقتلني.

يتحرك أحدهم لليمين وهو يصورها ليحصل على زاوية تصوير أفضل ويضحك جادو في سيارته.

قبل أن يصيح منتشًا وينطلق بالسيارة بسرعة خرافية ليصطدم بها، تطير الفتاة لأعلى قبل أن تسقط جثة مهمشة، وقد برزت عظام ساقها من أسفل جلدها، والتوى رأسها ليصبح ناظرًا إلى الخلف شاخصة بعينيها للمارة الذين لم يساعدها، ولجادو.

وابتعدت سيارة الأخير في ظلام المدينة.

أوقف السيارة وترجّل منها مغمغمًا: ليست سيارتي على كل حال، ثم ربت على الصندوق الخلفي حيث يرقد صاحب السيارة، ما تبقى منه على أي حال، ورحل جادو.

الخيال هو القدرة على الهروب من الواقع..

وأحيانًا هو الوسيلة لهزيمة الواقع.

هذا ما فكرت فيه ناردين وجادو يضع يديه على عنقها، هو مثل سفاح بوسطن، سيحب الحنق، كذا فكرت هي وقالت لنفسها: أنا قادرة على توقع أفكاره، الواقع سيقلد الفن الآن، أو ربما الفن قلد الواقع، لأن فيلم سفاح بوسطن كان مأخوذًا عن شخصية حقيقية، حسنا الواقع سيقلد الفن الذي قلد الواقع، آه ناردين كفي عن الاسترسال لأفكارك الآن، ستموتين الآن؛ لو فشلت، عليك تشغيل خيالك، هيّا أيها العجوز ذو العوينات، لا تنظر إليّ من أسفل العوينات، تخلص منهم وحرك مؤخرتك لتساعدني، أنا سأقتلها هنا، لو تركت نفسي لمشاعري التلقائية سأصاب بالوهن والرعب، وسثّشّل حركتي تمامًا، لن أكذبك خبرًا، أشعر بكل هذا لكني أقاومه، ساعدني يا خيالي، هيّا أنا الضحية، وهو سفاح بوسطن، سيجحظ وجهي، هل أخرج لساني؟ أم إن هذا تصرف مبالغ فيه؟ حسنا حسنا. يا إلهي الأمر مؤلم، تكاد ناردين أن تبكي وتتوسل وهو يضغط على عنقها، وتشعر بروحها تنسحب منها، لكنها وباستماتة تتمسك بخيالها، حسنا، سيحمر وجهي، ربما يتحول للون آخر الأصفر والأزرق، سأنتفض وأنظر إليها بتوسل لأن هذا سيثيره، بعدها سأكتم أنفاسي تمامًا

متظاهرة بالموت، هذا هو دورك، هم لا يؤمنون بقدراتك الخيالية لكني كثيرًا ما آمنت بك، عليك أن تقنعني أنني قد مت حقًا، وعلى ألا أتنفس بعدها. أرجوك عليك أن توقظني، لنريهم قوة الإرادة؟ لنهزم الواقع معًا.

لا يرد عليها خيالها يضغط جادو على عنقها، خطتها تفشل إذًا، الواقع سيهزم الخيال وهي ستموت الآن، تسقط هي أرضًا، يتحسس نبضها، ثم يحملها ويسير بها ليرميها في النهار.

وهو يراقب صدرها للتأكد من أنها لا تتنفس، ثم يستدير راحلاً.

يمد خيالها يده، ويهز كتفها مرة والثانية.

تفتح ناردين عينيها وتشهق ثم تتلفت حولها بذعر، وتغرق قليلاً وتبتلع بعض المياه قبل أن تقفز لأعلى وهي تسعل، وتسبح نحو البر بسرعة وبقوة متجاهلة آلام عنقها ويدها، وهي تردد باكية: أنا لست مخبولة أنا لست مخبولة حمدًا لله، الخيال حقًا فارق أنا لست مخبولة.

تصعد فوق الأرض الطينية وتدمع عيناها مرة أخرى بفرحة وتضحك بقوة، وتردد: أنا لست مخبولة طيلة عمري يتهموني بشتى الأشياء بسبب خيالي، لكن هو من أنقذني، هو من

أنقذني وليس هم.

تواصل ناردين الضحك قبل أن تمسح دموعها وتستلقي على ظهرها ناظرة إلى السماء.

وتردد: كل ما رأيته أو كنته ليس سوى حلم داخل حلم.

بعد ثلاث ساعات..

تجلس ناردين في شقتها، كانت رحلة العودة شاقة بحق، ومن المثير للفضول أن العديد من الركوب حاولوا التعرض لها على رغم حالتها المزرية، وآخرون حاولوا مساعدتها، ذهبت إلى صديقة لها، طبيبة، وذهبت معها إلى الطوارئ وعالجوا يدها، تفحص الطبيب آثار الخنق على عنقها، قبل أن يقول: قطعت أصابعك وأنت تقشرين البصل، من الذي خنقك؟ عليّ إبلاغ الشرطة.

أخذته صديقتها الطبيبة للتحدث معه وتنهدت ناردين وهي جالسة فوق الفراش، تنظر بلا تعبير إلى يدها التي فقدت فجأة ثلاثة أصابع، دعك من حقيقة أنه اقتلع اثنين من أظافرها، وجعلها تبتلع أحدهما، لقد تسبب لها جادو في ألم جسدي يفوق أي وصف.

انسابت منها دمة مسحتها مسرعة، وهمست لنفسها: كوني قوية! ثم تذكرت منهج رودينا في التفكير وخفق قلبها، لم تنج رودينا، غمغت ناردين: أختار الأفكار بهذا الآن.

بعدها انتهوا عادت ناردين إلى شقتها وارتمت فوق الفراش يارهاق. جوارها يجلس شرلوك هولمز وعلى الناحية الأخرى هيركيول بوارو محقق أجاثا كريستي الشهير، قال لها هولمز: جادو يعتقد أنك ميتة، لديك عنصر مفاجأة لا بأس به.

وأضاف بوارو: أعلم أنك مرهقة ولا تريد التفكير أن كان صلاح حيًا أم لا، لكن هناك دومًا بصيص أمل.

بعملية وصرامة قال هولمز: لنكن عمليين.. لقد فتك بهم جادو جميعًا ولم تنج سوى ناردين.

فتحت ناردين الحاسوب لتري أن كان هناك جديد عن جادو، فوجدت رسالة من صلاح على «الفيس بوك».

شهقت وهي تقرأها:

أبعث لك تلك الرسالة ببصيص من الأمل أنك ستقرأينها يومًا ما، لقد توصلت للرجل الذي عض التراب، اسمه هو حاتم وهذا هو رقمه، سيبحث هو عن أنور حمدان ويجند آينور، أنا ذاهب إلى قصر سليمان

لقد فشلت في إنقاذك، لكني سأقضي عمري أبحث عنك..
شكرًا على كل شيء.

ضحكت ناردين وهي تقرأ، ورددت: هو حي، هو حي.

تذكرت دكتور فرانكشتاين وهو يصيح بتلك العبارة في
الفيلم القديم وضحكت أكثر، وسارعت بالرد عليه، لكنه ليس
«أونلاين» تَبًّا هي بحاجة إلى هاتف، أدركت أن هاتفها مع
جادو، وهاتف منزلها لا يعمل

تلقتت حولها.

طرقت ناردين باب الجيران، فتحت لها جارتها المنزعجة.

- آه عذرًا عفوًا أنا بحاجة إلى إجراء مكالمة الأمر ضروري.

- اتصلت بصلاح سبع مرات، هاتفه مغلق، أرسلت إليه رسالة
نصية أنها بخير وعادت لشقتها، حسنا ستذهب إلى قصر
سليمان لصلاح، شعرت بطاقة حزن، وهي تدرك أن جادو
قد قتل سليم ورودينا ورشدي وعامر. هتف هولمز: اجلسي
وفكري قليلاً.

هدأ هيركيول بوارو من روعه، وقال بلكنته الفرنسية:
الفتاة قد مرت بالكثير، كن صبورًا.

تنهدت ناردين وأغمضت عينيها وهي تفكر أبسط الحلول

هو دومًا الطريقة الفعالة، من هو جادو؟ هو سيد الخداع
يمتلك عذبة أم أنه سرقها، هل قتل أصحابها وعاش بها؟ هل
يستولي جادو على حياة الآخرين؟ حسنًا ما هي دوافعه؟
النساء والشهرة ما هي دوافعه الحقيقية؟ الشهرة هو سيد
التضليل أمير الحوارة.

همس لها بوارو: أنتِ تقتربين من الحقيقة تقتربين.

- جادو يرتدي قناع جلدي الآعيب الظلال لم توضح معالم
جسده.

- من هو جادو؟

- وما دخل قصر سليمان بالأمر؟

- دافعه هو الشهرة.

تهز ناردين رأسها وهي تفكر، رأسها يكاد ينفجر.

هناك حلقة مفقودة.

شيء ناقص.

سيد التضليل.. سيد الكذب.

تنبش رودينا المقبرة وهي تلهث، تدمع عيناها، خوف عارم

يجتاح صدرها.

تحدث مع نفسها لتهزم الصمت المحيط: حسناً حسناً. في حياة أخرى كنت سأكون امرأة طبيعية، أمًا وزوجة، أذهب إلى النادي وكل شيء، أمتلك وظيفة ودخلًا ثابتًا، وأزداد بدانة، لكنني وحدي في قلب الليل أنبش قبرًا، تلك هي حياتي الحالية و...

- أنتِ لست مرحَّبًا بك هنا.

- ارحلي يا فتاة.

- تعالي إليّ.

ترتجف رودينا وتسري القشعريرة في جسدها، يداها ترتعش، وهمس الموتى يتعالى من حولها ويدلف لرأسها، تحاول مقاومتهم، كانت تعتقد أن تجربة المصحة النفسية هي الأكثر سوءًا، كانت مخطئة، الموتى أسوأ. تشعر برغبة في إفراغ جوفها من شعور الخوف الخام الذي يجتاحها، تتلاحق أنفاسها.

- لقد فقدت أحلامي.

- أفتقد عائلتي.

- أمي.

- من أنتِ يا فتاة؟

- سوف أسكن جسدك.

تهز رودينا رأسها وهي تبكي، وتقاوم رغبتها في الهروب
صارخة: إليكم عني، إليكم عني.

تقرأ القرآن وهي تنبش الكثير منه، وتردد: لن أرحل، لن
أرحل، سأصل إلى الحقيقة.

أفكار الموتى تقترب منها، تشعر بهم يسرون من خلفها،
يخرجون من القبور.

- سوف أسكن جسدك.

تواصل رودينا تلاوة القرآن، لقد تحول الرعب إلى كيان
مادي ومد يده داخل صدرها ليقبض على قلبها. تردد رودنا
لنفسها باكية:

- لن أستمع لهمس الموتى لن أستمع لهمس الموتى.

ثم تنظر لجثة علا وتقول: أنا آسفة.. لا بُد أن أقرأ أفكارك..
سامحيني.

ثم تمد يدها وتلمس رأس علا قبل أن تشهق..

للأثير ظلام صرخات ماجنة، هياكل عظمية، موت الكثير

منه.

يشحب وجه رودينا وتدرّك أنها تُحتَصِر الآن، سيتوقف قلبها لتسقط جثة فوق علا في خلال ثوانٍ لو لم ترحل.

تتسارع دقات قلبها بجنون بدرجه تألم قفصها الصدري.

وترى رودينا ذكريات علا..

ركن المصححة النفسية في كلية الطب..

جلسة غداء مع علياء وأنور في المنزل..

جلسات كهرباء..

ما هذا؟

لوح ووجوه ماجنة أعين تنظر إليها وتتابعها من اللوح في الظلام.

تشهق رودينا وتسعل، تكافح من أجل التقاط أنفاسها، هي علا الآن، تقف في غرفة نومها أمام المرآة، خزانة الثياب خلفها، تذهب إلى الفراش، باب الخزانة ينفتح.

ليلة قدوم جادو.

جادو يقترب، آه لم يكن يرتدي قناعًا تلك الليلة، لم يُسلخ وجه علا بعد.

تئن رودينا، هي علا الآن، جادو يتقرب منها.

لماذا رأيت جلسات كهرباء؟

يقتررب جادو، يخرج من الظلام، تصرخ رودينا وهي واهنة فوق الفراش في حين هو يجثم فوقها، يقتلع عينيها، تصرخ الجثة، تصرخ رودينا، تتناثر الدماء، يسليخ وجهها، تقفز رودينا للخلف، وتتسلق هاربة فتسقط فوق علياء، تتواصل الأفكار، الآن يرتدي القناع على وجهه، علا لا تزال حية، تلفظ أنفاسها الأخيرة بألم، لا ترى سوى الظلام، لقد أخذ عينيها، لكن رودينا ترى؛ ترى كل شيء.

تخرج رودينا تلك المرة، تصرخ وتبكي فوق أرض التربة، يقتررب منها كلب ينبح بقوة، ثم يتوقف ويتراجع بخوف؛ يخرج حارس المقابر وهو يبسملي ويحوقل.

تقول رودينا لعلا وهي تهمل بالهروب: آسفة، آسفة... سيعيد الحارس دفنك، أنا آسفة، كان لا بد أن أعرف.

يقتررب الحارس، ويهتف: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. وهو ينظر إلى المقبرة المفتوحة، تعدو رودينا مبتعدة بلا توقف..

لقد رأيت وجه جادو، لقد عرفت من هو.

الفصل التاسع عشر

الوقت الحالي:

ينظر آدم إلى حاتم من خلف المانع الزجاجي، ويتحدث ببطء، وبأسلوب مسرحي: لقد مر وقت طويل.

ثم أغمض عينيه، وأردف: الرجل الذي عض التراب يقابل الرجل الذي التهم بهجته مرة أخرى.

يصمت حاتم طويلاً، وقد وعد نفسه أنه سيتحدث بصوت قوي لا يفصح عن مشاعره، قال حاتم بصوت قوي ووجه ضلب: أرى أنك في حالة مزرية!

ضحك آدم، ثم صفر طويلاً، قبل أن يُدندن اللحن القدم، وجلس بعدها فوق حافة الفراش مبتسماً.

- هل عقدت صداقات جديدة يا حاتم؟ هل قتل جادو كل أصدقائك؟

- هل تشعر بالغيرة منه؟ أخذ الأضواء منك.

لم يبذ أي تأثير على آدم الذي قال: جادو تلميذ نبيه، أنا فخور به.

- لا تحاول نسب أعماله لنفسك.

- لم أحاول ولن أحاول، بلقائك أنا سعيد.

- حسنًا.

- أنت أتيت هنا لكي ترثي حالي؟

- أتيت هنا لأعرف.

ضحك آدم، وعاد برأسه للخلف، ثم نظر بعينين تلمعان إلى حاتم، وقال: أنا وأنت سنتحالف ضد جادو، تبدو فكرة جذابة.

سار حاتم خطوة إلى الأمام، وقال ببطء: أنت أشياء كثيرة، لكنك لست ولا شيء، لماذا أوشيت بهم لجادو؟

هز آدم كتفيه، وقال: لا تحاول تملقي، لا تعتقد أنك سترضي الأنا الخاصة بي فتدفعني للكلام.

- لن أدفعك لشيء يا آدم، أنت تعلم أنك تقف أمام الرجل الذي سيقتلك يومًا ما، أريد معرفة لماذا فحسب؟

مد آدم يده ولمس الزجاج، قبل أن يقول: تقصد أحدنا سيقتل الآخر يومًا ما؟

حافظ حاتم على انفعالاته دون رد، تابع آدم: حسنًا، لماذا أوشيت بالمجموعة من الأبطال الخارقين؟ لأن الأمر كان مسليًا، انتابني الفضول لمعرفة ما الذي سيحدث لو وضعتهم جميعًا في غرفة واحدة، جادو والأبطال ومن مجيئك أنت

أعتقد أنني قد عرفت الإجابة.

كان حاتم يعرف أن تلك إجابة صادقة، وقف آدم مرة أخرى، وأنحني مُحييًّا كالساحر فوق خشبة المسرح إزاء تصفيق الجمهور، وقال: أي أسئلة أخرى؟

- قصر سليمان، أهذا مجرد هراء أم هناك سبب؟

برقت عيني آدم ولم يرد، اكتفى بابتسامة فحسب.

تلقت حاتم حوله، ونظر إلى آدم خلف الزجاج.

انظر إليك، حالتك يُرثى لها حقًا، ملابس رثة ولحية طويلة، تبدو كالمشردين. أين بهجتك الآن؟

عاد آدم بوجهه للظلام متبسمًا حتى اختفت ملامحه ولم يرد، استدار حاتم مبتعدًا، فأتاه صوت آدم: وأنت؟ هل كنت دومًا حليق الوجه مرتديًا هذا القميص الرائع، وتحيا حياة جميلة؟

غمغم حاتم بنفس العبارة في حين آدم يقولها بصوت عالٍ: كلانا غير حياة الآخر.

- انتظر؟

التفت حاتم لآدم، وتابع الأخير: أنت تستحق معرفة الحقيقة.

قطب حاتم جبينه، وتأمل آدم قبل أن يقول: أنت تعرف من هو جادو؟

ابتسم آدم.

هم لم يسألوني مباشرة عن اسمه عندما زاروني.

اقترب حاتم من الزجاج:

- من هو يا آدم؟

- أعطني شيئًا ولسوف أعطيك شيئًا بالمقابل.

- سحاقًا لك!

- لا تكن وقحًا.

ثم حدق آدم بعيني حاتم مضيئًا: أنا أري نفسي في انعكاس عينيك.

ظل حاتم صامئًا وواقوم الارتجافة التي تبغي السريان في جسده بشدة.

- قل لي بم تشعر الآن؟ وكن صادقًا وإلا سأعرف، وفي المقابل سأقول لك: من هو جادو...

ظل حاتم صامئًا، وهو ينظر إلى آدم.

- بالخوف.

ابتسم آدم، وأغمض عينيه، وحرك رأسه في استمتاع كأنه يشم رائحة حاتم، ثم فتحهم ونظر إلى الأخير.

- شكرًا لصراحتك.

- لكن هذا لن يمنع من أنني سأقتلك.

تحسس آدم الجرح حول عنقه، وازدادت ابتسامته، قبل أن يهمس بإطراب: أنا قد أعطيتك قوة، أنظر إليك الآن، رجل خارق يطبق العدالة بيديه. أتتذكر لقاءنا الأول؟ كيف كنت حينذاك؟ ضعيفًا، حائرًا، عليك أن تشكرني أنا قد أريتك الحقيقة.

وأشار آدم بيديه لما حوله مردفًا: حقيقة العالم.

أنا قد أجبت سؤالك وقلت لك بما أشعر، والآن من هو جادو؟

- سيجموند فرويد.

- لا الأعيب يا آدم؟!

- ليست الأعيب لقد قلت لك الحقيقة للتو أمير الحوادة وسيد الخداع، جادو العظيم هو سيجموند فرويد، الحقيقة كانت أمام عينيك طيلة الوقت لكنك لم ترها.

وتراجع آدم للخلف ليقف فوق الفراش ويبتلعه الظلام
مرددًا، وهو يُصفرُّ: لم ترها.

يقف حاتم حائرًا، مفكرًا في كلام آدم قبل أن تنساب
الحقيقة لعقله، وتتسع عيناه مغمغمًا: يا إلهي!

وتتسع ابتسامة آدم، وهو يهمس: الرقصة الأخيرة قد
حانت.

ويهرع حاتم مبتعدًا ينظر إليه يوسف، فيصيح حاتم: لقد
تركناهم معًا هيا.

تتسع عيننا ناردين وهي تفكر.
يهمس بوارو: أنتِ تقتربين من الحقيقة.

تتصل رودينا بسليم وتصرخ: رد لقد عرفت الحقيقة.

يرقد سليم نائمًا فوق الفراش، يرن الهاتف فتأخذه
المرضة، قائلة برفق: سيوقظك هذا الشيء.

يزيد يوسف من سرعة السيارة وهو يصيح بحاتم: لا
أصدق كيف؟... كيف؟

تنظر آينور إلى أنور فوق مقعده المتحرك، تنظر إليه في
صمت ثم تقف وتقترب منه، وهي تعقد يديها خلف ظهرها،
وتهمس له بحب منحنية صوبه: لقد مررت بالكثير أليس
كذلك؟

ينظر إليها أنور بحزن ويبتسم.

تصرخ ناردين وهي تهب من فوق الفراش: المذكرات كانت
خدعة. المذكرات التي تسربت للعامة، كلها كذب.

تقترب آينور من أنور.

تعدو ناردين صوب الباب وعلى حاسبها الفيديو لإنقاذ
آينور للطفلة وتوصلها لأنور.

تتصل ناردين برقم حاتم الذي أرسله إليها صلاح، تصرخ

فور أن يجيب: أنا ناردين الصباغ. المذكرات كذب؛ لقد
تعمد جادو تسريب تلك المذكرات مع أنور، خدعته كانت
المذكرات، كتبها وسربها فافترضنا جميعًا أنها حقيقية. جادو
امرأة تبحث عن الشهرة، تريد أن تصبح الإنفلونسر الأهم في
مصر، جادو لم يكن رجلًا قط، جادو هو آينور.

جادو هو سيد الحوالة.

تقف آينور أمام أنور وتضع يدها على كتفه، وتبتسم...

لا تثق بما تراه في مدينة الخوف!

جادو يريد أن يكون مشهورًا، مثل المشاهير، الكثير ما
يعلنونه للعامة يكون كذبًا.

تتزايد ابتسامتها اتساعًا وهي تنحني صوب أنور الجالس
فوق مقعده المتحرك، وتهمس: أنا حقًا آسفة لما حدث لك.

يهز حاتم رأسه والهاتف على أذنه ويصيح لناردين: كلا،
آينور ليست جادو.

يهب أنور واقفًا من مقعده المتحرك وينحر عنق آينور
بسكين في يده، ثم يحيطها بذراعه وهي تشهق وتبصق
دمًا، ويهمس في أذنها: أنتِ الآن في حضرة جادو العظيم،
لا تقاومي، اتركي دمائك تنضب، نعم هكذا يا جميلتي، لا
تقاومي، أغمضي عينيك، وقريبًا سيحل الظلام نومًا هنيئًا يا
جميلتي.

كلا يا ناردين المذكرات كانت كذبًا؛ لكن آينور ليست جادو.
أنور حمدان هو جادو.

يقولها حاتم هو في السيارة جوار يوسف، ويردد:
سيجموند فرويد. الطبيب النفسي هو جادو.

تشاهد رودينا مقطع الفيديو مرة أخرى للقاء آينور وأنور
وتركز عينيها على وجه أنور، وجه قاتل علا.

جادو هو أمير الحوارة.

أنا جادو العظيم:

سيد التضليل.

كان يسبقنا دومًا بخطوة ويتوقع كل تحركاتنا.

ينظر أنور حمدان باكيًا إلى انعكاسه في المرآة، على مقعده المتحرك، وهو يتذكر بناته، ثم يبتسم ويقف بعدما ينتهي من تدريبه على شخصيته الجديدة التي سيظهر بها للعامة.

جادو.

تصل سيارة يوسف ويقفز منها الأخير مع حاتم. عربة

النجدة التي اتصل بها يوسف من القسم القريب قد وصلت قبلهم.

تصل ناردين بعدهم بدقائق ومع تسرب الأخبار تذهب رودينا إلى مسرح الجريمة.

يدخل يوسف من خلفه، وينظرون إلى جسد آينور بعدما مزقها جادو إربًا، صرخ يوسف: يا إلهي!

ونظر حاتم إلى البطاقة الورقية المعلقة على قدم آينور، والمكتوب فوقها: جادو فعلها، لقد أخذت رمز الأمل الخاص بكم.

وصلت ناردين وهي تلهث لتقف وراء حاتم، وانضمت إليهم رودينا، وفي تلك الآونة كان سليم قد استيقظ ويتصل بالأخيرة، وهم يقفون ينظرون إلى ما فعله جادو.

نظر حاتم خلفه، في اللحظة التي ارتمت فيها رودينا في حضن ناردين، وهي تهتف: حمدًا لله أنك حية.

ثم نظر كلاهما إلى حاتم، وقالت ناردين: أنت حاتم؟

أوما برأسه، وقال: ناردين.

- نعم.

- لقد قابلت صلاح.

- أخبرني.

قالت رودينا: لنرحل من هنا.

- انتظر يا أستاذ.

اقترب أمين شرطة منهم، فأتى يوسف بوجه محتقن، وقال لحاتم: لا أريد حتى أن أعلم من أنت، لقد أحببتها، كانت جميلة وتريد فعل الخير، وقد دمرها هذا المسخ، سنطارده ونجده، لكني أعمل تحت القواعد، أرحل، خذهم وأرحل، آينور كانت لا تريد مني فعل هذا. لا أريد رؤيتك مرة أخرى. نَقِّذ العدالة لو استطعت.

أوما حاتم برأسه ليوسف، واستدار راحلاً مع ناردين ورودينا.

نقل سليم ناظريه بين ناردين ورودينا ثم إلى حاتم قبل أن يقول: لا أصدق أن كل هذا حدث.

كانوا ينظرون إليه في صمت. والتفتت رودينا إلى حاتم وقالت: أرى داخلك أنك لا تصدق، سنثبت لك الآن.

ظل حاتم صامئاً، وكتب في الورقة: وذهب أنور الحمدان الملقب بجادو إلى ميدان التحرير، وانتحر هناك وسط العامة،

عن طريق نحر عنقه.

ظلوا يتفقدون هواتفهم مدة نصف ساعة، لكن شيئًا لم يحدث. هز حاتم رأسه، في حين عقد سليم حاجبيه، ثم سأل: كيف؟

قالت رودينا بتردد: ربما تكون فقدت الموهبة بعد الطعن
و...

قبض سليم على الورقة، وكتب فيها: انحنت رودينا واحتضنت سليم، في حين مرت الممرضة شكرية وغنت «ظلموه».

انحنت رودينا واحتضنته بقوة، دون أن تعرف إن كانت أرادت هذا أم هو من جعلها. ومَرَّت الممرضة تُغني من خلفهم. رفع حاتم حاجبيه في دهشة، في حين عادت رودينا إلى الخلف، وهتفت في غضب: لا تجعلني أبدًا أفعل شيئًا لا أريده!

قال لها في عقله: آسف، أردت بشدة احتضانك.

هدأت قليلاً، وغمغمت ناردين: أنت ما زلت تمتلك موهبتك، لكنها لم تؤثر به على رغم تعاملك معه عندما هاجمك وأعتقد أنني أعرف السبب.

نظروا إليها فتابعت بسرعة: طاقة الشر تجذب الشر، استعان عامر بنا وبقدراتنا الخارقة لمواجهة جادو، وبدوره اعتقد أن جادو ذهب ليستعين بمساعدة خارجية، بطاقة شر أقوى، وهي القصر كما قالت النبوءة. تحالفنا نحن ضده، فاحتمى هو بالقصر من قدراتنا.

- هذا هراء.

تنهدت رودينا ونظرت إلى حاتم، ثم شهقت وهي تخرج من عقله، نيران غضب مشتعلة بكل صوب. همست ببطء: أنت تفكر الآن في أنك السبب في مقتل آينور، تلوم نفسك وتشعر بغضب عارم، وتفكر في آدم. تحاول أن تجد وسيلة لقتله داخل المصححة، كما أن هناك شخصًا دومًا قابع داخل أفكارك، وهي زوجتك الراحلة. هل تصدق الآن بالماورائيات أم نأمر سليم أن يجعلك ترقص فوق قدم واحدة؟

ظل حاتم ينظر إليها، فتابعت: آسفة لم أقصد الإساءة، لكننا بحاجة إلى تصديقك ما يحدث.

أمسك سليم الورقة وبدأ يكتب، فهتف حاتم: إياك حتى أن تفكر! حسنًا، أصدقكم، تابعي يا أستاذة ناردين.

نظرت إليه ناردين وأرادت أن تضحك بمرارة؛ الرجل الذي عَضَّ التراب يدعوها بأستاذة. تابعت هي: أعتقد أن جادو لم

يكن يعرف حتى وجود قصر سليمان. أعتقد أن آدم هو من نصحه بالذهاب بعدما ذكر لكم القصر.

غمغم حاتم: تلك طبيعة آدم، يحرك الخيوط من بعيد، يضعنا جميعًا في مكان؛ لأن الفضول ينتابه. يريد أن يرى النتائج كأنها لعبة مسلية، كأننا في مسرحية و آدم هو المخرج.

- وكيف عرف آدم القصر؟

أراد حاتم أن يقول أن آدم يعرف كل شيء، لكنه آثر الصمت. فرددت رودينا وهي تنظر إليه: آدم يعرف كل شيء.

نظر إليها حاتم، في حين قالت ناردين: لنضع خطتنا الأخيرة ونحن في طريقنا إلى القصر هناك.

- طريقنا إلى القصر؟

- جادو هناك.

- حسنًا، هيا بنا.

- سأذهب معكم.

نظروا إلى سليم باعتراض فهتف: سأذهب معكم! وربت على المفكرة: سأقنع الطبيب.

- ولو فُتحت جراحك ومت في الطريق؟

رفعت رودينا يديها مهدأةً، وقالت: ساقراً أفكار الطبيب.
ولو كانت حالته خطيرة، سنبقيه هنا. ولا رجوع في الأمر.

قالت هذا مشيرةً إلى سليم، وذهبت لتتحدث مع الطبيب،
ثم عادت وهزت رأسها نافيةً قائلةً: أي حركة قوية قد تُعيد
النزيف الداخلي و...

كان يكتب في مفكرته مسرعاً، فهتفت رودينا: أوقفوه!

أدارت رودينا مقود السيارة، جلست ناردين جوارها، وفي
الخلف حاتم وسليم، وهتفت محنقةً: لا أصدق أنه كتب في
مفكرته أننا سنأخذه معنا!

غمغمت ناردين: كل الكتاب عنيدون.

التفتت إليها رودينا بتعاطف، وهمست ممسكة يدها: أنتِ
لم تكفي عن التفكير في صلاح لحظة.

- لقد ذهب لإنقاذنا، والآن لا أعلم أين هو.

- سنجده هناك، لا تقلقي.

- أنتِ لا تفهمين، نحن ذاهبون إلى بلدة مهجورة ملعونة، بها

قصر شريير وسفاح مرعب، وصلاح هناك بالفعل.

- صلاح صلب.

هنا قال حاتم: جميعكم تتميزون بالصلابة، لقد نجوتم جميعًا من جادو؛ بسبب موهبتكم الخاصة، بعد أن اعتقد أنه قتلكم. أنتم الناجون الوحيدون من جادو.

وأردف حاتم في عقله: وأنا لم أفعل شيئًا سوى التسبب في مقتل آينور، ووثقت وتعاطفت مع أنور (جادو نفسه) وتركته يخدعني.

تنهدت رودينا في صمت وهي تقرأ أفكاره قبل أن تقول: لا تلم نفسك، ولا تنس أنك أنقذت سلوى.

تأوه سليم وهو يتحسس جدار معدته، وتجاهل نظراتهم قبل أن يقول ببطء: رودينا.

- نعم.

- أخبرينا الحقيقة الكاملة التي رأيتها داخل عقل ابنته.

- لم تكن ابنته.

واصلت القيادة وتنهدت مكررة: لم تكن ابنته. عندما كنت داخل عقله، كان العامل المشترك هو الروب الأبيض الذي ارتداه في حفل تخرجه، لكنه لم يرتده حقًا في حفل تخرجه،

كان يعتقد أنه ارتداه.

- ما الذي تقصدينه؟

- جادو يستولي على حيوات الآخرين، هو بلا شخصية، بلا هوية، لا يوجد وجه أسفل القناع. نفسيًا لا شيء. لقد كان مريضًا في مصحة نفسية، وقتل طبيبه النفسي، واستولى على شخصيته، وهويته، ورقمه القومي، كل شيء، ثم نرح إلى القاهرة باسم الطبيب النفسي أنور حمدان. لا أعتقد أن أنور هو اسمه الحقيقي، أو ربما يكون، لست واثقة من هذا الجزء، وعمل بصفته طبيبًا في مصحة هنا. تخيل، طبيب زائف تذهب إليه للعلاج، ولا تعلم أنه قاتل مختطف. لقد اختطف علا وعلياء وهما طفلتان، هما بنات الطبيب الذي قتله، وأتى بهما هنا. كان يخضعهما لعقارات هلوسة وجلسات كهرباء وهما طفلتان حتى نَسيتا، واقتنعتا أنه أباهما، وعاشوا معًا سنوات طويلة، وأصبح لهم حياة اجتماعية. كان يقضي أغلب وقته عاملاً، يحيا حياة الطبيب، ويعذب مرضاه بطرقه الخاصة. ربما كان يقاوم رغبته في القتل، ربما كان يقتل قبل واقعة قطار الأنفاق، لا أعلم. دافع جادو إلى القتل هو حبه للنساء والشهرة، لكن الذي جعله قاتلاً هو فاجعة الطفولة التي تعرض لها، وهي مقتل أمه أمام عينيه. لذا جعلها حية في مذكراته. ربما لا تزال على قيد الحياة داخل عقله، شاخت

معها، يقضيان أوقاتًا سعيدة، تحتفل بعيد ميلاده وكل شيء، لو لاحظتم جلساته مع أمه في المذكرات أشبه بجلسات طفل لا رجل بالغ. لقد احتفظ بذكريات طفولته السعيدة معها قبل موتها، تلك هي الحقيقة الوحيدة عن جادو. ثم عانى من جده السكير وإساءاته له، واضطهاد وتنمر الجميع. ربما ذهب إلى مصحة بعدها، قبل أن يقتل الطبيب، ويستولي على حياته، ويخطف بناته. لقد انتقم من قَتلة أمه كذلك، جادو هو الأنا البديلة لتلك الشخصية، المسخ الذي صنعه المجتمع. وعندما كبرت الفتاتان، وتطورت مشاعره تجاههما، قتلها. تخيل مشاعر كل واحدة منهما، تحيا في بيتها، أكثر من خمسة عشر عامًا مع والدها، ولا تعلم أنه ليس والدها، بل قاتلاً بغيضاً يبغى جسدها، وهو من قتل والدتهم لا السرطان. أعتقد أن الـ «سوشيال ميديا» أثرت فيه، لقد كان مدمناً لمقاطع الفيديو على الـ «إنستجرام» والـ «فيسوك»، وزرعت بداخل شخصيته النرجسية المختلة رغبة في الشهرة. هو قاتل أراد أن يصبح «إنفلونسرز» ولم يتحمل المنافسة، فقتل آينور. كان يحضّر نفسه للعودة إلى الظهور في صورة أنور القعيد، وجّهز الكرسي المتحرك عندما اقتحم حاتم الشقة. لا بد أنه اعتقد أنك كشفت أمره بطريقة ما قبل أن تتحدث ليفهم أنك تريد مساعدته. وهكذا عدّل في خطته واستمر بها، واستمر في شخصية أنور حمدان. كان سيحدث الضجة

الإعلامية كلها، ويحصل على الشهرة كأ نور حمدان -الضحية التي نجت- من ناحية، وكجادو القاتل المرعب من ناحية أخرى، وبهذا يشعر أنه أفضل من الجميع، وأذكى من الجميع، ويستمر في قتل الفتيات من أجل متعته الشخصية. لو فكرتم في الأمر، جادو قاتل تقليدي يقتل من أجل شهوته، ورجل يريد الشهرة والنجاح في الآن ذاته.

انتهت رودينا من الحديث فأضافت ناردين بشرود: وما كتبه سليم لم يؤثر فيه؛ لأنه قد وصل بالفعل إلى القصر. الشر يستعين بالشر، عامر عمران استعان بالخوارق، ففعل جادو الشيء ذاته، واستعان بقصر سليمان. هناك نوعان من الشر: الشر القديم الذي كان يخيف رجال القبيلة؛ ليختبئوا داخل الكهف، ومنهم ورثنا الخوف من الظلام، وعواء الذئب، وصوت الدّبة، والحيوانات البرية، والشر الكامن في المجهول بين طيات الظلام، وهذا هو شر قصر سليمان الذي جذب الشر الآخر إليه. والشر الحديث الداخلي الكامن في النفس البشرية، ينتج عن الطمع والشهوة والجشع والغريزة، وهو جادو. هذا النوع من الشر ينتشر كالعدوى، والطاقة السلبية. وجادو انتشر عبر مواقع التواصل، طاقته السلبية في كل صوب. والآن يذهب جادو للتحالف مع الشر القديم الذي نسي الإنسان أمره، وهو المجهول، والرعب.

غمغم سليم بإعياء: حكاية القصر تلك تبدو قصة أشباح رديئة.

تهز ناردين رأسها نافيةً: قصر سليمان ليس بيت أشباح؛ لا توجد أرواح تُحرِّك الأثاث وأشياء كهذه. قصر سليمان طاقة نفسية شريرة، ربما ناجمة عن هلاك العمال وهم يبنونه واختلاط عظامهم بالجدران. وربما العمال الذين هلكوا داخل أنفاق القصر ونفقوا جوعًا، تحولوا إلى قبيلة من آكلي لحوم البشر، وربما كان يمارس سليمان السحر الأسود حقًا داخل القصر، واستدعى شيئًا ما ككيان مظلم قتل عائلته. ربما القصر مبني على مقبرة قديمة للفجر الذين اعتادوا ممارسة السحر الأسود.

- لكنك لا تعتقدين أن تلك هي الأسباب.

- أعتقد أن تلك نتائج، أعتقد أن السبب هو أن القصر بُني سيئًا، لو كان هناك شيء كهذا.

- مثل البشر؟

- نعم.

- يبدو الأمر خياليًا للغاية.

تتنهد ناردين، وتنظر إلى خيالها العجوز، تبتسم له في صبر

وترد: أنا لا أعلم أية حقائق.

- هناك سؤال آخر يحيرني.

قالتها رودينا وهي تزوم بشفتيها مفكرةً بتلك الطريقة التي يجدها سليم جذابة للغاية. وفكر متنهّدًا: أريد حقًا تقبيلها عندما تزوم بشفتيها مفكرةً بتلك الطريقة. صمتت رودينا قليلًا، ثم التفتت إليه. غمغم: تبًا، وضربه إيدجار آلان بو على رأسه هاتفًا: أنسيت أنك سمحت لها بقراءة أفكارك؟!

رفعت رودينا حاجبيها في سخرية ودهشة مصطنعة، فتراجع آلان بو هامسًا: لقد رأيتني.

ضحكت رودينا، وهمس سليم: بعض الخصوصية لو سمحت.

نظرت إليه وهي تضيق عينيها، قبل أن تزوم بشفتيها مرة أخرى. ابتسم سليم، والتفتت رودينا برأسها إلى ناردين قائلةً: سؤال يحيرني بحق.

- ما هو؟

- لماذا هرب جادو إلى قصر سليمان؟ كان يعتقد أننا موتى، وخطته كانت تسير إلى الأمام.

هز حاتم رأسه قبل أن يقول لهم: اسمعوني جيدًا، آدم

حذره مرة أخرى، آدم أعطاني هوية جادو، قال لي إنه سيجموند فرويد، أي الطبيب النفسي أنور، وبعد رحيلي تواصل آدم مع جادو وأخبره أنني قد كشفت عن هويته. أعتقد أن جادو لا يزال يعتقد أنكم موتى، لكنه توقع أنني سأفضح أمره وأخبر الجميع بهويته، ولذا ذهب إلى قصر سليمان.

- هذا غير منطقي.

- لماذا؟

- لأنه يعتقد أنه تغلب علينا جميعًا ونحن ذوات القدرات الخارقة، لماذا سيذهب إلى القصر ليواجهك أنت؟ لا أقصد الإهانة.

- تقصدين أنه يعلم أنكم أحياء؟

- بالطبع.

- كيف؟

- ثقة جادو ورغبته في مشاهدة نتائج فعلًا. لقد انتظر بالأسفل وسط الحشود، لم يترك مسرح الجريمة ورآنا.

- كان الوغد هناك طيلة الوقت.

- لكنني لم أشعر بأفكاره.

- إرادته قوية.

-- إذًا هو رآنا، وعرف أننا أحياء، وأن حاتم يعرف هويته وفقًا لرسالة آدم؛ فقرر ترك خطته، واتباع نصيحة آدم بالذهاب إلى قصر سليمان.

- نفس النصيحة التي اتبعناها نحن. نعم، أعتقد أن تلك نظرية منطقية.

- وآدم يُحرِّك الخيوط عن بعد، ويحدد أين ستنتهي الحكاية.

تنهد حاتم ثم علق: أتعرفون الجدل القديم حول الفارق بين تأثير المرض النفسي والجسدي على المرء؟ أيهم أكثر سوءًا؟ أغلب الناس تقول إن المرض النفسي أسوأ، لأن المرض الجسدي له علاج.

غمغمت ناردين: وأنا أعتقد أن هذا هراء. قل هذا لرجل يتوجع ألمًا بسبب فشل كلوي، أو رئة مثقوبة، أو ذراع مكسورة، أو شلل.. المرض الجسدي أكثر ألمًا وبشاعة.

- أو افكك، ولم أشر إلى الموضوع لأثير جدلاً، ما أردت قوله هو إن جادو هو المرض الجسدي، هو العجز والألم، وله التأثير الخاص بالأوجاع الجسدية، يعذب ضحايا جسديًا

قبل تشويهم وقتلهم.

- تريد قول إن جادو هو المرض الجسدي، وآدم هو المرض النفسي.

- آدم قادر على الدخول إلى روحك وإطفائها، هو يتلاعب بالبشر. لقد جعل رجلاً يعترف بجريمة قتل لم يرتكبها سابقًا، وجعل زوجة تترك زوجها بعد أن جعلته يؤمن أنها قُتلت أمام عينيه وفشل في إنقاذها، وجعل آخر يبتلع لسانه لمجرد الحديث معه. آدم يمتلك قوة نفسية غريبة، لقد حرق أطفالاً في موقد أمام جدتهم؛ فقط ليرى إن كانت ستصاب بنوبة قلبية أم لا. نعم، آدم هو المرض النفسي.

- وعلى هذا أيهم أشد خطرًا من الآخر؟

- الاثنان مختلفان. هذا ما أستطيع قوله.

غمغم سليم: أرى هناك مجموعة تتحدث عن الطعام والعلاقات والسينما. لماذا لسنا مثلهم؟

- التميز يا صديقي، التميز.

استراح الرفاق وتناولوا الطعام وأخذوا إلى النوم قليلاً في السيارة، ووزعت رودينا عليهم الكثير من القهوة من الترمس الخاص بها، ثم واصلوا رحلتهم الطويلة.

بينما كان حاتم يحدثهم عن آدم، انسلت رودينا إلى عقله مرة أخرى. لم تجد أفكارًا، لم يكن هناك دهاليز، ولا ممرات، ولا نوافذ، ولا مكتبة عتيقة كالتي توجد في عقل ناردين، ولا مشاعر مختلطة وحائرة كالتي توجد داخل صلاح. لم تجد سوى نيران مشتعلة، نيران كادت أن تحرقها، وآلمتها بشدة. وقالت رودينا مبهوتة: غضب مطلق، غضبه هو قوته. ثم رأت شيئًا آخر، جعلها تخرج في صمت، تلك الزوجة التي خدعت زوجها، وجعلته يعتقد أنها ماتت أمام عينيه وهو عاجز، وأحبت آخر، تلك المرأة التي تحدث عنها حاتم وهو يصف أفعال آدم، هي زوجة الرجل الذي عصّ التراب.

النيران كانت تحمي ذكريات حاتم، أو تحرقها، لكنها تبينت تلك الحقيقة بالداخل. وتنفست رودينا الصعداء؛ لأن النيران لم تمسها بالداخل، قبل أن تنظر إلى حاتم وهو جالس مغمض العينين. لم يكن نائمًا، أهو يفكر أم هو وسط اللهب المشتعل داخله؟ الحقيقة أنه كان يتذكر آينور ويلوم نفسه ألف مرة لمقتلها، ونيران الغضب تجتاح جسده وهو يتذكر خديعة أنور له. نظرت رودينا من النافذة، وانعكس الطريق على عينيها، كانت تشعر بالارتباك والحيرة بعد محاولة قراءة عقل حاتم، كانت بحاجة إلى هدوء. وجدت نفسها تدخل عقل سليم لتجد نفسها تحتل أفكاره بقوة. ابتسمت رودينا بهدوء؛ كان يحتضنها في عقله وأنفه يلتقط رائحة شعرها. ثم يمسح

بيده على رأسها. ظلت في عقله فقط لتجد أنه ينظر إليها،
وتبادلا الاثنان ابتسامة صامتة، قبل أن تتراعى أمام أعينهما
لافتة: «ادخلوها آمنين».

ووراء تلك اللافتة يستقر نفق طويل، في النهاية تقبع البلدة
المهجورة.

الفصل العشرون

قصر سليمان

«والمسافرون الآن عبر الوادي

يرون من خلال النوافذ المضاءة بالأحمر

أجسادًا ضخمة تتمايل بشكل خيالي

على خلفية أنغام متضاربة.

ومن خلال الباب الواهن كنه متسارع، تتدفق الحشود

الشنيعة الأبدية.

يضحكون لكنهم أبدًا لا يبتسمون».

إدجار آلان بو.

يدخلون البلدة المهجورة ببطء، تتوقف رودينا بالسيارة،

وتسألهم:

- هل أنتم مستعدون؟

لا تنتظر رودينا ردًا، وتواصل القيادة بعدما توقفت ثواني،

ذراعها لا تزال تؤلمها بشدة، لكنها أصرت على القيادة لسبب

لم تفهمه. تدخل السيارة النفق، وتقول ناردين: أتشعرون بما أشعر به؟

- الطريق يتغير، والهواء يتغير، كأننا ذاهبون إلى عالم آخر.
- أعلم أننا ناقشنا الأمر من قبل، ولكن في تلك اللحظة يبدو لي إبلاغ الشرطة عن مكان جادو والرحيل من هنا حل ذكي.
- وماذا نقول لهم؟ جادو يقبع بمدينة مهجورة نائية داخل قصر شيطاني وشرير؟ نحن وحدنا، ولن يصدقنا أحد.
- أنا نفسي لا أصدق ما يحدث.

- عبرت السيارة النفق، وسارت ببطء وسط شوارع المدينة الخالية، والسيارات والبنائيات المحترقة، وتماثيل الشمع المحترقة تقف هنا وهناك لسكان البلد.

حاولت رودينا قراءة أفكار التمثال، لكنها لم تجد شيئًا. سليم كان يتلفت بعينيه ويلتقط كل التفاصيل. ناردين يتعالى على وجهها تعبير معرفة المكان قائلةً: لقد رأيت كل هذا من قبل، أنا لا أهتم بهذا الهراء الآن، أريد الاطمئنان على صلاح فحسب.

- حاتم يبحث عن جادو في الأرجاء.

تهمس رودينا وهي تنظر في الخريطة الإلكترونية: الإشارة

لا تعمل.

انعطفي يمينًا، ثم واصلي حتى آخر الطريق. انعطفي يمينًا بعد ذلك، بعدها سنصبح مواجهين القصر.

- حسنًا.

تدير رودينا المقبض وهي تئن بصوت خافت، والتقطت أفكار سليم من المرآة الخلفية، يقول في عقله: أتمنى لو كنت أملك القدرة على مداواة ألم العظم.

ثم مد يده ووضعها على كتفها برفق. ابتسمت ناردين وهي تراقبهما دون تعليق.

- ما هذا الضباب الكثير؟

كان هناك الكثير من كابينات الهواتف القديمة في الشارع المهجور، وفجأة بدأت كل الهواتف في الرنين، وانتشر الضباب ليغشي أبصارهم، وخيّل إلى رودينا أنها ترى مقاعد تتحرك داخل المتاجر الخالية. ابتلع سليم ريقه وظلت ناردين صامتة، ثم همست في خوف: هناك شيء في الضباب.

كانت هناك ظلال في الضباب.

- لا توقفوا السيارة، وحاولوا السيطرة على خوفكم.

- عيون التماثيل تتحرك بجنون، تنظر إلينا.

- لا تنظري إليها. لنعبر الضباب، إنها الطاقة الشيطانية الخاصة بقصر سليمان. تلك البلدة متعفنة بالشر.

تحركت عجلات السيارة ببطء، وعبروا الضباب، وتوقفت الهواتف عن الرنين.

ثم رفعت روديना رأسها، وتراجع سليم بيده في حين ارتكزت عيني حاتم على ما ينظران أمامهما، في حين غمغمت ناردين، وهي تنظر أمامها: قصر سليمان.

قبل عدة ساعات..

قال يوسف لحاتم: ارحل، لا أريد أن أراك مرة أخرى. وكرر لنفسه مستديرًا عقب رحيل حاتم: هذا ما كانت هي تريد مني فعله.

ثم خطا إلى الأمام وسط المسعفين ورجال الشرطة، وكان اثنان منهم يقتربان بتردد ومعهما ما تبقى من جسد آينور ليُنزلوها أرضًا. كان حزن حقيقي في عيني يوسف، وشعور بالانقباض، يعلم أنه سيبقى معه مدة طويلة، أسوأ شيء أنه سيعود إلى المنزل ويتظاهر أمام زوجته أن كل شيء على ما يرام. لقد أحب يوسف زوجته، لكنه أيضًا يحب آينور، سرت

قشعريرة في جسده عندما تذكر أن هذا ما كتبه هذا المسخ
في مذكراته.

يقترّب أحد زملائه قائلاً له: أنت بخير؟

كان هناك أحاديث عن مدى قرب يوسف من الجميلة
الراحلة. بدا له صوت زميله بعيدًا، كأنه ينتمي إلى عالم
آخر، التفت يوسف ورحل دون أن يرد. يقترّب من سيارته
بشروود ويدخلها ببطء، دون أن يلاحظ أن الباب كان مفتوحًا
بالفعل، يدير المحرك دون أن تلتقط أذناه الرائحة الكريهة
في السيارة، ويتحرك بالسيارة. لا يريد أن يعود إلى المنزل،
لكنه مرهق بشدة ولا يمتلك البال الرائق للذهاب إلى أي مكان
آخر، يريد أن ينال قسطًا وافرًا من الراحة.

وصل بالسيارة وأودعها في المرآب، خرج منها ولم يسمع
صوت فتح الباب الخلفي، كان مشئت البال بحق. سار إلى
الأمام متجهًا إلى السلم، والمرآب خالٍ من حوله. ربما لو دقق
النظر لرأى كتف أحدهم تختفي من ورائه في انعكاس مرآة
إحدى السيارات، لكنه لم يدقق النظر. واصل يوسف السير
وصعد السلم، وركب المصعد إلى الطابق الرابع، خُيل إليه أنه
رأى شخصًا يقترّب من بعيد وباب المصعد يُغلق.

- بابا.

قالتها ابنته ذات العامين كعادتها عند رؤيته أو رؤية أي رجل. كان يزعج والدتها فهي تريد منه أن يأخذ الطفلة إلى طبيب تخاطب، لكنه كان يخبرها دومًا ألا تقلق والفتاة تتعلم الكلام ببطء. حركت ابنته يدها ممسكة بدمية بطة صغيرة، ضحك يوسف واتجه إليها ليقبّلها مسرعًا. هنا علينا مراعاة الدقة؛ لقد ارتكب يوسف العديد من الأخطاء كالتشتت وعدم التركيز أو الانتباه، لكنه كان مهمومًا بحق، لدرجة أنه اتجه إلى طفلته وترك باب الشقة مواربًا. في الحقيقة كان جادو سيقتحم الشقة في كل الأحوال، لكن ربما يقول البعض إن يوسف أراد أن يموت، وسيقول آخرون إن هذا غير صحيح، وإنه كان حزينًا فحسب. ينحني يوسف ويحتضن ابنته.

تحببته زوجته من المطبخ، ترفع الطفلة ابنة العامين عينها وتنظر خلف يوسف..

عقد يوسف حاجبيه والتفت إلى الخلف، ليهوي جادو بخطاف حديدي في فمه، فيسقط يوسف في ألم وهو لا يصدق ما يحدث، ثم ينتهي منه جادو ويخرج هاتف آينور من جيبه، ويفتحه ببصمة إصبعها الذي يحتفظ به، ويبدأ البث المباشر من صفحة آينور حيث ملايين المشاهدين.

نراهم جالسين في أفرشتهم، وسياراتهم، وغرفهم، والكافيهات، يسرون في الشارع، وفي المواصلات. ينظرون

في هواتفهم، يحنون رؤوسهم وينظرون. يصرخ بعضهم،
ويحرق آخرون في الشاشة، وبعضهم يضحك، وغمغم فتى:
يا إلهي، إنه يرتدي وجه آينورا!

لقد قتل رمز الأمل والجمال، يحرق في الشاشة وعيناه
تدوران متنظرًا وصول أرقام المشاهدة إلى الرقم المُبتَغى،
ثم يحرك الهاتف؛ ليربهم ما يفعل وهم يشهقون، ويصيحون،
ويضحكون في انفعال غير مصدقين، والبعض يحرق بصمت
وبلاهة.

تنهاى التعليقات:

أرجوك، توقف!

أيها المريض!

افعلها، اقتلها، أتحداك!

يا إلهي ما الذي يحدث؟!

لا بد أن تلك خدعة!

كلا كلا لقد قتل آينور، الأخبار كلها تتحدث عن مقتلها!

آه، الحمد لله.

قلت لكم إنها خدعة.

تصرخ الأم مرتاعةً وهي ترى ما يحدث، يشير جادو بإصبعه إلى فمه ويشير إليها أن تصمت في تهديد صامت ومخيف. تتسع عيناها وهي ترمق طفلتها بين ذراعيه، وجسد زوجها، لا تقوى على الكلام، تحرك شفثيها هامسةً: أرجوك.

تجد نفسها تمتثل لأوامر جادو العظيم.

يمسح جادو شاشة الهاتف بالدماء التي على يده، ويقول محدثًا الكاميرا: كيف الحال؟ أتمنى أن تكونوا بخير. أردت اليوم أن أحدثكم عن مفهوم العائلة: الأب. (ويشير بالكاميرا إلى جثة يوسف). ثم واصل: والأم (مصوبًا الكاميرا صوب الزوجة). والمستقبل، تلك الطفلة الجميلة. لا تُدللوا أبناءكم، تلك هي نصيحتي لكم أيها المتابعون، وأنتم حقًا خير متابعين. شكرًا لتفاعلكم، ولا تنسوا النشر والمشاركة.

اندلعت مظاهرات غاضبة ضد جادو في الشوارع سادها الهرج والمرج. قاد أنور حمدان سيارته إلى جانبهم، وتمتم: الغضب شيء مثير للاهتمام حقًا.

كان يحدث الزوجة، التي حملت طفلتها في رعب، وهي لا تستوعب بعد ما حدث. كيف أخذهم جادو من البناية قبل

وصول الشرطة، وقبل استيعاب العامة ما يحدث في بيت يوسف، زوجها الذي مزقه إربًا؟! كيف رحلت معه وهي ترجو الله أن يراها الجيران أو الحارس؟! لكنها وحيدة، لم يأت أحد لإنقاذها، وهي الآن معه في سيارته.

- انظري إليهم.

قالها جادو مشيرًا إلى المتظاهرين في شوارع المدينة المظلمة.

كان يحمل بعضهم صورة آينور، وتحدث عدد كبير من الـ«إنفلونسرز» عن الفاجعة الجديدة. كان جادو يشاهد مقاطع الفيديو وهو يقود سيارته، ثم نظر مبهورًا إلى جماعة أخرى من مؤيديه الذين خرجوا في الشوارع يهتفون له. خفق قلبه وضحك ظانًا أنها بداية النجاح. اشتبك مؤيدو آينور الراحلة مع مؤيدي جادو وعمت الفوضى الشوارع. قاد جادو سيارته، ثم أوقفها مفكرًا وهو ينظر إلى انعكاس عينيه في المرآة، قبل أن يقول محدثًا زوجة يوسف أو الطفلة (هي لم تتبين قط أيًا منهم كان يُحدِّث): لقد رأيت ناردين ورودينا مع حاتم، هم لا يزالون أحياء. لا أفهم كيف نجوا؟! ميزت نبرة الغضب في صوته قبل أن يُكمل: لكّتي بحاجة إلى الفتك بهم، آدم أرسل إليّ أن حاتم يعرف من أنا. الآن، هذا أمر مؤسف، لقد استمتعت بلعبتي الصغيرة مع حاتم.

ابتعلت الزوجة ريقها، وقلبها يكاد يقفز من ضلوعها، التفت إليها جادو بغضب وصاح: ألا تفهمين ما أتحدث عنه؟!

ارتجت المرأة، وبكت طفلتها. ضحك جادو وأكمل: بالطبع لا تفهمين.

وحسس بيده على شعرها، وأضاف بحنان: لكنك ستفهمين. واصل جادو القيادة، وهو يفكر في المجموعة التي تتصدى له. لقد أفسدوا الخطوة الأخيرة في خطته بنجاتهم منه وكشفهم عن هويته، اللحظة التي انتظرها منذ البداية. خطته الأصلية تضمنت دخوله أمام البث المباشر؛ لينقذ سلوى أمام أعين الكاميرا، وهكذا يعود أنور حمدان البطل أمام الجميع وينقذ الطفلة. الوحيد الذي نجا من جادو، هو جادو نفسه. ابتسم وهو يتذكر مدى عبقرية خطته، وتسريب المذكرات الزائفة التي ضمنت تعاطف الجميع مع أنور. يتعاطفون مع جادو ضد جادو، ثم عبس وجهه بمقت، فقد أفسد حاتم تلك الخطة، وأنقذ سلوى وجعل آينور بطلة، لذا كان على جادو الارتجال وأخذ زوجة وابنة يوسف معه. حقيقة أن عودة شخصية أنور للأنوار أخذت نصيبًا من الشهرة، لكنه بحاجة إلى عمل بطولي ليضمن تفاعلهم، وكان ينوي أنور ابنة يوسف في تلك المرة، وللمرة الثانية أفسدوا خطته. هم لا يزالون أحياء، ويعرفون من هو. قبضت يدا

أنور على المقود بكراهية، فكرت الزوجة الباكية أن تتوسل إليه كي يتركهم، لكن حالة الرعب التي أصابتها منذ رؤية الغريب في بيتها أصابتها بشلل تام. بيتها حيث من المفترض وجود الأمان، لا يوجد أمان مع جادو. أي أحد معرض إلى الخطر. (تبكي الطفلة).

- أحرص عليها وإلا انتزعت لسانها وخنقتك به!

تضع الأم يدها المرتجفة على فم ابنتها، يحاول جادو تهدئة نفسه: لا بأس. عادت إليه ذكريات بكاء علا وهي طفلة عندما أخذها من أهلها ولعب دور القدر وهو يغير مصائرهم. لا بأس، سيفعل نفس الشيء مع تلك الطفلة وأمها، أو ربما يسحقهم أمام الجميع في بث مباشر آخر، جادو هو الـ«إنفلونسر» الأشهر، وسيظل دومًا كذلك، بعد أن يدمر حاتم ورفاقه.

قال له آدم إنهم ذاهبون إلى قصر سليمان، ذلك المكان القديم، الذي كثيرًا ما زاره جادو في أحلامه. تتمم أنور: ستكون نهايتهم هناك.

وزاد سرعة سيارته راحلاً من القاهرة إلى القصر. كان يشعر بنداء خفي في أعماقه، كأنه ينتمي إلى هذا المكان. وفي أثناء رحلته تذكر جادو حياته كلها: نشأته في ملجأ الأيتام، أم أنه من أسرة ثرية وعاش حياة ممتلئة بالرخاء؟ يضحك

أنور، ويواصل القيادة. أنور حمدان أو كائنًا ما كان اسمه القديم، قد فقد والدته وهو طفل، قُتلت أمام عينيه، وتعرض للاضطهاد من جده، وذهب إلى الملجأ بعد وفاة الأخير، ولكن جادو ظهر بداخل أنور كرد فعل لكل هذا، كي يحمي أنور، وينتقم له.

يغمغم جادو للزوجة والطفلة: هل تشعران بالملل؟ سأغني لكما.

الطريق طويل عندما تكون بمفردك، والحرب هناك على مشارف أبوابك، هم الخاسرون.

كان يدندن بالأغنية وهو يقود، وفجأة تعالى صوت خبطات من صندوق سيارته الخلفي. شهقت الزوجة، وأوقف السيارة بغتة في منتصف الطريق وترجّل منها، تلفت حوله ليتأكد من خلو المكان، ثم أمسك المطرقة واتجه إلى الصندوق وفتحه، نظر إلى الفتاة - التي اختطفها منذ ثلاث ليالٍ ونسي أمرها في صندوق السيارة - وهي مكّمة الفم ومكبولة اليدين، وتنظر إليه بتوسل باكيةً وتهز رأسها. رفع جادو حاجبيه وضحك ناظرًا إليها، لقد نسي أمرها تمامًا. قال للزوجة: الأمر أشبه باكتشافك نقودًا في جيب سترة قديمة. وقهقه ضاحكًا، ثم رفع المطرقة عاليًا وهوى على رأسها بسرعة مرة والثانية والثالثة، وتلطخ شعرها بالدم الأحمر،

كان غاضبًا بحق. هنا صرخت الزوجة، وهي ترى ما يفعله في المرأة الأمامية، وقد أكمل عقلها المشهد، واستعادت قدرتها على الصراخ لتنضم إليها الطفلة. يتمتم جادو: الأوغاد، الأوغاد! لقد نجوا مني! ناردين! رودينا! سليم! حاتم! يصرخ جادو: أنا قادم، أنا قادم إليكم!

وأمام عيني الزوجة، وقف جادو عاري الجذع ومغطى بالدماء، قبل أن يتلفت ويصفعها، حتى كادت الطفلة أن تسقط منها ثم صاح: أمامنا رحلة طويلة. سليني، هيا أنا أشعر بالملل وأكره الطرق الطويلة. غني لي، واحك لي حكاية بعدها.

ضحك ودمعت عيناه مضيئًا: لكن إياك أن تحكي لي رحلة السندباد السابعة، فقد سمعتها من قبل.

كانت الزوجة تحاول الاحتفاظ بوعيتها، عجز عقلها عن العمل، لكن قلبها كان يقاوم من أجل ابنتها. هذا الوحش القاتل، هذا الرجل هو الرعب المطلق. وقد أخذها من بيتها، وقتل أمامها، ولا يوجد أمامها سبيل إلى الفرار، لقد كانت تشعر بالأمل وهو في منتصف الطريق، شعرت بقليل من الأمل أن يراه أحد، لكن هذا لم يحدث. لا يوجد من ينقذها، هي وحدها، هي وطفلتها مع هذا الوحش. عيناه السوداوان تلك عينا شيطان. التفت جادو إليها وقال بنرة آمرة وفي

عينيه لمحة شرود مخيفة: غني، الآن.

وبصوت مبحوح وعينين باكيتين، غنت الزوجة لجادو
طيلة الطريق.

زاد من سرعة سيارته وهي تغني، ثم قال: صوتك جميل،
لديّ اعتراف، أنا أحبك، تعالي واجلسي جوارِي.

ابتسم لها، فارتجفت ووضعت الطفلة النائمة التي هدأها
صوت والدتها، وتحركت بقلب ملثاع لتجلس جواره، لوهلة
كادت ساقها أن تخونها وتتخلى عنها لتسقط أرضًا، لكنها
تماسكت وجلست جواره فوضع يده على كتفها، وتابع بحنان
كفتي عاشق يعترف بمكنون صدره: لديّ اعتراف آخر، أنا
محنق بشدة؛ لأنني لا أستطيع الاستمتاع بانتصاري في سحق
آينور، أعني لقد قتلتها، وارتديت وجهها وكل شيء، وأحببت
عزيمة متابعينها، بما تلا ذلك من مظاهرات وخلافه، وهو
شيء لم أخطط له. لكن الحياة أحيانًا تعطينا تلك المفاجآت
الجميلة أليس كذلك؟ لكن كل ما أفكر فيه هو حاتم وفريقه.
تفهميني، أليس كذلك؟ أنا بحاجة إلى أحد يفهمني.

تومئ الزوجة برأسها في حين يده القادرة على أخذ حياتها
مستقرة على عنقها. يتابع جادو: سأرتدي جلدك بالكامل،

بعدها أسلخك حية قريبًا؛ لأنني أحببتك بشدة.

تبكي الزوجة، وترتجف، وتتوسل، بصوت خفيض خوفًا من إيقاظ طفلتها. يتجاهلها جادو ويواصل القيادة.

وصل جادو إلى المدينة بعد رحلة طويلة، وعبر لافتة «ادخلوها آمنين». ركن السيارة بعدما عبر النفق، وترجّل من السيارة. تلّفت حوله، ثم اتجه إلى الصندوق الخلفي، وارتدى وجه الفتاة في الصندوق كأنه يقدم نفسه إلى المدينة، ثم سار ببطء، حاملاً المطرقة الحديدية في يده محتضناً الزوجة الباكية بذراعه وطفلتها في حضنها. يمر جوار محل فارغ، وينظر إلى انعكاس نفسه بحب، يواصل السير، ويقف جوار تمثال شمع محروق، يتبين دماء وأوردة أسفل الشمع كائنًا من كان هذا، فقد حوّله أحدهم إلى تمثال شمع. يهز جادو رأسه ويغمغم بافتتان للزوجة: عمل رائع.

يواصل مسيرته حتى يصل إلى القصر. يقول بنرة آمرة للزوجة: انتظريني هنا.

تجد نفسها تطيعه في رعب، وتجلس محتضنةً طفلتها على حافة رصيف كأنها متسولة، لكنها داخل مدينة مهجورة، الكابوس يزداد رعبًا، الأمر بدأ بالوحش داخل بيتها، والآن هي في المرحلة الثانية تشعر أن قلبها سيتوقف قريبًا، هناك ألم عارم في صدرها تحاول تهدئته باحتضان طفلتها.

ينظر جادو إلى قصر سليمان باشا وإلى سور حديدي مهيب يحيط بحديقة خضراء مطلة على النيل، يتوسطها القصر المهيب شديد الضخامة، هناك تمثالان من البرونز لأسدين يزاران يحيطان باب القصر، يتسمر جادو وهو ينظر إلى القصر قبل أن يصيح بصوت عالٍ: أنا جادو العظيم، ألا ترحب بي؟! أنا أصدق وأؤمن، وقد جئت إليك ملبياً النداء، أنت دعوتني إلى هنا!

يمر الوقت بطيئاً، وجادو يقف لاهثاً، يُخيل إليه أن القصر يبادلُه النظر، لكن لا شيء يحدث.

يصيح جادو: أنا جادو العظيم!

ثم يكرر باكيًا: أرجوك أجبني.

لا رد.

تفكر الزوجة في الهرب، لكنها تدرك أن الإعياء تمكن منها، ولن تتحمل فكرة مطاردته لهم، تواصل احتضان الطفلة.

يسقط جادو فوق ركبتيه، يضع المطرقة جانباً، ثم يتجه إليها ويأخذ الطفلة ويرفعها إلى أعلى ويمد ذراعيه إلى القصر قائلاً: لقد أحضرت إليك هدية.

لا شيء يحدث على الإطلاق.

هنا يبدو الإرهاق في عيني جادو، يستلقي على الأرض،
ويبكي. ثم صاح: طيلة عمري لم أستطع التخلص من
الشعور، الشعور بالغضب، هذا الشعور المقيت بداخلي، أعتقد
أنه سيذهب عندما أقتل، لكنه يظل معي. لست قادرًا على
الشعور بالسعادة، لقد قضيت عمري وحيدًا على رغم أنني
وسط الآخرين، أرجوك كن حقيقيًا.

ويردد جادو هامسًا: أرجوك أجبني، أنا بحاجة إليك.

- لا شيء يحدث! يصرخ جادو غاضبًا.

إذًا هو وحده في هذا العالم، لا سند له، الشر يسير وحيدًا،
تدمع عينا جادو ويسقط بإرهاق على الأرض. يكرر: لقد
رحلت أنهار الزمن كي أجذك. وأنت لست سوى أكذوبة،
حكاية مخيفة للأطفال، لست سوى محض هراء، كنت أعتقد
أنني سأجد الونس أخيرًا.

ثم يضع الطفلة جانبًا بقسوة ويستلقي على ظهره ناظرًا
إلى السماء. ويغني ببطء:

«طريقك طويل، طويل يا ولدي».

تتطاير أوراق الندى داخل الحديقة. ويواصل الغناء:

- طريقك طويل.

تستعيد الزوجة وعيها ببطء، وترى طفلتها ملقاة بإهمال
جوار جادو، الذي أخرج سكينًا من جيبه وقال لها بلا مبالاة:
لقد كنت أحمق عندما اعتقدت أن هناك حليفًا ينتظرني، أنا
وحددي.

يسطع القمر المكتمل عاكسًا ضوءه على القصر.
يكمل جادو الغناء متجهًا إلى المرأة والسكين بيده.
تُفتح البوابة الحديدية ببطء شديد مصدرًا صريحا عاليًا.
تتسع عينا جادو من أسفل القناع، ويعتدل برهبة.

هناك موسيقى ماجنة منبعثة من القصر.
تنظر الزوجة برعب بعينين متسعيتين إلى القصر.
يقف جادو، ويدخل ناسيًا الطفلة وأمها بالخارج.
يسير في الحديقة، انتصبت الأزهار وبصقت دمًا غزيرًا،
رفع جادو يديه في انتشاء، فروع الأشجار تتحرك يمينًا
ويسارًا، والأرض الخضراء تتشقق، وتخرج منها ديدان.

- يا للروعة والجمال! يا للروعة والجمال!

للمرة الأولى يشعر جادو أنه حيثما ينتمي، يشعر كأنه علي
بابا وسط كنوزه.

يقف بين تمثالي الأسدين، فتخرج من حولهم نافورة دماء
تغرق وجهه، فيقهقه في سعادة.

يرى فتاة ترتدي فستانًا أبيض ذات عينيْن بيضاوتين وعنق
مشقوق، تقف في النافذة العلوية وتحقق في المجهول.
يبتسم لها جادو مُحييًّا إياها، لكنها تقف في ثبات كأنها لا
تراه. يدير جادو مقبض باب القصر، وهو يسمع صهيل خيول،
وصيحات قوم غاضبين، ويمر في عقله صورة أهل البلدة
منذ مائة عام، وهم يقفون أمام القصر مطالبين رأس سليمان.
القصر يريه ذكريات، يا للروعة والجمال!

يُخرج جادو هاتفه ويهتف: سأشاركك ذكرياتي أيضًا!

ويدخل جادو القصر.

ما رآه جادو أمام عينيه كان أشبه بأحلام طفل. كلا، بل
أفضل من هذا، لقد تجسدت السعادة أمام عينيه، لم يكن
يرى المكان بأتربته وغباره وشبাকে العنكبوتية، لم يرَ الفئران
والثعابين، لقد كان هناك نور ساطع، وفتاة جميلة احتضنته
فور دخوله، كانت تبدو كبائعة خبر من القرن الماضي، وتحمل
سلة بها العجين تحت إبطها، ولا يوجد أنف لها ولا فم، يحدق
جادو بوجهها في افتتاحان قبل أن يقول مشدوّهًا: أجمل ما

رأيت!

موسيقى حالمة تلاعب روحه، تنهمر دموعه في سعادة،
أمام عينيه قافلة من الفجر يسرون معًا، ومعهم كتاب
قديم، كبيرهم عجوز بحق، التجاعيد تملأ وجهه، فلا يميز
جادو ملامحه وابنه كبيرهم. كانت غجرية ذات شعر أحمر
وجسد فاتن، نظرت إلى جادو بدلال وغمزت له، يرفع هو كلتا
ذراعيه في افتتاح، هناك صرخات قادمة من وراء الجدران..
- أنا في بيتي.

يقولها جادو بينما يتلفت حوله في ثقة.

هنا يجد الفتاة ذات الفستان الأبيض، تقف أمامه، وتضع
يدها على وجهها، ثم يظهر رجل من خلفها، يميز جادو
الرجل، على الرغم من هيئته الكابوسية. يضحك جادو:
- أنت صلاح. لقد استحوذ عليك القصر.

ثم يغمض جادو عينيه وأفكار قصر سليمان تنهال عليه،
ويردد: لقد أرادك القصر منذ أعوام، وأتيت أنت إليه، أنت
ملكه الآن. ملكها (مشيرًا إلى الفتاة التي التفتت واحتضت
صلاح) ضحك جادو وهو يرى انعكاسهم في المرأة، حيث

يقف انعكاس صلاح وهو يحتضن جثة متحللة تخرج
الديدان من مقلتيها، وهناك ثعبان يخرج من فمها.

- ربما ستكون أنت هديتي من القصر قريبًا.

(يتحسس المطرقة) ..

ثم تلمح عيناه الكتاب الذي كان مع قبيلة الفجر، يلتقطه
جادو.

الحبر من الدماء، والكتاب من جلد الموتى.

يقولها وهو يتصفح محتوياته بطمع شغوف.

ويصرخ: يا للروعة! إذا تلك هي حكايتك، وهذا هو سرّك،
شكرًا لمشاركتك، لقد أتيت لك بالهدايا.

ثم خرج جادو، وتبحث عيناه عن الزوجة والطفلة.

هل هربتاه؟ آه ها هما ذا، يحاولان الهرب بلا طاقة، ضعاف
البنية، ومفاتيح السيارة معه. يا لهما من حمقاوين.

كانت الأم تبكي وهي تحاول العذو وسط تماثيل الشمع
بالمدينة، وهي تشعر أن عيونهم تراقبها، قبل أن تتعثر وتجد
جادو أمامها يجذبها من شعرها ويعود بها وابنتها إلى القصر.

رماها لتسقط داخل القاعة الرئيسية، وقال محدثًا القصر:

هم من أجلك.

لم يبدُ أن صلاح قد رآهم.

هنا سمع جادو سيارة توقف مكابحها بالخارج.

فالتقط المطرقة، وتلفت حوله فوجد صلاح يقف جواره بتحفظ. نظر إليه جادو، وتفحص عينيه البيضاوين، ثم أعطى صلاح سكينًا صغيرًا وقال: لنقتلهم معًا.

قبض صلاح على السكين، ونظر صوب الباب.

تمد الفتاة ذات العنق المشقوق السكين إلى صلاح وتهمس بصوت حفيف، في حين لسانها المشقوق يخرج من فمها: لنقتلهم معًا.

يأخذ صلاح السكين منها وهو يراها بشكل ناردين، وينظر بقلق إلى الجرح في عنقها، وفستانها الأبيض، وتبتسم له.

- لا تقلق بشأني.

وصل صلاح إلى المدينة، ودخل القصر، وجد من اعتقد أنها ناردين، وانتظر معها هنا. منذ وصوله يشعر بالخدر كأنه لم يعد هو، لكنه لم يعد يبالي، لا شيء يهم الآن، حياته كانت مرهقة، لقد سئم كل شيء، لم يكن هناك معنى لحياته على

أي حال، عليه حماية ناردين فحسب. يعرف أنه ينام كثيرًا، ومع الوقت أصبح لا يطيق الانتظار كي ينام. عندما يفعل هذا يجد نفسه في العشرينيات، ناردين هي ابنة سليمان باشا، يمرحان معًا في القصر، ويركبان الخيول ويمرحان في البلدة في حين الفلاحون يلوحون لهم.

يقف صلاح جوار جادو ويقبض على السكين.

- مرحبًا بكم في قصر سليمان حيث الشر حقيقي.
سيتلاعب بعقلك، يريك الأوهام، ويمتلك روحك، ويرحب بالقتلة والمسوخ.

يُفتح باب القصر.

الفصل الحادي والعشرون

قبل عدة دقائق..

غضب عارم كاد أن ينفجر من حاتم عندما أخبره سليم وهو يتفقد الأخبار بمقطع فيديو قتل يوسف وأخذ جادو زوجته وابنته. ضحية أخرى فشل حاتم في إنقاذها. وصلوا إلى البلدة ومروا عبر الضباب، ومنه إلى القصر.

نظر سليم وحاتم إليه، وكذلك فعلت رودينا، في حين قالت ناردين: قصر سليمان.

وأمام أعينهم وجدوا طفلة صغيرة في لفافة أمام البوابة. غمغم حاتم: ابنة يوسف.

- يا إلهي! يا الله أرجوك دعها تحيا.

تهتف رودينا بالعبارة وهي تخرج مسرعة من السيارة؛ لتحنى وتلتقط الطفلة الصغيرة أمام بوابة القصر، وتحتضنها برفق وحنان. وتهمس ناردين: علينا أخذها إلى المستشفى حالاً!

تحتضن رودينا الطفلة، ثم تُبعدها قليلاً؛ لتفحصها إن كانت مصابة، فتزيل اللفافة من جسد الطفلة، لتهوي عشرات العقارب على ذراعها، في حين تعوي الطفلة كالشياطين،

ويخرج من فمها ثعبان طويل بدلاً من لسانها صوب عنق رودينا. يشهق سليم وهو يعدو صوب رودينا الصارخة ويدفع الجميع العقارب بعيدًا، في حين تسقط الطفلة منها، لتقف على ذراعيها الخلفيتين، وتدير رأسها بالعكس تمامًا، ناظرة إليهم قبل أن تعوي مرة أخرى وتهرع داخل القصر.

يدفع الجميع العقارب بعيدًا محاولين سحقها بأحذيتهم، ثم يمسك سليم رودينا بين ذراعيه، وهو يتفحصها بلهفه ليتأكد أنها لم تُلدغ.

- أنا بخير، أنا بخير. لم تتسنَّ لهم فرصة لدغي.

يحتضنها بقوة غير مبالٍ بالباقي، وتحضنه هي الأخرى مغمضة العينين، مستمتعة بأفكاره المنسدلة داخل رأسها. وللحظة وسط كل هذا الجنون، شعرت رودينا لأول مرة في حياتها بالاطمئنان والسكينة تعم روحها القلقة.

قال حاتم ببطء وهو ينظر حيثما اختفت الطفلة داخل الحديقة: كيف حدث هذا؟

- نحن في قصر سليمان، حيث كل شيء ممكن. لو تريد تفسيرًا منطقيًا، بإمكانك قول إن الطفلة رضية واهنة، وقد استحوذ القصر على روحها. وحوّلها إلى المسخ الذي رأيناه للتو.

- كلا.

قالتها رودينا وهي تقرأ أفكار ما داخل القصر، قبل أن تردف: تلك الطفلة مجرد طاقة كامنة بالقصر للترحيب بنا، زوجة يوسف وابنته لا تزالان بالداخل.

- ناردين، ربما نحن بحاجة إلى فهم ما نواجهه قبل أن ندخل. ما حدث للتو هذا...

- رعب حقيقي.

تبتلع ناردين ريقها وتصمت بعد إضافتها الأخيرة. هنا تقول رودينا وهي تنظر إلى القصر كأنها منومة مغناطيسيًا: إبان الحكم العثماني أتت قبائل الغجر ومارست سحرها الأسود هنا محاولةً استدعاء قوى الظلام. قامت الحكومة بإبادتها ودفنها في تلك الأرض، ولكن متأخرًا. لقد استدعت قوى الظلام بالفعل. واختارت تلك القوى سليمان باشا الناجي الوحيد من باخرة مشنومة هلكت في عشرينيات القرن الماضي. ولأنه المختار من تلك القوى؛ فقد فتك بطاقم الباخرة وأحرقها وعاد هو. كان سليمان يحاول مقاومة الاستحواذ كأنه يمتلك شخصيتين، ولكن قتله الطاقم وحرقه الباخرة كانت خطوته الأولى. عاد هنا وشيّد القصر فوق مقبرة الغجر، حيث الأرض الملعونة. وبدأ يكمل سحرهم، فيخرج ليلاً لينبش القبور، ويخطف القرويين ويُجري أبشع

التجارب عليهم.

همست ناردين لحاتم: هي تقرأ أفكار القصر.

تتابع رودينا: ما كان يحاول الفجر وسليمان من بعدهم استدعاءه طاقة شر قديمة. وتلك الطاقة سكنت القصر.

ثم تهدج صوتها وهي تكمل: لقد كان عليهم -أي الفجر وسليمان- ارتكاب الشنائع، لتحل طاقة الشر تلك بالقصر.

- وجرائم جادو أيقظت تلك الطاقة كامنة مرة أخرى. الشر يدعو إلى الشر.

يرتجف صوت رودينا وجسدها، وتهمس: ولذا كان سليمان يقطع أجساد القرويين محاولاً تكوين وعاءٍ آدمي كونه نوعاً من العذاب. تلك كانت تجاربه وما يفعله بالقصر منذ مائة عام. كانت التجربة موشكة على الانتهاء عندما قتل سليمان عائلته حماية لهم من الهول القادم، وهلك هو بعدها. جزء بشري بداخله كان لا يزال يقاوم، ولكن قصره ظل شامخاً ممتلئاً بطاقة هائلة، هذا القصر أتى إلى العالم شريراً، وكان يجذب قوى الشر إليه من شتى الأنحاء. أتخيلون؟ ناس مدفونون في الجدران وأسفل التربة. جدران من البشر، ووعاء بشري مكون من عدة أجساد. أي كابوس هذا؟!

تنتهي رودينا من الحديث، ثم تشهق وعقلها يذهب في

رحلة بين أرجاء القصر، حيث تقبع غرفة الموسيقى الواسعة، وهناك حسناوات عاريات غارقات في الدماء يرقصن بالداخل، وتجاويف أعينهم فارغة. بجوار تلك الغرفة توجد ردهة الألعاب «كرنفال» صغير حيث هناك قاعة مرايا وأرض متحركة. لوحة ضخمة لسليمان باشا في منتصف الردهة، ويبدو إليها أن عينيه تتابعها حيثما ذهبت. أمامها ردهة تستقر بنهايتها مكتبة ضخمة، ولكن بدلاً من الكتب تتناثر الدماء في كل مكان. هنا تشهق رودينا أكثر ويتراجع جسدها إلى الخلف في حين عقلها يندفع إلى الداخل. وهناك الغرفة الحمراء، الغرفة المحرمة داخل القصر والتي كثيراً ما أرادت زوجها سليمان دخولها، لكن سيد القصر كان يمنعها. تدير رودينا مقبض الغرفة داخل عقلها وتدخل حيث الجدران تموج بالدماء، وهناك أجساد كالأرواح المعذبة في لوحة الجحيم تتدلى من السقف والموسيقى تجعلهم يتمايلون ويقصون في عذابٍ أبدي، تقرأ رودينا أفكار امرأة خائفة القوى وسط كل هذه الفوضى: لن ينقذنا أحد، نحن وحدنا. تلك هي زوجة يوسف، وتحاول رودينا مد يدها إليها. ولكن باب الغرفة يُوصد خلفها. كأن القصر ينتبه لوجودها، يلتفت برأسه ويراهها، تنطلق صيحة هادرة من القصر ويرتجف الجميع وتصرخ رودينا.

يهتف سليم: رودينا!

كان جسدها يرتجف وقدمها ترتفع عن الأرض.

تصرخ ناردين: القصر يحاول قتلها!

يندفعون نحو الفتاة، تحاول رودينا الهروب من الغرفة الحمراء، وتتذكر شعور السكينة مع سليم لثهدئ من روعها، لتهرب من واقعها الكابوسي. هنا يُفتح الباب وتسقط رودينا أرضًا، تهب واقفة، وتحاول العدو إلى الخارج، لكن الهواء يمنعها ويدفعها إلى الخلف. القصر داخل رأسها، هل يقرأ أفكارها هو الآخر؟

تهزها ناردين وهم واقفون خارج القصر، أنف رودينا ينزف، تصيح ناردين: تغلبي عليه!

وينظر إليها سليم بيأس.

تطير رودينا داخل القصر وتسقط داخل ردهة الألعاب، في حين جسدها في الخارج وسط أصدقائها. تدور الأرض بها، وهناك موسيقى طفولية منبعثة من اللا مكان، تدور الأرض بقوة وسرعة، وتنعكس المرايا أمام عينيها، الأرض تدور بها وسط قاعة المرايا بقوة وسرعة، وعلى انعكاس المرايات ترى رودينا عشرات الوجوه الشيطانية. تصرخ الفتاة محاولةً الرحيل والأرض تدور بها، في حين الوجوه تقترب منها، وهناك ألم متزايد في رأسها.

تنزف رودينا من أنفها، في حين الكل يهلهل من حولها بعجز.
هنا يصفع إدجار آلان بو سليم على رأسه ويشير إلى المفكرة
بلهفة، يطلق سليم صيحة ويفتح المفكرة ليكتب: وتنجح
رودينا في التغلب على قوى القصر.

ثم يرفع يديه إلى أعلى ويصيح مواجهًا القصر: لقد تعاملت
معك وتعرفت على وعيك أيها اللعين، هيّا اتركها.

تشهق رودينا، وتفتح عينيها، وتكاد تسقط أرضًا فتسندها
ناردين. تتحدث رودينا بسرعة: هذا المكان رعب، شر مطلق!
سيسحقنا جميعًا!

وتضع يديها على رأسها بألم، ثم ترى المفكرة في يد سليم
منقذها، وتبتسم له.

تهمس ناردين: لا يوجد خيار أمامي. سأدخل؛ لأن صلاح
بالداخل. الخيار أمامكم، بإمكانكم الرحيل.

يقف جوارها حاتم في صمت وهو يفكر في جادو.

تنظر رودينا إلى سليم وتستقبل أفكاره: ارحلي أنت. تبًا!
لنرحل نحن الاثنان. لنكن معًا وليحترق كل شيء. تبًا! لن
أستطيع تركهم بمفردهم، هم بحاجة إلى موهبتي اللعينة.
حلم كل كاتب ها! تغيير الواقع لم يكن هذا حلمي أنا. ينظر

سليم إلى عينيها وترد أفكاره: ارحلي أيتها العنيدة.

يتنهد سليم، وتقول رودينا: أنتم بحاجة إلينا، وجادو بحاجة إلى قصاص، عقاب، نهاية. سأبقى، سوف نبقى.

تنهد سليم مرة أخرى، وغمغم: أشعر أننا لن نعود جميعًا أحياء.

يضع حاتم يده على كتف سليم قبل أن يقول: دع التفاؤل لي أنا.

يبتسم سليم متظاهرًا عدم الشعور بالخوف، وتغمغم ناردين ناظرةً إلى القصر: جادو هو الشر البشري، وهذا القصر هو الشر القديم الكامن في المجهول. معادلة ناتجها الرعب.

- كلام محفز وإيجابي للغاية.

- لنته هذا الكابوس.

تمد ناردين يدها لتقبض على باب القصر، يختبيء إدجار آلان بو داخل عقل سليم وراء أريكة ضخمة وهو يقول للأخير: هذا القصر غير لطيف بالمرّة.

- يُفتح باب القصر.

- يدخلون ببطء معًا.

- ولا يرون الحديقة التي تمتد خلفهم.

- لا يلاحظون الأرض المنبتقة.

- ولا الأيادي ذات المخالب التي تتخلل التربة الطينية.

هنا تنفجر أنهار من الدماء في الحديقة الخلفية لتغرقهم جميعًا، وتنبثق الأيادي ذات المخالب من أرض الحديقة، وتشهق ناردين. يُفتح باب القصر بقوة عاتية وتهب رياح تكاد تطيرهم من أماكنهم. تسقط رودينا إلى الخلف صوب أرض الحديقة والأيادي الخارجة منها، وتُفتح الأرض الطينية للحديقة لتبتلعها كأنها تسقطت في رمال متحركة، في حين تلك الأيادي تحتضنها وتقبض على عنقها ووجهها بقوة.

وهلك العمال في الأنفاق جوعًا ليتحول بعضهم إلى آكلي لحوم بشر يحيون تحت الأرض.

يصيح سليم محاولًا اللحاق بها، لكنها تختفي في الأرض الطينية بعدما تجذبها الأيادي وتصيح ناردين: الأرض تبتلعها! حاتم يقف صامتًا يحاول استيعاب ما يحدث خلفه، ويتحرك إلى الأمام استعدادًا للقفز خلف رودينا بدوره، ثم

يتوقف عندما يلمح طفلاً صغيراً يقف مولياً ظهره إياه على
بعد أمتار داخل ردهة القصر. يلتفت إليه الطفل ببطء، كاشفاً
عن وجهه بلا أنف ولا عينين، وجهه كله عبارة عن أسنان حادة
نخرة.

- يا إلهي!

- قال حاتم وهو يتراجع إلى الخلف، تصرخ ناردين: القصر
بهاجمنا! قاوموا لا تتشتتوا!

وهكذا مات بعض العمال واختطت عظامهم بجدران
القصر.

يتشقق الجدار أمام سليم ليرى وجوه جثث مختلطة
بالأسمنت، وتفتح إحداهم عينيها وتنظر إلى عيني سليم.
يقف الأخير مشدوهاً ومفكرته ترتجف في يده.

تمد الجثة يدها مهشمةً الجدار، وتقبض على عنق سليم
الذي شهق وسقطت مفكرته منه، وتضغط الجثة على عنقه.

تهز ناردين رأسها محاولةً جذب سليم، لكن اليد التي
قبضت على كتفها من الخلف وجذبتها إلى القصر منعته من

ذلك. تسقط ناردين داخل ردهة القصر، وتدور الدنيا حولها،
الأثاث، واللوح، والسلم، وكل شيء يدور حولها، ثم تستقر
عينها على وجه صلاح، بحدقتيه البيضاوين، يقف كإنسان
آلي أمامها، وفي يده سكين، ويده الأخرى تقبض على كتفها،
يرفع صلاح السكين عاليًا صوب عنق ناردين.

تشهق رودينا والتراب المختلط بالطين يتساقط داخل
فمها. يتهامس الموتى حولها. أهي حقًا أسفل الأرض محاطة
بجثت تهاجمها؟ يا للهول! تصرخ رودينا، وأفكار الجثث
تنساب إلى عقلها.

لقد فقدت طربوشي.

ليحيا الملك فاورق.

سنمزقك إربًا.

وفي الظلام تمتد يد مخلبية لتغرز أظافرها الحادة في عنق رودينا، تصرخ الفتاة وهي تقبض على هذه اليد، وتخرجها من عنقها، في حين دماؤها تسيل ببطء على كتفيها.

ثم تسقط رودينا في حفرة أو بئر عميق، لتجد نفسها في غرفة أسفل الأرض. تقول الفتاة برعب: أنفاق سليمان باشا!

وفي الظلام من حولها تسمع حفيفًا وهمسات، كأنها محاطة بآلاف الفئران، تُخرج هاتفاها بيد مرتجفة وتُضيئه لتصرخ، من حولها يجري قوم برؤوس فئران وأجساد قرود، وهم منحنون... قبيلة من رجال الكهف المحاورين، العمال الذين تحولوا لاكلي لحوم بشر بعدما حُبسوا في الأنفاق وأصبحوا تلك الكائنات مع مرور العقود...

تلتصق رودينا بظهرها للخلف ويتقرب منها أحد تلك الكائنات وهو يحمل عظامًا بشرية في يده ويلوح بها، ثم يبتعد عن ضوء الهاتف، هنا كالمجدوعة تلوح رودينا بالضوء في وجهه فيبتعد، لقد عاشوا في الظلام، وُلدوا في الظلام، هل هم عميان أم أن أعينهم تخاف الضوء، الضوء شيء لا قبالة لهم به... هنا ترى رودينا مسقط الحفرة فتقفز برشاقة مفاجأة متجاهلة آلام جسدها لتتعلق بها وتبدأ الزحف لأعلى بسرعة... ويسقط منها هاتفاها وهي تفعل ذلك، فقط ليقفز أحد تلك الكائنات ويتعلق بقدمها ويعضها بقوة غارت أسنانه

النخرة والحادة داخل لحم قدمها... تُحرّك رودينا قدمها
بجنون وقوة، يسقط الكائن في حين أصابعها منغرزة داخل
التربة وهي تصيح: لن أسقط... لن أسقط.

وتواصل الزحف لأعلى، تسمعهم يلهثون من الأسفل
محاولين اللحاق بها، أبالسة ما تحت الأرض... تصعد رودينا...
تتملص الفتاة من الذراع وترمي نفسها وسط الأرض الطينية،
الآن هي تزحف يسارًا، ترتمي على ظهرها وهي تشهق
مقاومة شعور الاختناق والظلام المحدق بها... تخرج ذراع
من خلفها لتحيط بعنقها.

صلاح أرجوك!

ينظر إليها صلاح بعينين لا تريان، ويهاجمها بالسكين،
تنحني ناردين منزلقة بعيدًا عنه، وتسمع السكين وهي تشق
الهواء جوار رأسها بعدما تفادتها...

يدخل حاتم ردهة القصر، وعيناه تحدقان بالطفل الذي كان
يرقص أمامه برقة، في حين وجهه المكوّن من فم ضخم
وأنياب حادة فحسب بلا أنف أو عينين يتسع... يقفز الطفل
على حاتم بسرعة خارقة ويحتضنه.

تزوغ عينا سليم ويدا الجثة تكاد تحطم عنقه... ويتراخى
جسده...

تضرب رودينا الأرض الطينية من حولها، لكنها تشعر
بالاختناق، الحفرة تضيق عليها، ثم أدركت أنها ترقد فوق
جثة، ومدت تلك الجثة ذراعها الأخرى واحتضنت رودينا
ببطء متجاهلة صرخاتها...

يتهاوى سليم... يدا المسخ المشوه في الجدار لا تزالان
تقبض على عنقه...

تعدو ناردين لتتعثر وتسقط قبل أن تقف مرة أخرى في
حين صلاح يسير وراءها ببطء... تشعر بأن هناك مئات
العيون تراقبها في القصر وهناك همس قادم من كل صوب،
تصعد السلم عدوًا في حين صلاح يتبعها ببطء وثقه كأنه
لا مهرب لها... في نهاية السلم تلتفت ناردين وثرع لإحدى
الغرف، تدخلها مسرعة وتغلق الباب وراءها وهي تلهث،

وتتراجع للخلف وهي تنظر إلى الباب في رعب وصدمة... ولا ترى انعكاس المرأة من خلفها.

تلك الفتاة ذات الفستان الأبيض، تقف بعينين زائغتين داخل المرأة، وناردين تتراجع بظهرها صوب المرأة مبتعدة عن الباب...

تصل ناردين إلى المرأة، فترفع الفتاة ذراعيها، وتَهشَّم زجاج المرأة وتقبض على رأس ناردين، وتفتح فمها لينطلق منه ثعبانٌ بدلاً من اللسان يلتف حول عنق ناردين، ثم أمام عيني ناردين المرتاعتين ينفتح باب الغرفة، ويدخل صلاح ببطء قابضاً على السكين...

تزيد الجثة من احتضانها لجسد رودينا، وتقرأ رودينا ما يبدو أنه آخر شيء ستقرؤه: سأهشم عظامك وأسحقها.

ينشب الطفل مخالفه في ساق حاتم..

يجثو سليم فوق ركبتيه، وعيناه جاحظتان، محاولاته من أجل التقاط أنفاسها قد نفدت، إنها النهاية إذًا...

تلمس يده المفكرة، والقلم بداخلها، تتحرك أصابعه بجنون لتفتح المذكرة، وتهيء يده الأخرى للمساعدة وهي تلتقط القلم..

ترك الجثة في الحائط عنق سليم..

تبًا، ستمر دقيقة على الأقل، نهايته في تلك الدقيقة...

يتزايد التنميل في جسده، ويشعر بروحه تنسحب...

يضيف بيد مرتجفه: الآن... تتركها الآن.

تنفتح يدا الجثة مُحَرَّرة عنقه... ويسقط سليم أرضًا وهو يسعل بشدة... يرتجف بقوة... ثم يحاول الاعتدال وهو يكتب بسرعة جنونية: تقاوم رودينا عفاريت التربة وتخرج الآن.

ثم يهيء لحيث اختفت رودينا، يمر الوقت، يلهث سليم وهو ينظر إلى الأرض ويحفر بلهفة، تخرج يد، يقبض عليها... ويجذبها بقوة أملًا ألا تكون إحدى جثث قصر سليمان...

تشعر رودينا بأفكاره عندما قبض على يديها وتراجع الجثة من أسفلها، تجذبها يد سليم لأعلى وأفكاره تنهال عليها كالقبلات:

- أنت جميلة، تبًا أنت من أجمل الفتيات التي رأيتها في

حياتي، رقيقة وناعمة كأحلام، ذكية كالآبالسة، اخرجني حية
ولسوف أرقص معك طيلة الليل...

يجذب اليد لتتحول لذراع من وسط التراب، وتخرج
رودينا لترتمي في حضنه، ويسقط الاثنان أرضًا قبل أن تقف
الفتاة كالملتاعة وتجذبه بعيدًا عن الأرض ونحو القصر قبل
أن تحتضنه مرة أخرى، وبينما هي بين ذراعيه، يُغمض سليم
عينيه، وشعرها يداعب أنفه، ليحترق العالم يا صغيرتي
لا شيء يهم الآن، ثم ترفع رأسها وينظر هو في عينيها...
ووسط كل هذا الخراب ابتسم الاثنان بعضهما لبعض... قبل
أن يقول سليم: لنسحق هذا القصر اللعين... أو خطة أفضل..
لنهرب من هنا!

قبل أن يلتفت ويرى حاتم ليقول: يا إلهي!

ثم مد يده وكتب في المفكرة: يتعد المسخ عن حاتم
ويتركه لحاله..

يتراجع الطفل إلى الخلف وإن بدت أنه يحاول مقاومة تلك
الطاقة المفاجأة التي أبعدته، يصيح حاتم وهو يقبض على
جراحه: صلاح... لقد استحوذ عليه القصر وهو يطارد ناردين

...

يمد سليم يده ليكتب في المفكرة... ولكن حدث شيء

ما، تلك اللحظات الخاطفة التي يحدث بها شيء ليغير من حياتك... أنت تعلم جيدًا أن تلك الثواني ستكون فارقة للغاية... لقد انطلقت صيحة هادرة، غضب عاتٍ، ومخيف... انطلقت الصيحة من القصر... وفهم سليم قبلهم، القصر لن يترك سليم يتحداه بطاقته في الكتابة... وفجأة انطلق رمح من داخل القصر، رمح كان معلقًا على الجدار... تنظر رودينا إلى الرمح، وتدير رأسها صوب سليم شاهقة وقد فهمت... تصرخ رودينا: كلا، تعدو رودينا صوب سليم محاولة إنقاذه لكن رياحًا عاتية من القصر تُسقطها أرضًا... ويحاول حاتم دفع سليم بعيدًا عن مرمى الرمح لكنه يتعثر أرضًا بدوره...

ينطلق الرمح، ويتبادل سليم نظرة مع إدار الآن بو، ويهمس: لقد قضينا أوقاتًا مريحة معًا... يبتسم له بو....

قبائل الغجر ورياضتهم برمي الرماح..

ينطلق الرمح بسرعة غادرة، ويخترق جسد سليم وينبثق من ظهره، يطير سليم إلى الخلف والرمح بداخله، ويسقط لينغرز طرف الرمح داخل الأرض، وفوقه جسد سليم منصوب، يبصق الأخير الدماء وتبكي رودينا وهي تعدو

نحوه... في حين حاتم يقف في غضب، صدره يعلو ويهبط،
ثم يلتفت صوب القصر... وأمامه يجد جادو واقفًا، بابتسامة
عريضة على وجهه، أنور حمدان، مرتديًا وجه فتاة... ضحية
جديدة له... ورغماً عن القناع، بدت ابتسامته واضحة
لحاتم... ويقول جادو: أرى أن القصر قد رحّب بكم بالفعل،
هل أحببتم بيت جادو؟

ثُهرع رودينا لحين استقر سليم، وتصرخ: ستكون بخير...
ستكون بخير...

وتحيط جسده بيديها لتمنعه من الانزلاق للأسفل وهو
يتأوه ويبصق دمًا... فور أن أحاطت به ذراعاها شعرت
بألمه يذهب بعيدًا، ولثوانٍ عم الهدوء، ونظر إليها سليم...
قبل أن يهمس لها: لقد مرت أعوام منذ أن شعرت، بالهدوء
والسكينة... با... آه... بالسعادة...

ومر بيده على شعرها... محافظًا على ابتسامته... وهمست
لها أفكاره: أعطيني المفكرة.

ثم كتب شيئًا وأعطها المفكرة، وظل ينظر إليها وهي
تمسك يده، وابتسم لها الآن بو من داخل عقله، كانت تبكي
بحرارة، فقال لها سليم: لا تبكي أبدًا، أنت لا تستحقين

البكاء... أنت...

وهمست أفكاره: السعادة.

ثم همدت حركته وسقطت يده جواره...

همست رودينا باكية ومكررة اسمه مرارًا وتكرارًا... سليم...

ينظر حاتم إلى جادو... ويقترب الاثنان بعضهما من بعض...

يرفع جادو يديه، ويشير من حوله قبل أن يقول لحاتم:
سوف أسحق عظامك وأشرب دماءك، سأذيقك عذابًا لا قبل
لك به...

يلتزم حاتم الصمت وهو يدور حول جادو، بدا الاثنان
كأنهم ضباع تهتم بهاجمة بعضهم بعضًا... يرفع جادو يديه:
أنت الآن في حضرة جادو العظيم.

يلتف الثعبان حول عنق ناردين، ويعود برأسه للخلف، في
حين ذيله يرقص، استعدادًا للدغها... في حين الفتاة تقبض
على رأسها، وصلاح يقترب بالسكين... تصيح ناردين: صلاح
أفق... صلاح إنه أنا... تذكر ما مررنا به معًا... لقد واجهنا
الكثير معًا، أرجووووك... صلاح.

يقف صلاح أمامها...

يده تقبض على السكين... وناردين تصرخ: كثيرًا ما أرادك القصر، لا أعرف لماذا؟ هذا المكان شرير... يمتلك طاقة نفسية هائلة... ليس طاقة نفسية فحسب... يمتلك شيئًا آخر... شر خالص ونقي... ما يحدث هنا.

ليس هلوسة... تلك الجثث اللعينة... كتل اكتوبلازم حقيقية... هذا المكان يستحوذ عليك ألا تفهم... صلااح.
يرتفع السكين عاليًا...

وتتسع عينا ناردين، لم تتوقع قط أن تكون نهايتها على يد صلاح، وتتذكر لقاءهما الأول وهو يهددها بالسكين... كلما تغيرت الأشياء ظلت على حالها أكثر... تدمع عيناها وتغمغم: أثبت لهم أننا قادرون على المقاومة، مهما استفحلت قوى الظلام فنحن قادرون... آه... أرجوك يا صلاح... أرجوك.
ثم تمتم: صلاح.

لثوانٍ تتوقف يده، ثم تهوى يده، وتطير السكين برأس الثعبان، تصرخ الفتاة داخل المرأة التي تُهشم زجاجها، وتبدأ الفتاة في الخروج إليهم، وهي تزيد من ضغطها على رأس ناردين فيجذبها صلاح بقوة ليسقط الاثنان أرضًا، وينظر إلى

ناردين بعينين سليميتين ويصيح: لنخرج من هنا...

يهب الاثنان واقفين والفتاة ذات العنق الممزق تقترب منهم بسرعة خاطفة، ناردين تلتصق به غير مصدقة، ثم ساد الظلام فجأة من حولهم، لقد انطفأ المصباح داخل الغرفة، ويسود الظلام التام...

ناردين وصلاح... والفتاة ذات العنق المشقوق في الغرفة.

يدور جادو حول حاتم وهو يقول: كان عليك أن ترى نفسك وأنت تحاول مساعدتي، وتتعاطف معي وتخبرني بالأمك... كان عليك أن تسمع صراخهم... وتوسلاتهم إلى... آه يا له من شعور جميل ونقي... زهق الأرواح... والآن... سأخذ روحك أنت...

ثم يضحك جادو وهو يضيف: سوف أمزقهم إربًا بعدما أنتهي منك... أريدك أن تعلم هذا جيدًا...

يلف كلُّ من حاتم وجادو بعضهما حول بعض في تأهب، وهما يحدقان بأعين بعضهما كاثنين من الحيوانات يهمان بالتصارع... يشعر حاتم بمقت جنوني صوب جادو، بوجهه الجلدي، هؤلاء السفاحون، المجانين الذين أروه عالمًا من العبت والفوضى والجنون...

عالم مجنون وغير منطقي..

بدا أن القصر نفسه يراقب وينتظر النتيجة...

الرجل الذي عض التراب وجادو...

رفعت ناردين رأسها ببطء وحاولت النظر إلى صلاح، لكنها لم تتبينه وسط الظلام، همست وهي حريصة على ألا يسمع سواه صوتها: أنا لا أصدق أنك قد عدت... حمدًا لله ... أنا لا أستطيع رؤية شيء.

يقول صلاح مسرعًا وهو يحاول التلفت حوله في الظلام:

- ولا أنا!

مدت ناردين يدها وشبكته بيده... حاولت ألا تتلفت حولها خوفًا مما قد تلمحه عينها... هي معهم... هي تشعر بها جيدًا... ربما قد تكون جوارها، أو تقف وراء صلاح... كادت الفكرة أن تطيح بالعقلانية داخل رأس ناردين -أو ما تبقى من تلك العقلانية على أي حال - فقبضت بيدها.

علي يده أكثر واقتربت منه... قال صلاح بصوت خفيض:
ربما ننجو من هذا الكابوس.

«ربما ننجو من هذا الكابوس»... ترددت العبارة داخل رأس ناردين ... لقد مرت بالكثير مع صلاح، لكن ما هم بصدد مواجهته الآن، ربما تلك تكون نهايتهم حَقًّا، ابتلعت ناردين ريقها.

همست ناردين لصلاح وهي تقبض على يدها: تلك هي ابنة سليمان... روحها... شبحها... اكتبوا بلازم... أليس كذلك؟
لا يجيبها صلاح...

تأففت ناردين عندما تسللت إلى أنفها رائحة عطبة شديدة الكراهية، وهمست لصلاح: سوف ننجو... سوف ننجو...
الرائحة الكريهة تتزايد...

صلاح يجيبها: نعم... نعم... سوف ننجو.

تلك أنفاس حارة التي تلهب عنقها؟... وكأن أحدهم يتنفس بالقرب منها...

- صلاح أعتقد أنها هنا...

- أعلم.

- كلا... أعتقد أنها ورائي.

- أمسكي يدي واقتربي مني.

اقتربت ناردين أكثر منه، كرر صلاح: أين أنت؟... ناردين
امسكي يدي واقتربي...

تجمدت ناردين مكانها، كادت أن تهمس لصلاح: لكني
أمسك يدك بالفعل... أنا قريبة منك بالفعل...

قبل أن تدرك أن صلاح كان بعيدًا عنها، لقد كانت تمسك
بيد ابنة سليمان طيلة الوقت... نظرت ناردين جوارها...
وشهقت... وأطلقت الفتاة فحيح كالثعابين وسط الظلام
وهي تقترب من ناردين ...

يقفز صلاح بسرعة مستميتة نحو مصدر الصوت ويسقط
هو وناردين أرضًا... ثم يقفان:

- أتلك هي يدك؟

- نعم.

- أين هي؟

- لا أعلم.

لنخرج من هنا بالله عليك.

يعدو الاثنان في الظلام ويصرخ صلاح وهو يتحسس شيئًا
معدنيًا: مقبض الباب.

ويديره بعنف فاتحًا الباب وساحبًا ناردين خلفه والأخيرة تصرخ: لا أعتقد أن روحها قادرة على إيدائنا الآن، لقد كانت تستحوذ عليك فحسب، قوتها في خوفنا... لقد قاومناها...

- كفي عن هرائك لقد أخرجت الفتاة ثعبانًا حيًّا من فمها، نحن لا نعرف شيئًا يا ناردين ... نحن لا نعرف شيئًا.

تمد رودينا يدها وتعهدها بيد سليم، والدموع تُبَلِّل وجهها، قبل أن تحتضنه برفق، وتهمس: لقد أحببتك... أتمنى أنك عرفت هذا... وزادت من احتضانها له، قبل أن تهمس: استرح أيها الأمير الجميل... استرح...

ثم أخذت نفسًا عميقًا ونظرت إلى السماء واستدارت برأسها صوب القصر، قبل أن تتمم: أكون أو لا أكون...

قبل أن تعود مرة أخرى للتربة الطينية حيث الأنفاق التي حفرها سليم لتصل القصر بالمدينة، كانت تتحرك بسرعة وخفة، ولا يوجد خوف بصدرها، إرادة سليم لا تزال تتحدى طاقة الشر، ولذا طريقها كان خاليًا... تعدو هي في الممرات، وهي تشنج، تسعل، لقد دخلت بعقلها القصر من قبل وعرفت طرقه وممراته، والآن تدخله بجسدها... تصل إلى نهاية الأنفاق، هناك قوم من آكلي البشر ملتفون بعضهم حول

بعض، يبدون رجالَ غاب، العمال الذين هلكوا بالأسفل، القصر يتحدى إرادة سليم، يعدون صوبها، تقفز هي إلى أعلى، وعقلها يربها الطريق... تعالج المزلاج، وتجد نفسها داخل القبو... هنا يدق قلبها، هناك صوت أنين قادم من الظلام... الشيء بالقبو... تسمع خطوات تقترب منها، تعدو رودينا... بسرعة وقوة... تصل إلى الباب... وهي تهتف: أنا لست خائفة منك...

ينفتح الباب وتجد سلمًا خلفيًا مؤديًا إلى الطابق العلوي أمامها، تشعر بأن شياطين جهنم كلها تطاردها، لكنها لن تياس، ستصل إلى الغرفة الحمراء.

حيث توجد الطفلة وأمها... وهتفت رودينا وهي تعدو: أنت مخطئة... أنت لست وحدك...

يتحرك جادو يمينًا وعيناه لا تفارقان عيني حاتم، ويقول منتشيًا:

- لقد أثرت بالقاهرة بالفعل... وأثري دائم... لست كهؤلاء «الإنفلونسرز»... أنا قد أحدثت تغييرًا حقيقيًا في روح تلك المدينة... ولقد أصبحت مدينة الخوف...

يقولها جادو وهو يدور حول حاتم، والأخير يتابعه في

صمت، كلاهما بانتظار من منهم سيقوم بالضربة الأولى...

تحتضن الأم طفلتها في الغرفة الحمراء، هناك لوحة ضخمة فوق رأسها، جوارها رمح وسيف وفأس، لوحة لسليمان باشا... كانت متربعة مع ابنتها في أقصى الغرفة... بينما الأجساد الملتوية في الجدران لا تكف عن الأنين، ظلت هي وازعة يدها على عين ابنتها لتقيها من الأهوال المحيطة بهم... قبل أن تغمض عينيها بدورها ولم تر الحائط وهو يتشقق من خلفها، كاشفًا عن سرداب طويل، ولم تر القادم من السرداب كذلك...

تعدو رودينا صوب الغرفة الحمراء...

تنتفض ناردين عندما تسمع صرخة مدوية، ويتلقت صلاح حوله:

- ربما تكون خدعة أخرى.

لكنهم يسرون مسرعين صوب مصدر الصرخة... أمام تلك غرفة بابها مستدير ومصمّم على شكل أبواب قلاع العرب

القديمة... يتبادل صلاح وناردين نظرة واحدة قبل أن يفتحا
الباب...

في البدء لم تستوعب ناردين ما تراه، ثم تذكرت ما قالتها
رودينا وهي تقرأ أفكار القصر... سحر أسود... يأخذ أعضاءهم
البشرية... وعاء آدمي ليستقبل الشر الذي سيسكنه... لقد
كان يريد الفجر تكوين وعاء آدمي، فقام سليمان بفعل ذلك..
أمام ناردين وصلاح وقف رجل عملاق شديد الطول، يتحرك
ببطء كأنه دمىة كبيرة، وجهه مشوه تمامًا، له شعر طويل
متساقط... غول حقيقي... يقترب من زوجة يوسف التي
كانت تصرخ باستماتتها وطفلتها ترتجف بين ذراعيها...

تشهق ناردين... يقف صلاح وهو يدرك جيدًا أنه لا حول له
ولا قوة أمام هذا المسخ، هل أيقظته طاقة جادو؟ بإمكانه أن
يُطير رأسه بضربة واحدة، بإمكانه فعل أي شيء...

قبض المسخ على الزوجة وهي تصرخ: أنقذوا ابنتي، بكت
ناردين وهي تُهرع لتحمل الطفلة... في حين أخذ صلاح نفسًا
عميقًا قبل أن يصيح: تَبَّأ... كيف تقتل شيئًا ميتًا بالفعل؟...

ضغط صلاح على عنق المسخ، الذي لم يبذ أن يبالي...
نظرت ناردين إليه، عيناه لا حياة بهما... آلة قتل عملاقة
خاصة بهذا القصر الشيطاني...

تصل رودينا إلى الغرفة وهي تلهث، تكاد تبكي وهي ترى ما يحدث... قبل أن يعتلي التصميم وجهها...

- أكون أو لا أكون... سأكون.

صاحت بها رودينا وهي تحمل السيف المعلق على الحائط... نظرت إليها ناردين مبهوتة... متى وصلت هنا؟...

كان السيف ثقيلاً وكادت تسقط وهي تحمله لكنها لم تبال... قبضت عليه جيداً ولوحت به في الهواء للخلف متذكراً تدريباتها بالمسرح وهي تصيح بصلاح: انزلق...

لم يفهم صلاح، فقط ترك ذراعيه وسقط أرضاً، ثم هوت رودينا بالسيف بكل ما أوتيت من قوة وغرزته في ظهر المسخ، لثوانٍ تجمد الوقت، في حين قلوبهم تقفز داخل أقفاصها من الرعب المائل أمامهم، ببطء جلس المسخ أرضاً والسيف في ظهره وتراخت قبضته حول عنق الزوجة... نظرت رودينا إلى جدران القصر والغول، وقالت وهي تلهث: لن أخافك... هذا من أجل سليم...

ثم سارت مسرعة وعاونت الزوجة على الوقوف، وهي تكرر: لست وحدك... ارتمت الزوجة في حضن رودينا، وهتف صلاح معتدلاً: لنرحل عن هنا، يبدو لي أنه في استراحة محارب فحسب...

تخرج ناردين حاملة الطفلة ومعها صلاح في حين الزوجة
تتكئ على كتف رودينا، وأغلق صلاح باب الغرفة الحمراء
وأحكمه بالمزلاج الحديدي العملاق من خلفه مغمغماً: كفانا
حسن ضيافة واستقبال لتلك الليلة!

... قبل أن يتوقفوا جميعاً على حافة السلم، وهم ينظرون
إلى حاتم وجادو... وتغمغم ناردين: يا إلهي...

لو رأى أحد المشهد لقال إن جدران القصر وتماثيله تراقب
الصراع المنتظر بين جادو والرجل الذي عَضَّ التراب...

- أنت الآن في حضرة جادو العظيم.

ينقضُّ الرجلان بعضهما على بعض...

تهوي لكمة جادو على وجه حاتم، لتطير به مترين للخلف،
يسقط الأخير أرضاً، بفك مخلوع ومهشم... والدنيا تدور من
حوله...

هل اكتسب جادو تلك القوة من قصر؟ أم أنه كان دومًا
شديد البأس... يحاول حاتم أن يقف ليركله جادو في فمه،
يسقط حاتم أرضاً، فيركله جادو في معدته، مهشماً ضلعين
لحاتم، يحاول الأخير أن يصيح ألماً لكن فكه المخلوع

يمنعه، جسده يرتجف في ألم صارخ... يجثم جادو فوقه،
ويضع كلتا يديه فوق وجه حاتم، ويغرز أصبعيه داخل
عيني الأخير، ويبدأ الضغط وهو يكرر: أنت في حضرة جادو
العظيم.

يضغط جادو بإصبعيه داخل عنق حاتم..

قوته الخارقة هي غضبه..

الرجل الذي عض التراب.

يتذكر حاتم ضحايا جادو، ركب الأنفاق وهم يتساقطون
أسفل القطار، الأطفال، علا... علياء... والدتهم... آينور...
عامر... رشدي... وسليم...

يصيح حاتم بغضب وهو يكور يده ويشد قبضته...

نرى حاتم يتدرب على الملاكمة، لحظات عدوه، وضربه
للحائط بقبضته، ووجه آدم في الخلفية، نراه في الأنفاق ...

يهتف: أنت الآن في حضرة الرجل الذي عض التراب.

ثم تنطلق قبضته لتلكم وجه جادو، بسرعة خاطفة وقوة
عدة مرات، ومعها قبضته الأخرى... يلکم بكل ثقل كتفه،
واضحًا قوته في القبضة... يجفل جادو أثر تأثير الضرب
فيدفعه حاتم بساقيه بقوة إلى الخلف، فيندفع جادو للخلف

ويهب حاتم واقفًا، وهو يرقص رقصة الملاكمة ويتحرك من قدميه اليسرى لليمنى ليتفادى لكمة جادو ويلكمه في وجهه... مرة... والثانية... يسمع صوت مشجع وهمي في الخلفية: والآن القاضية.

تهوى اللكمة لتطيح بأنف جادو ويسقط الأخير للخلف... أرضًا...

يسقط جادو أرضًا، والدماء تزين وجهه، في حين حاتم يحاول أن يظل واقفًا بفك مخلوع وضلعين مهشمين يؤلمانه بشدة كلما أخذ نفسه...

يقف جادو مترنحًا ويبصق الدماء قبل أن يتخلص من القناع الجلدي وينظر بوجه أنور إلى حاتم، ويغمغم: نهاية الجولة الأولى...

ويكور قبضتيه استعدادًا... في حين حاتم ينظر إليه وهو يحاول الاحتفاظ بقدرته على الوقوف...

ترى ناردين المشهد من أعلى وصلاح جوارها، الذي كان ينظر خلفه كل حين وآخر متوقع عودة المسخ من الغرفة الحمراء لكن بدا إليه أن القصر نفسه يتابع المعركة... في حين ترفع الزوجة الواقفة جوار رودينا وجهها وتهمس لحاتم

من بين دموعها: اقتله أرجوك ...

يدير جادو نظراته إليهم... قبل أن يعود بنظره لحاتم، ويقول بتهكم: ينقصكم واحد، لقد حصل القصر على سليم إذًا ... دوركم قادم... واحد تلو الآخر...

- أنت تتحدث كثيرًا.

يقولها حاتم وهو يحاول العدو صوب أنور - جادو لكنه يتلقى لكمة عاتية تسقطه أرضًا، يعتدل بسرعة ليتلقى ركله تطيح بوجهه فيسقط أرضًا مرة أخرى... يرقص جادو بخيلاء وإرهاق في الآن ذاته أمامهم، قبل أن يصيح: نهاية رجل التراب يا سادة...

ويرفع قدمه استعدادًا لسحق رأس حاتم الذي صاح: إياكم والتدخل!

ثم رفع كلتا يديه وقبض على قدم جادو ليلويها بعنف فيسقط الأخير وهو يصيح ألمًا، يكمل حاتم ثني قدميه لتمزق عظام جادو، يجثم حاتم ويلكمه في أنفه ثلاث مرات ليتهمشم وجهه تمامًا، يصرخ جادو والدماء تُغرق وجهه، ثم يطوّح ذراعه ليشج به رأس حاتم بقوة هادرًا فيسقط الأخير جوار جادو، كلٌّ منهم على ظهره، غارقين في دمائهم، يلهثون من أجل أنفاسهم... نهاية الجولة الثانية.

تهمس ناردين بارتياح: علينا التدخل، لا يحركهم سوى الغضب، سيموت الاثنان... علينا إنقاذ حاتم.

يهز صلاح رأسه، وهو ينظر إلى حاتم الذي صاح بألم رهيب إثر فكه المهشم إزاء نظرة صلاح: إياكم والتدخل... هو لي... ضحك جادو على رغم آلامه... قبل أن يعتدل واقفًا قائلاً: أنت لي.

تنظر رودينا إلى حاتم وجادو... بدا لها أن الزمن كله قد توقف لمراقبة صراع حاتم وجادو، القصر ساكن، وكذلك هم...

يدور الاثنان بعضهما حول بعض مرة أخرى، يتغلب جادو على آلامه ويقول ضاحكًا: انظر إلينا، اثنان من الضباع يهمان بافتراس بعضهما بعضًا... لا تحالفات الآن، أنا لست بحاجة إلى القصر لمواجهتك، وأنت لست بحاجة إليهم لمواجهتي، إنه قانون الغاب أليس كذلك؟... سوف أسحق عظامك، كما سحقت آينور...

صرخ حاتم غضبًا وهو ينقض على جادو الذي تفاداه وضربه في ظهره، وألحقها بلكمة في الآن ذاته في حين ناردين تصرخ: لا تدعه يستفزك

يترنح حاتم لكنه لا يسقط، الدنيا تدور من حوله والدماء

تُبَلِّل وجهه، لكنه لن يسقط... الدوار يعنف به، ويبدأ بالسقوط.

هنا تصيح رودينا: حاتم!

يدير حاتم رأسه صوبها ببطء..

تكلم رودينا: فقط تخيل أنه آدم...

كان جادو يقترب من حاتم بابتسامة على وجهه استعدادًا للإطاحة به بضربة قاضية، عندما اعتدل حاتم ونظر إلى جادو مكورًا قبضتيه ومنتخذًا وضعية الملاكمة، ثم عاجله باليميني، ثم الخطافية اليسرى، واحد اثنين، لكمة تلو الأخرى، بسرعة ودون توقف، وهو يرقص بجسده يمينًا ويسارًا، قبل أن يثبّت قدميه، ويلكم جادو في وجهه، محملاً قوة كتفه كلها في اللكمات، مرة... الثانية... العاشرة... يترنح جادو للخلف، الدماء تغرق وجهه وجسده العارق، يرجع حاتم بيده للخلف، ثم يطلقها كالقذيفة لتحطم وجه جادو وتطيح به للخلف ليسقط أرضًا، ورغماً عن فكه يغمغم حاتم: نهاية الجولة الثالثة...

ثم يفقد توازنه ويسقط أرضًا بدوره...

يهبطون هم السلالم بسرعة..

يعتدل حاتم ويستند بيديه إلى الأرض وهو نصف راقد...

تخطو رودينا إلى الأمام بسرعة وتساعدته على الوقوف.

تأتي ناردين وصلاح ويقفان جوار حاتم ورودينا ومعهما
الزوجة والطفلة...

جادو مستلقٍ على الأرض، غارقًا في دمائه...

تسأل ناردين: هل مات؟

تهز رودينا رأسها نافية..

هنا يقف جادو ببطء ويتمتم: تعتقدون أنكما انتصرتما؟ من
أنتما لتنتصرا؟... أنا جادو العظيم... أنا الذي سفكت الدماء
ونشرت الرعب، أنا الذي دعاني قصر سليمان إليه... من أنتما
لتنتصرا؟...

يتوقف جادو، ويرتج رأسه... تحمر عيناه، وترتعش يداه،
قبل أن يرفع كلتا يديه بعدم فهم ويضعهما فوق قلبه، ثم
يفهم وتحمر عيناه... تبتسم رودينا على رغم دموعها، وتقول:
لقد كتب سليم وصيته الأخيرة... من أجلك أنت... وتلك المرة
إرادته ستنتصر عليك، لأنك هزمت بالفعل...

ينظر جادو إلى حاتم، هزيمته الأولى، ثم ينظر إلى رودينا...
وفي الخارج، على أرضية الحديقة، نرى مفكرة سليم،
إحدى ورقاتها، وما تم كتابته داخلها: يتوقف قلب جادو عن

العمل، ولا يساعده قصر سليمان...

يئن جادو أَلْمًا، وهو يقف أمامهم، ممسكًا بقلبه، قبل أن يسقط فوق ركبتيه، روميو العاشق، الدنجوان، يده فوق قلبه، ونرى باقي ما كتبه سليم في مفكرته بالخارج: وينفجر قلب جادو داخل جسده...

يشهق جادو، أمامهم، وهو ينظر إليهم بكراهية، تنزف عيناه وأذناه دمًا، في حين أربعتهم ينظرون إليه في صمت، وكلّ منهم يتذكر رحلته الخاصة في البحث عن جادو ومحاولة إنهاء شره... يصرخ جادو أَلْمًا، واعتراضًا، وغضبًا، تدير ناردين رأس الطفلة بعيدًا، في حين تغمض الزوجة عينيها باكية قبل أن تفتحهم وتنظر إلى نهاية معذبها... يضع جادو يديه ورأسه على صدره في ألم لا يطاق وجسده يرتج... بدا لهم أن جدران القصر تخوض صراعًا مع إرادة سليم في الآن ذاته...

يتزايد الألم داخل جسده، يفتح عينيه، يغلقهما، يفتحهما مرة أخرى وهو يصرخ بعينين حمراوين بلون الدم، ثم ينفجر قلبه بالكامل، حدث الأمر أمام أعينهم في ثوانٍ، شهق جادو وتصلب جسده، ثم أمام أعينهم تطاير قلبه للخارج، وظل جسده يلوح بذراعيه للثواني بغمٍ مفتوح، قبل أن يسقط أرضًا جثة هامدة...

تهمس ناردين: نهاية جادو.

وغمغم صلاح: هذا ما يحدث عندما تحب بدرجة زائدة.

تقول رودينا لهم وهي تحاول التماسك، وهي تحاول ألا تستلم لآلام قلبها، لأنها لن تفكر في موت سليم الآن: القصر يقاوم ما كتبه سليم... لنخرج من هنا، قبل أن ينجح...

تنظر ناردين إلى صلاح قبل أن تقول: لهذا لم تطاردنا الفتاة ذات العنق المشقوق، لهذا انفتح الباب...

- لنخرج من هنا!

قالها أحدهم...

يتبادلون جميعًا النظرات...

قبل أن يسيروا صوب بوابة قصر سليمان...

يخرجون من القصر، يسرون في الحديقة...

يقفون جوار الرمح المنغرز في الأرض، ولجسد سليم، تحتضنه رودينا ببطء، وهي تضع يده على وجهها...

ثم يُخرجون جسده من الرمح ويحمله صلاح، ويواصلون مسيرتهم نحو السيارة...

يحاول حاتم الاحتفاظ بوعيه لحين وصوله إلى السيارة...
يحاول ألا تهزمه آلام فكه وضلوعه...

تسير رودينا ببطء وقد داهمتها آلام كتفها وذراعها...
وتحتضنها ناردين في صمت... في حين يقف صلاح وهو
حامل جسد سليم، ويلتفت ليلقي نظرة أخيرة على قصر
سليمان... قبل أن يذهب معهم...

يتوقف حاتم وينظر إلى صلاح في حين ناردين ورودينا
داخل السيارة، وتقول ناردين: كلا.

وعلى رغم فكه يتمتم حاتم: لنحرق هذا القصر اللعين.

يومئ صلاح برأسه... ويشير حاتم إلى صندوق السيارة
وتقول رودينا ما يريد قوله: لقد أتينا مستعدين...

ويُخرجون صندوق الوقود، ويعودون إلى القصر في حين
ناردين تهمس: أعتقدين أن إرادة سليم ستظل مستمرة في
مقاومة القصر... بعد وفاته؟

تبتسم رودينا بعينين دامعتين وهي تنظر إلى جسده قبل
أن تقول: لقد كان عنيديًا وقوي الإرادة بحق... ثم أضافت
هامسة: الآن سأفكر بك...

بعدها سكبوا الوقود، وأشعلوا النيران... وهم يشعرون

بالخمول في جسدهم كأن هناك طاقة عاتية تضعفهم، شعر كل من صلاح وحاتم وكأن هناك صرخة عاتية وهادرة من القصر، وتذكرت ناردين الصرخة التي وصفها لها العجوز عندما حاول القوم حرق القصر منذ قرابة قرن، ربما صرخات... منبعثة من النيران، وبقليل من الخيال يمكن القول إن النيران المشتعلة في القصر تشكلت على هيئة وجه يصرخ... ربما كانت تلك صرخات الأرواح المعذبة في القصر... وربما كان هذا خيالهم، لا يعلمون...

لقد رحلوا وهم ينظرون إلى اللهب المتصاعد والنيران التي أحرق قصر سليمان، وكل ما يعرفونه أن جادو بالداخل، يحترق معه...

كانوا صامتين وهم في السيارة، مرحبًا بكم يا رفاق، لقد أتيتم إلى قصر سليمان، واجهتم الأهوال كلها، وجادو... والآن أنتم عائدون حيث البشر وما يفترض أنها حياة طبيعية، ستطاردكم الكوابيس، وعقلكم سيأخذ وقتًا طويلًا لاستيعاب ما حدث تلك الليلة، ولسوف يدب الرعب في قلوبكم عندما تتذكرون، لكن -والحق يقال- أنتم حقًا مقاتلون شجعان...

ثم توقفوا بالسيارة وترجل كل من صلاح وناردين منها، ثم تبعهم حاتم في استحياء، وهو يستند على رودينا، وسرعان

ما انضمت إليهم الزوجة وطفلتها، تقدموا إلى الأمام خطوات
إزاء ما يرون،

وقالت ناردين: القصر لا يحترق...

هزت رودينا رأسها بغضب وصاحت: لماذا لا يحترق؟ لماذا؟

كانت النيران مشتعلة به لكنه صامد مكانه لم يتغير...

- لنرحل عن هذا المكان المشؤوم...

وعندما التفتوا ليعودوا للسيارة كان جسد سليم قد

اختفى...

قضوا فترة يبحثون عن جسده بجنون وغضب، وسط
انهيار رودينا، وبعدهما فقدوا الأمل في إيجادها، وفي تفسير
لاختفائها، وبعد تداركهم أن الإجابة تكمن في العودة مرة
أخرى للقصر، كأنه يلاعبهم للمرة الأخيرة ويرسل لهم دعوة
قاتلة، تبادلوا نظرة طويلة، وفكرت رودينا فيم كان سليم
لينصحها به في تلك اللحظة وهمست وهي تنظر إلى الزوجة
وطفلتها: لنرحل عن هنا...

بعد دقائق تتحرك السيارة مبتعدة بهم... ومن خلفهم القصر
العتيق والنيران مشتعلة به، لقد حاولوا أن يكملوا ما حاول

أهل البلدة فعله منذ قرابة المائة عام وهم يقفون أمام القصر
بالمشاعل...

ترحل السيارة عن البلدة المهجورة في حين نيران قصر
سليمان تضيء المدينة بأكملها...

وداخل النيران المشتعلة بالقصر يستقر كتاب الفجر، لا
تمسه النيران، وفي إحدى صفحاته المصبوغة من الجلد، نرى
الحبر الدموي، ورسمه لباخرة تهيم وسط ضباب البحر...

وتبدأ نيران قصر سليمان باشا في الانطفاء تَدْرِجِيًّا...

بينما عجلات السيارة تنهب الأرض نهبًا مبتعدة بهم،
تحدث رودينا للزوجة الجالسة بإعياء وطفلتها نائمة
جوارها: لقد مررتما بكابوس بشع، لكن عليك التفكير بالأمر
كهذا، كابوس فقدانك لزوجك، وما مررت به في الليلة
السابقة... قادر على إتلاف عقلك، وإثارة جنونك، وسلبك
روحك... عليك أن تتذكرين، أنت نجوت، وابنتك نجت، وهي
بحاجة إليك للتعافي، وأنت بحاجة إليها للتعافي كذلك...
الصمود بعد النجاة أمر صعب، لكنه طريقك للتعافي...

نظرت الزوجة إلى رودينا التي مسحت على جبين ابنتها،
وبعينين دامعتين قالت: شكرًا.

همست رودينا: أغمضي عينيك ونامي ... أنت بحاجة إلى

الراحة.

كادت الزوجة أن تجيب بخوفها من النوم إثر الكوابيس التي ستنتابها، ثم بترت حديثها، وغمغمت لرودينا: سأحاول... ثم كررت بإرهاق: سأحاول.

وأغلقت عينيها وأراحت رأسها للخلف... تنهدت روديना وهي تنظر إلى الأم وابنتها... قبل أن تنظر من نافذة السيارة... وتغمض عينيها لتخيّل نفسها مع سليم في حديقته الخضراء، يحيط كتفها بذراعه، في حين إدجار الآن بو يجلس على مقربة... ابتسمت رودينا بعينين دامعتين...

حاتم ظل صامتًا، وقد استسلم لآلام جسده وأغمض عينيه... نظرت إليه ناردين بقلق فقال صلاح وهو يدير مقود السيارة: سنصل به إلى مستشفى، سنعتني به، وستأتي بزميلتك الطبية التي ستتكفل بأوراقه الرسمية... سيكون على ما يرام...

أومات ناردين برأسها قبل أن تتنهد... وماذا عن الباقي؟... ضحايا جادوا في القاهرة التي حوّلها لمدينة خوف... غمغمت لنفسها: لديّ فكرة.

رفع صلاح حاجبه ونظر إليها في صمت.

بعد عدة أسابيع...

مقطع فيديو منتشر على مواقع التواصل الاجتماعي:

يقول المتحدث: معنا الآن زوجة البطل الشهيد، الزوجة
الباسلة التي نجت مع ابنتها من جادو.

ترفع الزوجة رأسها وتقول محدثة الكاميرا: إنه أمر صعب
للغاية، التحدث إليكم جميعًا، بعدما مررنا به... لكني قررت
أن أتحدث إليكم، وهو نفس ما سأقوله لابنتي عن ليلة قدوم
جادو... الشر حقيقي... وموجود... ولا ينضب... وكنت أعتقد
أني وحدي... لكن... على رغم بشاعة ما يحدث في الحياة
أحيانًا... وعلى رغم كل قسوتها، أحيانًا يأتي من ينقذنا،
أو يساعدنا... وحتى لو لم يأتوا... علينا مساعدة أنفسنا...
لا تتركوا جادو ينتصر... قاوموا الشر... قاوموه... حاولوا
الحفاظ على عقولكم في هذا العالم المخبول... لأن الصمود
بعد النجاة هو خير سبيل للتعافي... حافظوا على المنطق أو
ما تبقى منه... قاوموا طاقة العنف والعبث... فقط قاوموها...

انتهى صلاح من مشاهدة الفيديو قبل أن يقول لناردين:
كانت فكرة جيدة، وأنا ممتن أنها لم تذكر تدخلنا للسلطات.

لا أصدق أنك حاولت قتلي.

- لقد كان هناك قصر شرير يستحوذ على عقلي.

- لا أعذار.

لقد قاومت أليس كذلك؟

- ومن هي تلك الهانم ذات العنق المشقوق والتأثير الساحر

ها

- يضحك صلاح- ولا يرد وهو يسير جوار ناردين في المستشفى، لوهلة شردت ناردين ونظرت إلى يدها، لا تزال تؤلمها كل حين وآخر بسبب أصابعها التي فقدتهم على يد جادو، تنهدت ناردين وغمغمت لنفسها: الصمود.

يخرج لهم حاتم وهو يسير ببطء..

يحييه صلاح وكذلك تفعل ناردين:

- أمامك الكثير لتحكيه لنا.

تقولها ناردين بفضول، في حين يعقب صلاح: الرجل قد تعافى من فكه المخلوع وضلوعه أعطه بعض الوقت.

- أعتقد أنه من النوع الغامض والصامت، ولن يخبرنا

بشيء.

يهز حاتم رأسه ويسير معهم، في حين تفكر ناردين: ألا
يبتسم هذا الرجل أبدًا؟

يذهب الثلاثة لعرض المسرح، حيث تقف رودينا على
خشبة المسرح وتؤدي دور هاملت ببراعة، يصفقون بحرارة
بعدها تنتهي، ونرى أربعتهم يقفون بالخارج بعد انتهاء
العرض...

- كان عرضًا رائعًا.

يقولها حاتم فتبتسم له رودينا، ولثوانٍ يصمت الأربعة وهم
يتبادلون النظرات... ولم تكن ناردين بحاجة إلى قراءة أفكار
رودينا لتعلم أنها تفكر في سليم... قالت رودينا ببطء: لقد
مررنا بالكثير أليس كذلك؟

- آه ههه.

وفقدنا الكثير

قالت رودينا: سليم.

وغمغم صلاح: رشدي.

وأضافت ناردين: عامر.

عم الصمت بينهم لوهلة...

- سليم كان أفضلنا.

- أعلم هذا.

- وهو من أنقذنا.

- أعلم هذا أيضًا، سيظل في ذاكرتنا ما دام حيينا.

- لقد حاربنا، وفقدنا البعض، ورأينا الظلام، الآن علينا الصمود، والتعافي لأن تلك هي الحي...

- ناردين، أنتِ لا تجيدين الخطب الدرامية، التزمي بكتابة الرعب.

- حسناً، لقد واجهنا وعاء بشري مكوّن من أجزاء بشرية وقصر ملعون و...

- اصمتي.

قالتها رودينا ضاحكة.

هز صلاح رأسه قبل أن يغمغم: كلنا مخابيل..

يبتسمون جميعًا..

- والآن ماذا؟... كلُّ منا يعود لحياته الطبيعية؟

- كلُّ منا يعود لحياته.. لا أحد يمتلك حياة طبيعية هنا..

- موافقة جماعية..

تهمس رودينا: لقد رأيت باخرة تهيم وسط ضباب البحر في أفكار القصر... لديكم علم بشأنها؟

تبادل ناردين نظرة مع صلاح قبل أن تقول: لا أعلم... لكننا سمعنا عن تلك الباخرة من قبل... ربما سنصعد على متنها يومًا ما... ونكتشف معًا.

ترفع رودينا حاجبيها، وينظر حاتم إليهم، في حين يهز صلاح رأسه...

- يومًا ما...

- يومًا ما...

- وداع مؤقت إذًا.

يهزون رؤوسهم، وترحل رودينا...

هنا توقفها ناردين وتنقل نظرها بينهم جميعًا قبل أن تقول: لقد مررنا بالكثير معًا... وهذا الكثير سيترك ندوب في روحنا وذكريات تلاحقنا ليلاً، لكننا أنهينا شرًا مطلقًا وأنقذنا البعض...

بدا أنها تُحدِّث نفسها مثلما تحدثهم، هزت رودينا وابتسمت ببطء ولم تعلق تلك المرة، مفكرة ما الذي كان سليم ليقوله

في تلك اللحظة... ليحترق العالم يا فتاة... قالت رودينا:
سنقاوم دومًا...

- دومًا.

قبل أن تضيف رودينا: من أجل سليم...

- من أجل سليم..

- من أجل سليم..

رددوها جميعًا!

ترحل رودينا بعدها...

ينظر كلٌّ من صلاح وناردين إلى حاتم، قبل أن يقول
صلاح: ناردين فضولية جدًا بشأن الرجل الذي عض التراب...

يبتسم حاتم، قبل أن يقول: ربما في وقت لاحق أروي
فضولكم... وداغًا!

- هل ستعود إلى الأنفاق؟

يقف حاتم وهو مولٌّ ظهره لهم، ناظرًا إلى المدينة،
حيث الزحام والفوضى والحيوات التائهة، كان هناك فتية
يتحرشون بفتاة، الكثير من الزحام.. الكثير من العنف، واللا
منطق... يهز حاتم رأسه... قبل أن يتجه نحو الفتية الذين

يضايقون الفتاة...

تغمغم ناردين: يا له من رجل غامض وغريب!... يبدو
ككlient إيستوود في أحد أفلام الغرب القديمة!

- ها؟

حاولت ناردين إيجاد ممثل مصري يعادل المثل دون
جدوى، فقالت متأملة: من الممثل المصري الذي لعب دور
الصامت الغامض القوي في أفلامنا مثل إيستوود؟

- ها؟

- أي بطل يقوم بأفلام حركة.

- أميتايشان مثلاً.

- يا إلهي أنت تشبه الرجل الذي عرض التراب ببطل أفلام
هندية، سوف أنقذ ثقافتك السينمائية.

يهز صلاح رأسه وينظر كل منهم إلى الآخر مبتسمين...

وحدنا مرة أخرى..

- أتمنى ألا تكون تلك صيغة اعتراض.

- لنذهب ونتناول بعض القهوة.

- حسناً.

- لا أصدق أننا واجهنا مسخ فرانكنشتاين في القصر.

- وفتاة تخرج من المرأة.

- ستضعينهم في روايتك القادمة؟

- لن يتحمل أحد وجود كل تلك المسوخ في رواية واحدة
سيتهمونني بالخيال والا واقعية، لسوف أكتب عن جادو
فحسب.

- هم لم يرون واقعنا فحسب.

ابتسمت ناردين وردت: الخيال هو الحقيقة الوحيدة
المنطقية لكل هذا الجنون... كل ضحايا جادو... أشعر بقبضة
هائلة وأنا أتذكر... لكننا تمكنا من إيقاف كل هذا الموت...
حاتم كان محققًا، جادو مثل المرض الجسدي... الوباء... طاقة
سوداء هائلة... قادرة على إتلاف ألف روح...

لكننا تمكنا من إيقافه يا صلاح... علينا إيجاد بعض العزاء
في هذا، بعض الراحة النفسية، لنحتفظ بسلامة عقولنا...

نظر إليها صلاح طويلًا ثم ابتسم، وبادلته هي الابتسامة...
ورأى صلاح تساءل شاردًا ما في عينيها، فهمس: بم تفكرين؟

هزت ناردين كتفيها وأجابت ببطء مفكرة: لا أعلم، كل
مقاطع الفيديو تلك على صفحات التواصل، تلك المحتويات

الهزلية، وهؤلاء الذين يفعلون أي شيء من أجل الحصول على تفاعل ومتابعة... كل تلك الأخبار المبتذلة السخيفة... والإعلانات المنافية للواقع في البرامج التلفزيونية... هل كان جادو ناتجًا لكل هذا العبث؟ هل فقد جادو عقله بسبب كل هذا؟ فيما سبق كانت المنصات الإعلامية تقدم محتويات ثقافية بشكل ما، أتفهم مقصدي؟ لأن الفن مترابط فلسوف تجد أن بطوطة وفوازير نيلي وعموم فؤاد مرتبطة بحكايات ألف ليلة وليلة والأساطير الإغريقية... ستجد أن نجيب الريحاني ناتج لشكسبير، وعمر خيرت ناتج لموتسارت وبيتهوفن... ما كتبه نجيب وإحسان إرث لما كتبه هيمنجواي وديكنز... الفن يموت والخيال يُحتَضَر، والتلفاز ومواقع التواصل الاجتماعي لا تقدم سوى هراء عبثي، الأمر ليس كاعتراض جيل الستينيات على محتوى ثقافة التسعينيات مثلاً، الأمر مختلف... هناك أجيال كاملة ثقافتها تلك الأشياء الجديدة، صبيان يرون فتيات الإعلانات الجذابات وهم يعلمون أنهم لن يحصلوا عليهم أبدًا، ثم يرون مقدمي المحتوى الخالي والإنفلونسرز يقدمون اللا شيء ويحظون بالنجاح والشهرة... لقد ابتعدنا بشدة عن خيال القدماء يا صلاح، لم يعد هناك من يهتم بحكايات عنتر وعبلة والسندباد والمتنبي ولم يعد هناك من يبالي بالمرح والموسيقى، هل هناك فيلم جديد بنفس جودة فيلم مثل نفوس معقدة

لهيتشكوك مثلاً؟ لم يعد هناك أحد يتحدث عن سقراط وأرسطو وفرويد، ستجدهم يشاهدون مقطع فيديو لرجل يسكب ماءً باردًا في سروال زوجته، ويضحك الاثنان بعدها منتظرين المتابعة والتفاعل... هذا مسخ من نوع مختلف، كل تلك الأخبار السلبية والتهويل واللامبالاة المستترة، الطاقة السوداء الناجمة عن تلك المواقع، الكل يسرون وهم ينظرون إلى هواتفهم، لم يعد أحد ينظر بفضول إلى غيره، لقد كف الغرباء عن التعرف بعضهم على بعض، لم يعد هناك سحر ولا مغامرة، الكل مكتئب، وأصبحت جملة «فاقد الشغف» هي الصيحة الجديدة التي يتبعها اللاوعي، صورًا بلهاء ونرجسية للجميع على مقاطع أغاني سخيفة في كل صوب، الكل يريد الحصول على القبول الاجتماعي عن طريق تفاعل الآخرين، أعتقد أن جادو هو نتيجة كل هذا...

نظرت ناردين بترقب إلى صلاح منتظرة رده، ثم رأت عينيه تتابعان فتاة ترتدي سروالاً ضيقاً وقميصاً مفتوحاً، تسير برقة جوارهم، رفعت ناردين حاجبها قبل أن تلتمه في ذراعه هاتفة: على الأقل بعض الأشياء لن تتغير أبداً، أنت لم تسمع حرفاً مما قلته لأن هناك فتاة مثيرة تسترعي على انتباهك المريض...

- طبعاً كنت أسمعك، مواقع التواصل الاجتماعية والبرامج

التلفازية تفسد العقل وكل شيء...

هزت ناردين رأسها ورفعت رأسها بشمم وسارت مبتعدة،
في حين صلاح يشاكسها ضاحكًا...

ثم سألتها فجأة: لماذا اختفى جسد سليم

كلنا نفكر في هذا السؤال ولم نجرؤ على طرحه أمام
رودينا، هذا التساؤل سيؤرقنا كثيرًا.

- هل أخذه القصر؟ ما الذي حدث لجسده؟ لقد مات حَقًّا
أليس كذلك؟

تنهدت ناردين بعمق ونظرت إلى صلاح، وغمغمت: أنا حَقًّا
لا أعلم... لكنك تعلم جيدًا أننا لو كنا عدنا مرة أخرى للقصر
تلك الليلة للبحث عنه لم نكن لنخرج أحياء... آه يا صلاح أنا
حَقًّا لا أعلم... ورودينا أكدت موته، كنا سنعود لإنقاذه لو كان
لا يزال حيًا بالطبع، كل ما أعرفه أنه قد رحل، وأنه البطل
الحقيقي، لقد أنقذنا جميعًا...

يسير الاثنان مبتعدين حتى يختفيا بدورهما وسط زحام
المدينة...

وفي شقتها تجلس رودينا مع صديقتها ورفيقة سكنها
وقطها الجديد -روزيتا- الذي تبنته بعد رحيل آينور، داعبت

رودينا القط، وأمسكت قصة لإدجار آلان بو -صديق سليم
المفضل- وبدأت في قراءتها... وتخيلت نفسها تجلس مع
سليم وإدجار آلان بو في الحديقة الخضراء، فابتسمت...

الفصل الأخير

ينتهي د. آردن من توقيع أوراق النقل، وينظر من نافذته إلى سيارة الترحيلات...

يدير السائق المقود، ويقول بسخرية للممرض جواره: عربة نقل خاصة لمختل نفسي...

- هو ذاهب إلى مصحة خاصة، معاملة مختلفة تمامًا.

في الخلف وراء القضبان الحديدية يجلس آدم بمفرده في عربة الترحيلات... بهدوء يقترب برأسه من القضبان ويتحدث مع الممرض بصوت رتيب... يقطب السائق جبينه ويهتف: اصمت يا رجل.

يواصل آدم الحديث، مستفزًا الممرض، بشتى الطرق... هنا يوقف السائق السيارة ويتلفت حوله، قبل أن ينظر إلى الممرض ويقول بطريقة «ابن البلد»: سأرتاح قليلًا وأشعل سيجارة لو أردت أخذ حقك من ابن الغانية هذا لأهنته...

يهز الممرض رأسه ويشد من يديه قبل أن يترجل من السيارة ويذهب إلى الخلف، وهو يردد: لا علاج نفسي للمخابيل، سأعلمه الأدب...

تمر الدقائق، ويسمع صوت الارتجاج والسياح والاستغاثة

من الخلف... يبتسم... يعود إليه ويركب جواره، يدير السائق
المحرك مبتسمًا دون أن ينظر إليه، ويقول: هل علمته الأدب؟
لا رد...

يلتفت السائق وينظر جواره قبل أن يشهق إزاء وجه آدم
المبتسم وعينه اللامعتين... قبل أن يقول آدم: أمامنا رحلة
ممتعة معًا، هل فكرت من قبل فيم أنت مستعد لفعله من
أجل البهجة؟...

بعد دقائق تدير السيارة عجالاتها وترحل ونحن نرى عيون
السائق الشاخصتين للسماء جوار جسد الممرض...

وتختفي السيارة بعيدًا وسط غبار الطريق...

يقودها آدم وهو يصفر ويدندن اللحن القديم إياه...

عزيزي حاتم

تحية طيبة وبعد...

لقد أعاد لي لقاءك الحيوية والنشاط ولذا أشكرك بصدق،
كنت دومًا مصدر بهجة لي، أنا فخور بتغلبك على جادو، لم
تخب ظني قط... كن دومًا حرًا، مثلي، أنا أنوي الاستمتاع
بلحظات الحياة واقتناص بهجتها، بعد أن عدت للحياة وسط

المدينة من جديد...

ولنا لقاء قريب...

صديقك المخلص.

آدم...

ينتهي حاتم من قراءة الرسالة على هاتفه، ويضع الهاتف في جيبه ثم ينظر إلى شوارع القاهرة أمامه.

هناك رجل يسير في الأنحاء... يتخذ أسماء عدة..

وهو يقرر من يحرر ومن يلوم...

لن يتم معاملة الجميع بعدل...

وعندما يأتي الرجل، سينتصب شعر ساعديك...

وسيتزايد الخوف مع كل رشفة وشهقة...

عندما يأتي الرجل...

«جزء من أغنية قديمة».

النهاية.